قصة "أبو زيد"
وانحسار العلمانية
فى جامعة القاهرة
الدكتور
عبد الصبور شاهين
دار الاعتصام

قصة "أبو زيد"
وانحسار العلمانية
في جامعة القاهرة

الدكتور
عبد الصبور شاهين

دار الاعتصام

مقدمة

بقلم د. عبد الصبور شاهين

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون** ﴾ [الأنبياء: ١٨] .

آية من القرآن ، هي الوعد الحق الذى يتردد فى النفس ، ويدوى فى سمع الدنيا . . وَعْدٌ بأن تزهق روح الباطل ، وبأن يوسم بميسم الزور والزيف ، قبل أن يرحل شبحه عن الحياة ، فهو يساق إلى الويل هو وأصحابه ، لقاء ما دنسوا أرض الله وحاربوا دينه .

والقصة التى نسوق وثائقها فى هذا الكتاب ليست قصة شخصية محدودة الأثر . . بل هى مشكلة ذات طابع عام يتصل بأهم مؤسساتنا الحضارية : الجامعة المصرية ، التى يحاول بعض الملصقين فى هيئات التدريس بها أن يقدموا للطلاب فيها الباطل والزور من القول فى شكل كتب وبحوث ، كما ينشرون فى محاضراتهم (الإيدز) الثقافى الذى تلوثت به عقولهم ففقدوا مناعتهم فى غفلة من سلطة الجامعة ، أو انتهازاً لجو الحرية المتاح لأساتذتها .

إنها فضيحة العلمانية ، وعار شخوصها .

وقد تزلزلت الأرض من تحت أقدامهم حين اصطدم واحدهم (نصر أبو زيد) بمطلب ترقيته ، فانكشف المستور ، وتعرى المخبوء فى ثنايا كتاباته ، وعاين الناس جهود التخريب العلمانى الماركسى للمجتمع المصرى المسلم ، وقد كان يظن أن أعمال التستر على فساده العقائدى ، وضغوط الشلة إياها سوف تكفل له الترقى بلا جدال ، وأنه ماض فى طريقه الصاعد إلى أن يصبح فيلسوف الغبراء ،

ومنظِّر العلمانية .. فإذا هو زاهق لا يكاد يلتقط أنفاسه ، وإذا بالآمال الكواذب تتحطم على صخرة الحق ، فأعماله المنكرة لا ترقى إلى مستوى البحث العلمى ، وكتاباته الماركسية تشهد بضمور ضميره الدينى .. وهكذا تبخرت الأحلام ، وواجه الباطل مصيره المقدور ، فكان الصعود إلى الهاوية !! .

ليس (أبو زيد) وحده فى هذا المضمار ، فهو واحد من عصابة تدين بالإرهاب الفكرى ، وتعمل على إخضاع كل المؤسسات الثقافية لسلطانها ، وإسكات كل صوت يقول الحق ، لا يخشى فى الله لومة لائم ، وقد كان من أمر هذه العصابة فى الماضى ما تشهد به أخبار الستينيات ، حين تحالف الماركسيون مع الدكتاتورية لإذلال الشعب ، وسحق مقاومته ، وما إن أشرق عقد السبعينيات حتى تلاشى الماركسيون تلاشى الظلمات أمام جحافل النور ، فكمنوا فى جحورهم متربصين أن تحين لهم فرصة يعاودون فيها أداء دورهم ، وحين لاحت الفرصة ذرت قرونهم فى المجتمع من خلال منشورات الثقافة (الإيدزية) ، وأعلنوا أنهم قد عادوا ليؤدوا رسالة (التنوير) ، وكذبوا .. فما كان لـ (النَّور) رسالة فى يوم من الأيام ، ولكنهم إفراز الزمن الردىء الذى صار (النصْب) فيه وظيفة ، وصار الكذب فيه (فهلوة) ، وصارت الثقافة تجارة ، وصار البحث العلمى ملقاً ونفاقاً ومناورة ، وصار (التنوير) على أيديهم إلى (التزوير) ما هو !! .

وحسبك أن تنظر إلى أفراد التنظيم الماركسى فى الجامعة لتجدهم الآن يتبرأون مما دانوا به طوال حياتهم الماركسية ، ويعلنون أنهم مؤمنون بالله ورسوله ، بعد أن كان الواحد منهم يجهر بأعلى صوته فى المدرج منكراً وجود شىء اسمه (الجنة والنار) ، وبعد أن كانوا يسخرون من الذين آمنوا ، ويجاهرون بالزندقة ، ولكنها أخلاق الماركسيين الجبناء .

ولو أنهم صدقوا فى موقفهم الجديد لما ذادهم أحد عن التوبة والرجوع إلى الله ، فالدين دين الله ، وباب التوبة مفتوح لكل عاص أو زائغ ، ولكنهم - فيما يبدو - يناورون ، كما نصحهم بذلك بعض المحامين ، ليكسبوا جولة من الدجل

والتشويش بعد أن خسروا « كل الجولات » التى خاضوها .. فالمجتمع فى الجامعة يرفضهم ، والمجتمع خارج الجامعة يلفظهم ، ومحاولتهم تهييج الرأى العام ، وتحريك الغوغائية باءت بالفشل الذريع ، فلم يبق إلا أن يرفعوا عقائرهم بالمهاترة ، وإعلان الإسلام ، عسى أن تغطى الضوضاء على صوت الحق رغم أنف الحق ، ومعهم فى (الزفة) عديد من الصحفيين المتلقطين (القابضين) .

لقد كان نشر التقارير العلمية التى فحصت إنتاج (أبو زيد) فضيحة جامعية لا سابقة لها ، وعلى الرغم من أن أكثر قراء الصحف لا يدركون مغزى الأحكام التى وردت فى ثنايا التقرير الأساسى ، الذى اعتمدته اللجنة العلمية فإن رد الفعل تجاه الحملة التى قادها (كبيرهم هذا) فى الأهرام وغيره من الصحف كان حزيناً لما آلت إليه (الحالة الماركسية) ، لقد فقد الماركسيون عقولهم ، وتوهموا أنهم فى هذه الحالة الهستيرية قد وقعوا على صيد ثمين ، يصخبون حوله ، ويصرخون ليعرف الناس أنهم مازالوا أحياء !! لأنهم مازالوا يتقافزون !! .

إن سقوط طالب فاشل شيء طبيعى ، يحدث فى كل مكان وزمان ، وإذا جانبه التوفيق فى جولة فقد يحالفه فى جولة أخرى حين يجتهد ، ويتلافى أخطاءه فى المرة الأولى ، فكيف تحول سقوط الفاشل إلى مظاهرة تهتف بنجاح الفشل ؟! وحين تفشل المظاهرة يتحول الأمر إلى نوع من استجداء المطلوب وتسوله عن طريق الادعاء بأن الفاشل مهدد بالقتل ؟! (يا حرام) !! أو بأن القلوب القاسية التى لا تعرف الحب تريد أن تفرق بينه وبين حبه ؟! .. وتنكر عليه إيمانه ؟! .. كمان ؟!! الله يرحم خلايا المحلة الكبرى .

والمطلوب فى الواقع أبعد من هذا الهزل ، فليكن أبو زيد مسلماً ، ولتبق له زوجه ، وليعيشا فى التبات والنبات ، ويخلفا صبياناً وبنات ، ولكن المهم ألا يعود أبو زيد إلى هرائه الماركسى والعلمانى الذى اصطحبه معه من مصنع المحلة ، ليدرسه لطلاب الجامعة ، فإذا اختارت الجامعة أن تبقى عليه فى هيئة التدريس بعدما كشف عن سوأته ، وأبدى من الجهل ما فضحه ، وارتكب فى حق العلماء من

الإساءات ما لم يحدث فى تاريخ الجامعة – فليكن ، ولن يكون إلا بمثابة عبد آبق ، تنفس صدره بالحقد على الأساتذة والعلماء ، ولكن على ألا يعود إلى تدريس الموضوعات المرفوضة ، تحقيقاً لتوبته ، وإظهاراً لانتمائه إلى الإسلام من ناحية ، ولْيُسنَد إليه تدريس شىء من العلم لا علاقة له بعلوم القرآن ، ولا بالماركسية ، ولا بالعلمانية ، فقد انتهى الوقت الذى طالما عربد فيه فى أمور العقيدة ، وحقائق القرآن ، وسير الصحابة ، مما سوف يتضح فى مدخل هذا الكتاب ، كما ستكشف عنه التقارير العلمية التى قدمها العلماء .

ليس معنى ذلك أننا نحصر المعركة فى هذا الموضوع [الأبو زيدى] ، فأبو زيد ليس سوى فرد من جماعة ، أو رفيق فى خلية ، ومشكلته فى الواقع أنه أراد أن يكون زعيماً للجماعة ، وأن يحتل موقع الفيلسوف الذى يقول فيسمع أعضاء التنظيم لقوله ، وعسى أن تعود الأيام سيرتها الأولى ، وتزدهر الموجة العلمانية فيرتفع مكانه إلى رتبة [المفكر المجدد فرج فودة] .. ليه لأ ..؟! .

فلما خاب المسعى تداعى الرفاق إلى سرادق لطم الخدود ، وشق الجيوب ، (والجنازة حارة ، والميت ...) . وهكذا انطلقت كتائب الماركسيين لتؤدى دور الندابين فى كل صحيفة ملونة !!

إن المعركة الحقيقية هى بين (الإسلام الصحوة) ، و (الماركسية المحتضرة) فى بلادنا ، ومع أن الماركسيين مازالوا يعولون ويصرخون بضراوة .. فإنهم معذورون لشدة الموقف الذى يواجهونه ، وهم يتصورون أنهم لابد واصلون إلى ما يريدون من إرهاب الدولة ، والسلطة القضائية ، والجامعة أيضاً – حتى يفرضوا وجودهم ، ويحققوا ما يريدون !!

والواقع أنهم يقاتلون الآن آخر معاركهم ، فلم يعد لوجودهم ما يبرره ، لاختفاء السند السوفييتى ، وتغير الزمن .. ومهما حاول الماركسيون أن (يتأمركوا) ليستمروا فسوف تدور الدائرة عليهم ، وسوف يتخلون تماماً عن هويتهم .. لأن الشعب يرفضهم ، ويرفض منهجيتهم ، ولأن الأمريكان لن يبقوا إلى

ما لا نهاية يدعمون فلول الماركسية ، فالمسألة لا تعدو أن تكون أوضاعاً مؤقتة ، ثم تمضى أقدار الله ساحقة كل ما يعادى الإسلام .

نقول هذا على الرغم مما تورط فيه زين العابدين بن على - رئيس الجمهورية التونسية - حين أشار بعض بطانته بأن يكرم الخروج على الدين ، ويمنح صاحبه وساماً ، وهو موحول فى فشله وسماديره المريضة . فأساء الرجل إلى دينه ، كما شوه صورة بلده الذى بدا و كأنه يدعم جرذان الماركسية ، ويكرم إلحادهم ، وما نظن أن سبَّ الدين يستحق التوسيم إلا فى منطق كل أفاك أثيم .

وإذا كان هذا الكتاب بمثابة (ملف) يضم كلمات الحق فى القضية الأبوزيدية ، فلابد من أن نضع بين يدى القارىء مدخلاً يفضح هذه القضية فى بعدها العلمى ، وفى بعدها الماركسى ، مؤمنين بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ .. **فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ..** ﴾ [الرعد: ١٧] ، وصدق الله العظيم .

* * *

مدخل إلى القضية الأبو زيدية

كان الإسلام ولا يزال خصماً للتيار الماركسى الذى سقط فى هذه التسعينيات من القرن العشرين ، بعد أن ساد هذا الفكر بقيام دولته قرابة ثلاث وسبعين سنة باسم « الاتحاد السوفييتى » .

وقد كان سقوط النظام الماركسى فى موقعه الحصين حدثاً مفاجئاً مدوياً ، أذهل العالم ، بقدر ما أكد أن الدكتاتورية التى أقامها هذا التيار ، وأطلق عليها (دكتاتورية الطبقة العاملة) كانت شعاراً زائفاً بمعنى الكلمة ، فلم يكن النظام الماركسى تحقيقاً لآمال الطبقة العاملة ، بقدر ما كان تمكيناً لبعض المغامرين من تولى السلطة بخداع الجماهير تحت شعار (الحزب الواحد) ، وما كان ذلك إلاّ سحقاً للفرد ، وتخريباً للحرية ، وتضييعاً لحقوق الإنسان .

وبقدر ما حقق هذا التيار الماركسى من الانتشار فى دول العالم الثالث خارج منطقة نفوذه التقليدية وجدنا أن ظله قد انحسر وتقشع فى هذه الدول بعد سقوط النظام فى موسكو ، وإن بقيت شكلاً بعض الأنظمة الشيوعية فى العالم (فى الصين ، وكوبا ، وكوريا الشمالية ، وفيتنام .. وبعض بقع قليلة فى أفريقيا) ومازالت هذه الأنظمة تحاول خداع الجماهير بدعوى أنها تحاول تطوير نفسها ، والاتجاه نحو اقتصاد السوق ، تشبثاً بمواقع السلطة ، وإبقاء على قبضة يدها حول أعناق الجماهير ، مع مداعبة القط الأمريكى .

ولا مناص - فى رأينا - من سقوط هذه الأنظمة ، على الرغم من المقاومة التى تبديها الأحزاب الشيوعية فى هذه البلدان ، بل وعلى الرغم من إصرار بعض الجماعات الشيوعية على البقاء فى السلطة فى بعض جمهوريات الاتحاد

السوفييتى الإسلامية مثل طاجيكستان حيث ارتكبت مذابح للإسلاميين هناك على أيدى الشيوعيين ، والمعركة مازالت سجالاً .

غير أن هناك ظاهرة تستلفت النظر هى أن الفلول التى شاهدت بأعينها انهيار النظام الباغى ، كما ينهار جبل الجليد عند طلوع الشمس .. هذه الفلول مازالت تحاول البقاء فى الساحة الثقافية فى مصر ، حيث أتيح لها أيام السيطرة الشيوعية أن تتمكن من مواقع كثيرة ، وأن تفرض وجودها على الساحة الإعلامية والثقافية ، فى الوقت الذى عملت فيه على إبعاد المثقفين المعارضين من مواقع التأثير .

ويبدو أن سقوط النظام الشيوعى فى موسكو قد باغت الكثيرين من الشيوعيين وأحلاسهم فى مصر بخاصة ، وفى الوطن العربى بعامة .. فإذا بهم وقد انتابهم نوع من الهستيريا ، يلجأون إلى إحداث الجلبة والضوضاء ، من خلال مجموعة من الكتابات العدوانية ضد الإسلام وضد العقيدة الصامدة فى مواجهة البغى الماركسى العلمانى ، ومن أطرف ما قاله بعضهم : إن الماركسية ليست خطأ .. ولكن الخطأ كان فى التطبيق – كلام يبرد لذعة الفشل وحرقته .

وينبغى أن نعلم أن الإسلام وحده هو الذى أسقط النظام والفكر الماركسيين .. فأما النظام فقد سقط عسكرياً فى أفغانستان ، كما سقط اقتصادياً فى المجتمع الروسى ، وأما الفكر فقد بدا منهزماً أمام عملاق الإسلام فى وجدان الشعوب السوفيتية ، مع أن الإسلام لا يملك سلطة ، ولا دولة مؤثرة ، وهو ما حاول الإلحاد الماركسى أن يتفاداه دون جدوى .. رغم تكثيف برامج (تلحيد) أجيال المسلمين هناك .

ومن الخطأ أن نتصور أن النظام الرأسمالى كان العامل المؤثر فى سقوط الماركسية لبديهة يعلمها الكثيرون .. وهى القائلة بأن الماركسية هى فى جوهرها نظام رأسمالى بشع ، يقوم على تجميع الثروة فى يد واحدة هى يد الحزب الشيوعى اللص فى كل مكان يحكم فيه .. وإذا بدا أحياناً أن هناك

تناقضاً بين الماركسية والرأسمالية فذلك أمر مناف للحقيقة ، لأن هذه الماركسية كانت مجرد أزمة من أزمات النظام الرأسمالى ، وسقوطها هو فى الواقع نذير من النذر المؤثرة فى كيان النظام الذى مازال باقياً .. فليس من المعقول أن نصدق الإشاعات التى تقول بأن الرأسمالية هى التى قضت على الماركسية ، والحق أن المصير الذى انتهت إليه الماركسية الغاربة سوف ينتهى إليه حتماً النظام الغربى ،بعد أن تتهيأ أسباب سقوطه المنتظر .

وعودة إلى الفلول الماركسية فى الوطن العربى لنجد أنها اتخذت مواقع لمقاومة عوامل الانقراض ، فى مؤسسات كثيرة جماهيرية ، ممسكة بأيديها أزمّة الكلمة المقروءة والمسموعة والمرئية ، وعاملة على نشر كتابات معادية للإسلام صراحة ، أو كتابات تتظاهر بالحياد والعلمية ، وإن تضمنت إسقاطات ذات طابع ماركسى ، يعرف ذلك من يتابع بعض المسلسلات التليفزيونية ، أو من يتأمل بعض البحوث المنشورة فى المجلات المشبوهة ، وفى مقدمتها المجلات التى تصدرها وزارة الثقافة فى مصر ، كالقاهرة ، وإبداع ، وأدب ونقد ، كما تنشرها « دار سينا » الماركسية وغيرها .

وحسبنا أن نتوقف أمام البحث الذى نشره أبو زيد بعنوان : (الإمام الشافعى وتأسيس الإيديولوجية الوسطية) . صدر عن « دار سينا » للنشر عام ١٩٩٢ م . وسنجد أن صاحبه حاول أن يبدو محايداً ،بل مهتماً بالشافعى ، ولكنه يتهم الشافعى بأنه ملفق فى موقفه ، حين انتصر للنقل على حساب العقل ، وحين انتصر للقبلية على حساب الإسلام ، وهو يزعم أن كل مآسى الحياة الإسلامية نابعة من اجتماع السقيفة ، الذى انتصرت فيه السيطرة القرشية على الإسلام والمسلمين ، فالتاريخ الإسلامى كله مؤامرة حاكها الخلفاء الراشدون ، وجاء الشافعى ليتحالف مع الأمويين حتى يمنحوه الإمارة فى نجران ، وقد تعمد الكاتب أن يستولد الشافعى فى عهد الدولة الأموية ،مع أنها سقطت قبل ميلاده بعشرين عاماً !! ألا ما أغشه وما أجهله !!

وهو يتهم الشافعى بالمغالطة حين قال فى كتابه : (الرسالة) :

(لم أجد لرسول الله سنة ثابتة من جهة الاتصال خالفها الناس كلهم ، ولكن قد أجد الناس مختلفين فيها : منهم من يقول بها ، ومنهم من يقول بخلافها ، فأما أن يكونوا مجتمعين على القول بخلافها فلم أجدها قط) .

وهو نص يشهد للشافعى بدقة النظر والاستقراء العلمى ، ولكنه فى نظر هذا الكاتب الماركسى العلمانى ملفق ومغالط ، وكان يناضل من أجل القضاء على التعددية الفكرية والفقهية ، مع أن الشافعى كان أحد تلاميذ هذه التعددية ، فى المدينة وفى بغداد !! .

وينتهى هذا الكاتب المتمركس العلمانى إلى ضرورة التخلص من اتباع النصوص : قرآناً وسنة ، والركون إلى العقل ، وذلك فى عبارة صريحة :

(آن أوان المراجعة والانتقال إلى مرحلة التحرر .. لا من سلطة النصوص وحدها .. بل من كل سلطة تعوق مسيرة الإنسان فى عالمنا ، علينا أن نقوم بهذا الآن ، وفوراً ، قبل أن يجرفنا الطوفان) .

ويبدو فى موقف هذا الكاتب لون من ألوان الرقاعة الثقافية (إن صح التعبير) ، فهو يختار عنواناً لكتابه يوحى بأنه متعاطف مع الفكر الإسلامى ، حريص على تقديم دراسات فى بعض قضاياه ، فى حين يملأ كتابه بالأفكار العدوانية وإسقاطات الإرهاب الفكرى .

لقد صارت العصبة الماركسية فى بلادنا مركز الإرهاب الفكرى ، وبؤرته .. فهى قابعة فى مواقعها تنفث سمومها إلى أن تتاح لها وثبة جديدة على مواقع أخرى جديدة .

ولنمض فى متابعة ما ينشره هذا الإرهابى فى كتاب « نقد الخطاب الدينى » الصادر عن دار الثقافة الجديدة (الماركسية أيضاً) حيث يتهجم على (الغيب) ، ويجعله مرادفاً للخرافة والأسطورة ، ويرى أن العقل العربى غارق فى هذا ، ولا يتوقع له أن ينجو من الغرق ، كما يرى أن (العلمانية) هى : (التأويل الحقيقى للدين والفهم العلمى لموضوعاته) ويقول :

(ليست العلمانية ما يروج له المبطلون من أنها فصل الدين عن المجتمع) ..

ثم يقول:

(إن الخطاب الدينى يخلط عن عمد ، وبوعى ماكر خبيث بين فصل الدولة عن الكنيسة .. أى : فصل السلطة السياسية عن الدين ، وبين فصل الدين عن المجتمع والحياة) .

وهكذا يفسر (أبو زيد) مصطلح (العلمانية) حين رأى أنه أصبح ملوثاً ، موصوماً بأنه مرادف الإلحاد ، فهو يحاول أن يزيف مفهومه بين الشباب ، بزعمه أن (العلمانية) هى التأويل الحقيقى للدين ، والفهم (العلمى) له ، وهل بعد ذلك مغالطة قبيحة تتجاوز كل الثوابت الثقافية ؟ فليست العلمانية من (العِلم) بكسر العين ، بل هى نسبة إلى (العالَم) بفتح اللام ولكن الجهل المركب يؤدى بأصحابه إلى مزالق الفضيحة !!

إن (أبو زيد) وأمثاله يعلمون أن (الدين) عقيدة راسخة فى نفوس الشباب وعقولهم ، وأن أحداً لايقبل المساس به إلا إذا فرغ من كل قيمة ثقافية أو أخلاقية ، فإذا بهم يلجأون إلى الكذب والتزوير ، اعتماداً على بعض الغموض الذى يلف الكلمة فى ثقافة المعاصرين .. وما كانت (العَلْمانية) إلا مرادف : (الدهرية) فى فكر القدماء ، فهى تنسب كل إنجاز مخلوق إلى فعل : (الزمن) أو : (العالَم) ، ومن ثم كانت الترجمة الأولى للكلمة (Secularisme) : العَالَمانية ، ثم اختصر المقطعان الأولان فى مقطع واحد فصارت: (عَلْمانية) .

وقد يحاول بعض المزيفين أو المخدوعين أن ينطقوا الكلمة بكسر العين (عِلْمانية) ، كما فعل أبو زيد ، وهو إيغال فى الجهل بأصل المصطلح ، أو هروب مما يعنيه لدى واضعيه ، أو محاولة لخداع الشباب بزعم أن المراد هنا هو النسبة إلى (العِلْم) لا إلى (العَالَم) .

والماركسيون ليسوا بحاجة إلى هذا التستر على المعنى الصحيح للكلمة ، فإن ماركسيتهم تعنى أساساً الإلحاد الصرلح الذى تعنيه كلمة : عَلْمانية) ،

ولكنه المأزق الذى يقفون فيه الآن بعد أن كان وقْع سقوط النظام على رؤسهم كسقوط صخرة على مزارع الخنازير، ومقالب الزبالة، ففقدوا عقولهم، وتهشمت رؤاهم، وتلاشت فى صدورهم الآمال.

وقد نلاحظ أن (أبو زيد) ركز على (الكنيسة)، ولم يذكر المسجد، وهو يعنى فى الواقع إبعاد الدولة عن (المسجد)، فقد كان المسجد - ولايزال - المشكلة التى تواجه الماركسية والإلحاد بكل صورهما، ومن ثَمَّ سلك هذه الطريقة التى تلمح ولا تصرح.

بل لقد لجأ هذا المزيف إلى مقولة يبرىء فيها الماركسية من تهمة (الإلحاد) فهو يقول بخطأ تأويل الماركسية بالإلحاد والمادية، فلعله وجد فى إنجيله الماركسى دعوة إلى تمجيد الإيمان، ونبذ الإلحاد، ولعله لم يقرأ تلك الدعوة التى وجهها وكيل وزارة التربية فى موسكو إلى أهل الأديان المختلفة، وأشارت إليها مجلة (النيوزويك) الأمريكية فى عددها الصادر أول يناير ١٩٩٣ - وفحوى الدعوة:

« أن يبادر اليهود والمسيحيون والمسلمون إلى إرسال دعاتهم إلى المدارس الروسية ليعرضوا الدين والإيمان الدينى على الشباب الروسى، بعد أن أحدث سقوط الماركسية فراغاً مفزعاً فى عقول هؤلاء الشباب ».

وما أحوج أمثال هذا الكويتب أن يعرض عليه الإيمان أيضاً !!! فقد أفسدت الماركسية عقله، وأمرضت إدراكه، وأصابت خلاياه الدينية.

والمؤسف أن أهل الأديان لم يستجيبوا للدعوة فيما عدا الكنيسة الإنجليكانية والبروتستانتية فى أمريكا، فقد أنشأوا هناك ستين مقرأً لبعثاتهم، لدعوة الروس إلى « المسيحية » التى أنستهم إياها « الماركسية »، بل دفعتهم إلى الكفر بها.

وقد مضى أبو زيد فى ضلاله المبين، فأعلن رفضه لوصف المخالفين للإيمان بالكفر، وهو اعتراض على القرآن ذاته الذى اعتبر الخارجين على الإيمان به كفاراً (من أهل الكتاب والمشركين)، وهو من جهة أخرى دليل على أن فكرته عن الدين فكرة مهزوزة.

ولا شك فى أن هذه نغمة مضللة ، تتخذ من وجود المسيحيين تكأة للإثارة .. فكيف نصفهم بأنهم (كفار) رغم أنهم معنا فى وطن واحد ؟ ركوب على حصان الوحدة الوطنية ، أو على حمارها ، وهى أمر لا علاقة له بالإيمان أو الكفر ، وشتان ما بين دعوة للدين ، ودعوة إلى أمر سياسى معاصر .

ولاريب أن هذا الإسفاف لا هدف له إلا تفكيك الجبهة التى تعتنق الإسلام فى علاقتها بالآخرين من الشركاء فى الوطن .

لقد غاب عنه أن الوصف (بالكفر) آت من موقف عقدى .. فالكافر هو الذى يكذِّب اللهَ فى أحد من أنبيائه ورسله ، ولا علاقة لذلك بوصف (الوطنية) النابع من الانتماء إلى الوطن ، ولو أن مسلماً أنكر نبوة موسى أو عيسى لاعتبر كافراً تماماً كمن ينكر نبوة محمد ﷺ .

ومن المؤكد أن (أبو زيد) لا يجهل هذا الاعتبار ، وأن الجهة منفكة كما يقول الفقهاء ، ولكنه الخلق الماركسى المتأزم الذى يعيش على الجدل ، وتصيد نقاط المهاترة .

وقد انزلق هذا العلمانى الكويتب فى بحثه (عن علمانية جديدة) إلى التهجم على القرآن ، فزعم عن جهالة بأنه :

« كان مسموحاً فى عصر النبوة تعدد قراءات النص الدينى (يقصد القرآن) ، وهى القراءات التى تتلاءم مع واقع التعدد القبلى فى الجزيرة العربية ، وقد تم إلغاء ذلك التعدد لصالح القراءة القرشية

ثم قال :

« ومن الضرورى تأكيد أن الأساس الذى استند إليه مفهوم (القراءة القرشية) سواء فى بعده السلطوى الدينى ، أو فى بعده الثقافى أساس عصبى عرقى ، لا أساس ثقافى حضارى » .

وهذا كلام خطير يحاول أن يثبت أن المجتمع الإسلامى كان لديه أولاً قرآنات كثيرة بحسب تعدد القبائل واللهجات ، بما يحمله ذلك من اختلافات فى النص ، وقد عمل (عثمان) القرشى على اختيار (القراءة القرشية) من

مطلق عصبى قرشى .. هكذا يطعن أبو زيد فى صحابة محمد ﷺ ، ويجعلهم مفرطين فى الأمانة التى تركهم عليها ، واستأمنهم لتبليغها ، فهم جميعاً يمثلون سلسلة للتآمر ، لا يستثنى منهم أحد ، ويكاد المرء يلمس بيده فى هذا الكلام بعض غلاة التشيع المذهبى التى خربت الإسلام وشقت صفه ، وهى كلها دعاوى منقولة عن الطائفيين ، والمستشرقين من أمثال (ريجيس بلاشير) فى كتابه (مدخل إلى القرآن) .

فإذا لاحظنا أن (أبو زيد) يطلق العنان للهجات فى التعامل مع النص القرآنى - فمعنى ذلك أنه يرفض ما ثبت من أن القراءة سنة متبعة ، وأن كل حرف فيها هو من إملاء (الوحى) لا يختلف فى ذلك مؤمنان ، فهو إلى الزيغ عن العقيدة ، والولوغ فى الكفر ، لو أنكر هذه الحقيقة المعلومة من الدين بالضرورة .

ولعلى أجتزىء هنا بذكر فقرة من كتابه تكشف عن هويته ، فقد جلت سقطاته عن الحصر ، وهو يقول (بعد ذكر الغيب الخرافة والأسطورة) :

(ولا خلاص من تلك الوضعية إلا بتحرير العقل من سلطة النصوص الدينية ، وإطلاقه حراً يتجادل مع الطبيعة ، والواقع الاجتماعى والإنسانى ، فينتج المعرفة التى يصل بها إلى مزيد من التحرر ، فيصقل أدواته ، ويطور آلياته) ..

شقشقة طالما هذر بها الماركسيون الخادعون ، ومازال يهذى بها تابعهم فى كل ما كتب من أوراق .

إن من الإثم الكبير ، بل من الخيانة لمستقبل هذا الوطن أن تعمد بعض جهات الإدارة إلى تنصيب هؤلاء رؤساء وكتاباً ، فتضع تحت أيديهم إمكانات مذهلة يستخدمونها فى تدمير المجتمع ، وفى تشويه صورة الإسلام فى أوطانه العربية ، ولابد من أن تأخذ الإدارة الوطنية هذه المقولات المنحرفة فى الاعتبار عند توزيع الأدوار .

فنحن حتى الآن مازلنا نعيش فى وطن الإسلام ، ولا ينبغى السماح بمثل هذه السفسطة ، والسمادير فى بلد يؤمن أهلوه بالله عز وجل وبرسوله ﷺ ، وبكتابه المنزل ، ويلتزمون فى مسيرتهم إلى المستقبل تعاليم الوحى ، وأمانة التاريخ ، وهم يشعرون أن فى أيديهم أمانة لا يملكون إلا أن يؤدوها إلى الأجيال القادمة ، منزهة عن التشويه ، كاملة غير منقوصة .. ويا ويل من يفرط فى هذه الأمانة من لعنة الله ، وإدانة التاريخ .

دكتور عبد الصبور شاهين

* * *

تقرير عن إنتاج علمى

بقلم الأستاذ الدكتور / عبد الصبور شاهين

تقدم السيد الدكتور نصر حامد أبو زيد - الأستاذ المساعد بكلية الآداب، بجامعة القاهرة بإنتاجه العلمى للترقية إلى درجة أستاذ بقسم اللغة العربية، وجاء إنتاجه فى شكلين :

الأول : الكتب، وقدم منها كتابين :

١- (الإمام الشافعى وتأسيس الأيديولوجية الوسطية) : نشر دار سينا للنشر - القاهرة ١٩٩٢ م .

٢- (نقد الخطاب الدينى) : نشر دار الثقافة الجديدة - القاهرة ١٩٩٢ ميلادية .

الثانى : البحوث والمقالات :

٣- (الكشف عن أقنعة الإرهاب) : بحثاً عن علمانية جديدة - مجلة (أدب ونقد) - القاهرة - العدد ٥٥ - يونيو ١٩٩٠ م .

٤- (ثقافة التنمية وتنمية الثقافة) : مجلة القاهرة - العدد ١١ - ١٩٩٠ .

٥- (التراث بين الاستخدام النفعى والقراءة العلمية) : مجلة (أدب ونقد) - القاهرة - العدد ٧٩ مارس ١٩٩٢ م .

٦- (قراءات التراث فى كتابات أحمد صادق سعد) : ألقى فى مؤتمر وتحت النشر .

٧- (إهدار السياق فى تأويلات الخطاب الدينى) : ألقى فى مؤتمر وتحت النشر .

٨- (المسكوت عنه فى خطاب ابن عربى) : مجلة الهلال مايو ١٩٩٢ م .

٩- (مفهوم النص فى العلوم الدينية) : مجلة إبداع عدد ٤، ٥ - ١٩٩١ م .

١٠- (التأويل فى كتاب سيبويه) : مجلة ألف للبلاغة المقارنة - الجامعة الأمريكية العدد ٨ - ١٩٨٨ م .

١١- (الإنسان الكامل فى القرآن) (بالإنجليزية) : مجلة جامعة أوساكا للدراسات الأجنبية باليابان - العدد ٧١ سنة ١٩٨٨ م .

١٢- (مقدمة ترجمة اليوشيدو - روح اليابان) : دائرة الشئون الثقافية العامة - بغداد ١٩٩٠ م .

١٣- (مركبة المجاز من يقودها ؟ وإلى أين ؟) : مجلة ألف عدد ١٢ - ١٩٩٢م .

وقد لوحظ أن هذا الإنتاج لم يظهر منه فى سوق الكتب سوى الكتاب الأول عن (الإمام الشافعى) ، وأما الكتاب الثانى فما زال مشروعاً ينتظر الظهور فى السوق ، وباقى البحوث والمقالات ظهرت فى مجلات محدودة الانتشار ، أو هى تحت النشر فى هذه المجلات أيضاً ، وهى مجلات غير محكمة غالباً .

ولعل لاختيار هذه المجلات لنشر هذه البحوث حكمة ، هى تفادى رد الفعل عند القراء ، لو ظهرت فى مجلات رائجة واسعة الانتشار .

وبذلك يعتبر الإنتاج إجمالاً أشبه بالأعمال السرية التى لم ينشر أكثرها فى دوريات علمية محكمة ، ولا يجرؤ الباحث على نشر أفكاره فى المجتمع الذى يرفضها ولا شك .. بل وقد يحكم عليها حكماً قاسياً كما يحكم على صاحبها .

أما الرأى فى هذه الأعمال فهو كما يلى :

١- الإمام الشافعى وتأسيس الإيديولوجية الوسطية :

كتيب من مائة صفحة وعشر صفحات من القطع الصغير ، ذو وزن خفيف علمياً ، والكتاب يدل على أن الباحث مُحْتَفٍ بالشافعى ، ومضمونه تقريع له ، وتنديد بمحاولة الشافعى التلفيقية إيجاد وسيط بين العقل والنقل ، وقد انتصر الشافعى للنقل على حساب العقل ، وانتصر للقبلية على حساب الإسلام ، ويعود فيكرر ما قاله عن السقيفة فى بحوث أخرى سابقة ، وما جرى فيها من تدشين السيطرة القرشية على الإسلام والمسلمين ، فالتاريخ الإسلامى كله مؤامرة حاكها الخلفاء من قريش .

وهو « يتهم » الشافعى بالمغالطة حين قال :

(لم أجد لرسول الله سنة ثابتة من جهة الاتصال خالفها الناس كلهم ، ولكن قد أجد الناس مختلفين فيها : منهم من يقول بها ، ومنهم من يقول بخلافها ، فأما أن يكونوا مجتمعين على القول بخلافها فلم أجدها قط) . .

وهى شهادة عظيمة من إمام عظيم هو واضع علم المصطلح .

ولكن الشافعى فى مقياس الباحث ملفق ومغالط ، وكان يناضل من أجل القضاء على التعددية الفكرية والفقهية .

ويقرر الباحث أخيراً النتيجة التى تتكرر فى بحوثه دائماً :

(آن أوان المراجعة والانتقال إلى مرحلة التحرر ، لا من سلطة النصوص وحدها ، بل من كل سلطة تعوق مسيرة الإنسان فى عالمنا ، علينا أن نقوم بهذا الآن وفوراً قبل أن يجرفنا الطوفان) .

لم يحدد أبو زيد مفهوم هذا التحرر ، ولا حدود هذه النصوص ذات الطابع الإيديولوجى الخاص ؟ وماذا يريد للأمة بعد أن تلقى بالقرآن والسنة جانباً ؟!

٢- نقد الخطاب الدينى :

كتاب مطبوع فى مائتين وعشرين صفحة من القطع المتوسط ، مصور ، وغير متداول ، والناشر دار الثقافة الجديدة .

والكتاب يقع فى مقدمة وثلاثة فصول ، ويتضمن كل فصل مجموعة من البحوث وفى المقدمة يهجم الباحث على (الغيب) بأسلوب غريب ، فيجعل العقل الغيبى غارقاً فى الخرافة والأسطورة ، مع أن الغيب أساس الإيمان .

وهو أيضاً يقع فى مغالطة خطيرة حين يقرر أن (العلمانية) ليست فى جوهرها سوى التأويل الحقيقى ، والفهم العلمى للدين ، وليست ما يروج له المبطلون من أنها الإلحاد الذى يفصل الدين عن المجتمع والحياة .. يقول :

(إن الخطاب الدينى يخلط عن عمد ، وبوعى ماكر خبيث بين فصل الدولة عن الكنيسة ، أى : فصل السلطة السياسية عن الدين ، وبين فصل الدين عن المجتمع والحياة)!!

ولا أدرى إن كان ذلك عن جهل بمفهوم العلمانية ، أو هو يضاعف من خطورة هذا الاتجاه بتزييف المفاهيم!!

وفى الفصل الأول من الكتاب يتصدى لنقد الخطاب الدينى المعاصر بمناقشة قضية النص ، وقضية الحاكمية ، ويشتد نقده للأزهر وللدولة فى مواجهة التطرف ، وهو ينتصر بحماس شديد لرواية سلمان رشدى (آيات شيطانية) مع ما اشتهرت به من فساد وهلوسة ، وهو غالباً لم يقرأها ، ولم يعرف ما حفلت به من نتن لا أدبى ، وعفونة صادرة من أحشاء كافر مرتد ، ومع ذلك يمضى فى الخروج على معايير النقد الموضوعى ، ويتجاهل أمانة الكتابة الفكرية ، بل هو يسقطها حين يضع سلمان رشدى فى موقع مشابه لموقف الكاتب نجيب محفوظ فى (أولاد حارتنا) .

والواقع أن النغمة الحادة التى يتحدث بها المؤلف تجمع بين عناصر مختلفة

تماماً .. فالأزهر والتطرف شيء واحد ، والخطاب الديني الرسمي وغير الرسمي سواء ، والعلماء هم (كهنوت) يمثل سلطة شاملة ، ومرجعاً أخيراً في شئون الدين والعقيدة .

وهو ينعى على الخطاب الديني أن يرد كل شيء في العالم إلى علة أولى هي (الله) ، ويرى أن ذلك إحلال لـ (الله) في الواقع ، ونفي للـ (إنسان) ، كما أنه إلغاء للقوانين الطبيعية والاجتماعية ، ويميل إلى مقولة الفكر الغربي بأن الله خلق العالم ثم تركه يدور ، كما أن صانع الساعة تركها تدور وحدها .

وهو يدافع بحرارة عن (الماركسية) الفكر الغارب ، ويبرئها من تهمة الإلحاد ، بل ويقول بخطأ تأويل الماركسية بالإلحاد والمادية ، ولعله يتصور أن ماركس كان مؤمناً روحي النزعة .

وقد تتبع الباحث فكر سيد قطب ، حتى فيما أثبتته نصوص القرآن ، فهو يستنكر أن يوصف المخالفون للإيمان بالكفر ، وكأنه اعتراض على القرآن ذاته الذي جاء فيه بأول سورة البينة : ﴿**لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة**﴾ [البينة : ١] ، كما جاءت آيات كثيرة في وصف المخالفين بالكفر .

وخلاصة القول : أن الباحث وضع نفسه مرصاداً لكل مقولات الخطاب الديني ، حتى ولو كلفه ذلك إنكار البديهيات ، أو إنكار ما علم من الدين بالضرورة .

ولسوف يطول بنا الحديث ولن ينتهي إلى نتيجة ، كما أن الكتاب كله لم يصل إلى أية نتيجة سوى تلك النغمة النقدية المسرفة .. فهو بحق : جدلية تضرب في جدلية ، لتخرج بجدلية ، تلد جدلية ، تحمل في أحشائها جنيناً جدلياً ، متجادلاً بذاته مع ذاته - إن صح التصور أو التعبير .

ليست هذه سخرية ، ولكنها النتيجة التي يخرج بها قارىء هذا الكتاب غير المنشور حتى الآن .

٣- الكشف عن أقنعة الارهاب (بحثاً عن علمانية جديدة) :

(مقال) مجلة أدب ونقد ويعلق الباحث بهذا المقال على كتاب صدر لغالى شكرى ، وهو يبدو فيه خائضاً فى أوحال السياسة والحزبية ، فهو ليس بحثاً علمياً ، ولكنه مجاملة لكاتب معروف الهويّة .. وبرغم ذلك فقد خلط مرة أخرى بتكرار ما سبق أن ذكره ويذكره دائماً فى كل مقال :

(إن إخضاع الفكر و الثقافة للسلطة الدينية السياسية يمتد أيضاً إلى العمق التاريخى لمجتمعاتنا ، لكن ذلك الإخضاع يتزامن فى الحلقة العربية مع إقرار مبدأ السيادة القرشية ، بعد إعطائه بعداً دينياً) .

ثم يقول :

(لقد كان مسموحاً فى عصر النبوة بتعدد القراءات للنص الدينى ، وهى القراءات التى تتلاءم مع واقع التعدد القبلى واللغوى فى الجزيرة العربية ، وقد تم إلغاء ذلك التعدد لصالح القراءة القرشية ، بواسطة عثمان بن عفان) .

ويقول :

(ومن الضرورى تأكيد أن الأساس الذى استند إليه مفهوم القرشية ، سواء فى بعده السلطوى الدينى ، أو فى بعده الثقافى .. أساس عصبى عرقى ، لا أساس ثقافى حضارى) .

وهذا كلام خطير لا يمكن قبوله إلا فى مجال معين من الانتماء الإيديولوجى الذى يعمد إلى تشويه تاريخ القرآن نتيجة عدم فهم العلاقة بين القرآن والقراءات .. بل وقصداً إلى هذا التشويه ، كأن المسلمين عرفوا فى عهد النبوة (قرآنات) كثيرة ، فوحدتها خيانة عثمان فى قرآن واحد .

والباحث فى هذا المقال يكشف أيضاً عن خلل فى الاعتقاد .. (إذ يرى أن الإلهى إذا تجلى فى اللغة يكاد يكون بشرياً ، وأن الإلهى تجلى فى القرآن (التنزيل) كما تجلى فى المسيحية فى صورة المسيح البشر ، ابن الإنسان) .

وهذا تصور غريب ومرفوض !!

ففى رأيه أن هناك جدلية (الإلهى / الإنسانى) ، وهى صيغة من التلازم بين طرفين لكل منهما أثر فى الآخر .. وهل هنالك إهانة للعقيدة أشنع من هذا ؟

وبقية المقال نوع من الدعاية السياسية لا ترقى إلى مرتبة العلم ، والبحث العلمى .. وهو يطالب بالتوجه إلى البحث عن علمانية جديدة (لمقاومة الردة السلفية ، والإرهاب والتطرف ، وفض الاشتباك بين الدين والسلطة ، وتحرير سلطة الدولة من سطوة رجال الدين ، ومن السيطرة الثيوقراطية الموغلة فى التخلف) .

وكأنه فى الواقع يتحدث عن مجتمع تحكمه الكنيسة فى قلب العصور الوسطى ، وهو إلى جانب ذلك نوع من الدعاية السياسية التى لا تعى هدفاً علمياً بحال من الأحوال .

٤- ثقافة التنمية وتنمية الثقافة :

مقالة فى مجلة القاهرة - ركز فيها الباحث على موضوع : (العقل العربى) وأنه محاصر بين سلطتين : سلطة النص الدينى ، وسلطة السياسة الحاكمة ، وأن ذلك لم يبدأ مع (صِفّين] ، التى كانت فيها الخديعة التاريخية للداهية عمرو بن العاص ، بل بدأت فى خلاف السقيفة بين المهاجرين من أهل مكة ، والأنصار من أهل المدينة ، فآل الأمر إلى سلطة قريش .

أى : إن أبا بكر كان يحكم باسم القبيلة ، وكذلك باقى الخلفاء الراشدين من سلطة التآمر .

وقد ذهب إلى أن عثمان كان يعمل لحساب قريش حين قضى على تعددية النص التى تمثلت فى السملح بقراءته وفقاً للهجات العربية المختلفة ، فألغى كل القراءات لحساب القراءة القرشية .

وهو كذب وجهل وافتراء .. أما الكذب والجهل فلأن القراءة لم تكن باللهجة .. بل هى بالرواية ، والقراءة سنة متبعة .. وأما الافتراء فهو القول بأن عثمان كان يعمل بنزعة قبلية ، استثماراً لمؤامرة السقيفة واستمراراً لطغيان قريش .

ولا ريب أن الباحث ناقل هنا عن مقالات لبعض المستشرقين من أمثال : [رجيس بلاشير] في كتابه (مدخل إلى القرآن) ، ويوشك من يقول بأقوالهم أن يزيغ كما زاغوا ، بل إنه يقطع في هذه الطريق أشواطاً أبعد مما قطع بلاشير .

وهو يرى من جانب آخر أن كل استبداد في السلطة الآن امتداد لتلك المرحلة حين سيطر التفكير الديني .. الغيبي .. التواكلي .. التبريري .. التواطئي .. وكل ذلك وصف للإسلام .

والجانب الغيبي عنده هو خرافة وأسطورة ، ويقول :

(ولاخلاص من تلك الوضعية إلا بتحرير العقل من سلطة النصوص الدينية ، وإطلاقه حراً يتجادل مع الطبيعة والواقع الاجتماعي والإنساني ، فينتج المعرفة ، التي يصل بها إلى مزيد من التحرر ، فيصقل أدواته ، ويطور آلياته) .

ولسوف نرى أنه يعني بالنصوص ما يشمل القرآن والسنة ، وهي دعوة خطيرة تكررت كثيراً في مواضع أخرى ، يريد بها نفي العلاقة بين العقل والنص القرآني بخاصة ، مستخدماً المزيد من المغالطات ، وتزييف المفاهيم ، مع أن النصوص الصحيحة لا تتصادم مع العقل بحال .

ثم نجده يخوض مرة أخرى في موقف الإسلام من القبلية ، فيردد أن الإسلام لم ينفها ، بل احتفظ لها بأهم خصائصها الثقافية متمثلة في اللهجة الخاصة ، إلى درجة السماح بتعدد قراءات النص الديني - القرآن - وفقاً للسان كل قبيلة ، وذلك ما عرف بالأحرف السبعة ، وهو رأي مردود على صاحبه ، لا يقبل منه إطلاقاً ، ولأنه يمثل إساءة إلى القرآن ذاته ، عن جهل فاضح لم يكلف نفسه عناء البحث عن الحقيقة في مظانها .

ويمضي في تجاوزاته إلى درجة أن يتهم القرآن بأنه (لم ينج من آثار عمليات المحو والإثبات تلك) ، ويبني ذلك على ادعاء الشيعة أن القرآن محيت

منه عمداً النصوص الدالة على إمامة على ، ولا يكلف نفسه مرة أخرى عناء البحث عن حقيقة هذا القول الذى لم يقل به إلا الشيعة الغلاة ، فأما الإمامية فإن موقفهم هو موقف أهل السنة تماماً ، من تنزيه القرآن عن المحو والإثبات . . فماذا بقى لهذا القائل من آثار المنهج السليم ؟ .

وينتهى الباحث إلى نوع من الاختلاط فيقول :

(إن المسلم لا يعلم عن المسيحية إلا ما يقوله الوعاظ خطباء المساجد ، ولا يكاد المسيحى بالمثل يعلم عن الإسلام إلا ما تبثه أجهزة الإعلام ، وما يقال فى شبه سرية داخل المؤسسات المسيحية التى لا تجرؤ على المناقشة الحرة للإسلام ، وبالقدر الذى تناقش به المسيحية فى أروقة المساجد وعلى المنابر) .

أى : إن المسلمين يتجنون على المسيحيين ، وكأنه يبذر الحَبَّ لفتنة طائفية ، وهذه فى الواقع سمادير لا يقول بها كاتب مفيق .

والمقال ملىء بالاختلاط الذى لا يقبل من باحث يزعم أنه نزيه ومحايد ، وهو يتظاهر بالموضوعية والعلم .

٥- التراث بين الاستخدام النفعى والقراءة العلمية :

مجلة أدب ونقد – سلطة النص فى مواجهة العقل .

مقال يعتمد على ما قدمه الدكتور زكى نجيب محمود من تأملات ورؤى فى كتابه (حصاد السنين) ، ولكنه يكرر ما سبق ذكره فى كتابه عن الشافعى عن الوحى والسنة ، وكيف لفق الشافعى موقفاً ينصر فيه النص على العقل ، وتعرض للعلاقة بين الدين والتراث ، كما تعرض للفكرة التى كررها دائماً من تحول الإسلام إلى مشروع قبلى نتيجة اجتماع السقيفة ، فصارت الدولة قبيلة .

ولا جديد فى هذه المقالة ، فهى ترديد لأفكار متفرقة فى سائر المقالات ، والنغمة واحدة ، والموضوع واحد ، وهو التراث وتأويله وتحديده ، وموقف الآخرين منه .

٦- قراءة التراث فى كتابات أحمد صادق سعد :

وهو مقال سياسى ألقى فى ندوة عن (إشكاليات التكوين الاجتماعى - الفكريات الشعبية فى مصر) - تحت النشر .

ولما كان الموضوع حملة على الخطاب الدينى فإنه يتهم الدعوة إلى (الاقتصاد الإسلامى) بأنها دعوة إلى الخطاب الدينى الإرشادى الوعظى ، الذى يستهدف تمرير نظام اقتصادى استغلالى قاهر يدافع عن الملكية الخاصة ، ويترك الأسعار لآليات السوق وقانون العرض والطلب . . . ثم يختم : إنها الرأسمالية المستغلة الغليظة ، والتى اختفت من معاقلها الأصلية لحساب التخطيط والتوجيه والتدخل المباشر أحياناً - تمرر باسم الإسلام استناداً إلى تراثه .

وفى البحث قراءة لأفكار أحمد صادق سعد وآرائه فى كتاب (الخراج) لأبى يوسف - الفقيه الحنفى ، الذى صار فى تقديره فقيه السلطة .

والموضوع على أية حال لا أهمية له ، فالمتحدَّث عنه مجهول ، وهو ذو هوية خاصة تلعب دورها فى دمشق على أنقاض (التراث) .

٧- إهدار السياق فى تأويلات الخطاب الدينى :

تحت النشر - وهو بحث يدور فى نفس المدار السابق بكل جدلياته ، غير أنه يضيف مناقشة كتاب لمؤلف حديث يتحدث عن قضايا الناسخ والمنسوخ ، والتنجيم ، وإعجاز القرآن ، والتأويل العلمى ، والمحكم والمتشابه . . . إلخ . .

وهو يبدأ مناقشته للكتاب بمقدمة يذكر فيها قوله :

(يتم فى تأويلات الخطاب الدينى للنصوص الدينية إغفال مستوى أو أكثر من مستويات السياق التى ناقشناها فى القسم الأول ، وفى كثير من الأحيان يتم إغفال كل المستويات لحساب الحديث عن نص يفارق النصوص الإنسانية من كل وجه . . إن التصورات الأسطورية المرتبطة بوجود أزلى قديم

للنص القرآنى فى اللوح المحفوظ باللغة العربية ما تزال تصورات حية فى ثقافتنا) .

وهذا الكلام الغريب ناشئ عن المقولة التى يؤمن بها .. وهى « أن القرآن منذ نزل على محمد أصبح وجوداً بشرياً ، منفصلاً عن الوجود الإلهى » - فإعجاز القرآن بهذا المعنى أسطورة ، وكونه كلام الله أسطورة ، وانتماءه إلى المصدر الغيبى أسطورة ، فهو يتحدث بحسم عن أسطورة وجود القرآن فى عالم الغيب ، إنكاراً لما لا يقع تحت الحس ، وعالم الغيب لا يصلح (موضوعاً) للفكر ، بل هو موضوع للاعتقاد فقط ، فضلاً عن استخدام كلمة (أسطورة) فى وصف وجود القرآن وهو تعبير لا يليق ، إن لم يكن تجاوزاً قبيحاً .

٨- محاولة قراءة المسكوت عنه فى خطاب ابن عربى :

مقال فى مجلة الهلال .. وهو مقال قصير يحاول إدراج القرآن فى إطار محاولة ابن عربى ، باعتبار القرآن جزءا مندمجاً فى كل ، ومع أنه ذكر فى العنوان أنه يتحدث عن المسكوت عنه عند ابن عربى - فهو لم يقدم شيئاً من هذا الوعد ، وانتهى المقال كما بدأ بلا هدف سوى استخدام بعض الكلمات التى صيغت صياغة جديدة مثل: التماهى ، والتناص .. وهو يرى أن « إعجاز القرآن ليس إلاّ فى تغلبه على الشعر وسجع الكهان ، ولكنه ليس معجزاً فى ذاته .. » . وهو كلام أشبه بالإلحاد .

وهو إلى جانب ذلك يدور حول الأفكار المكررة : قراءة النص - مضمون الخطاب - إشكالية القراءة ، ويكفى أن يكون ابن عربى بشطحاته محور الحديث ليقع الباحث فى نفس الشطح .. يقول:

(من هنا نفهم حرص ابن عربى على تأكيد أن خطابه ليس من إبداعه هو ، بل هو من مصدر إلهى مقدس ، وابن عربى مجرد مبلغ ، وهذا معناه أنه مرتد إلى الأصل والمنبع (الله / اللغة) - وهذا تعبير شاطح عن الذات الإلهية ، إلى جانب أنه يوشك أن يجعل ابن عربى نبياً يوحى له .

٩- مفهوم النص : الدلالة اللغوية :

مقال فى مجلة (إبداع) .. والهدف من هذا المقال هو الكشف عن بعض خصائص الثقافة العربية الإسلامية فى جانبها التراثى التاريخى ، وهو يعالج بعض المسائل عند الإمام الشافعى وعند الزمخشرى فى إطار بحثه عن مفهوم كلمة (النص) .

ثم يشفع هذا المقال بآخر عن (مفهوم النص : التأويل ، مفهوم الثقافة للنصوص) وهو مكمل لسابقه .. وكله كلام مستقى من عمل سابق للباحث عن (مفهوم النص) - تقدم به فى مشروع ترقيته السابقة لأستاذ مساعد .

١٠- التأويل فى كتاب سيبويه :

مقال فى مجلة ألف - الجامعة الأمريكية .. وهو يدرس طريقة سيبويه فى التأويل ، وهو منهج أفاده من علم الكلام ، وقد اقتصر على مجموعة قليلة من الأمثلة ، إلا أنه يدل على فهم صاحبه لظاهرة (تنافذ) فروع الثقافة الإسلامية ، وهو مقال يحسب للباحث .

١١- الإنسان الكامل فى القرآن :

مقال باللغة الإنجليزية من ٢٢ صفحة .. عن بذور المفهوم الصوفى للإنسان الكامل فى القرآن ، وقد أرفق الباحث بصورة المقال ملخصاً من صفحتين بالعربية ، وهو يستقى صفات الكمال الإنسانى من الفهم الصوفى لقصة الخلق .. (نشاط ثقافى) .

١٢- اليوشيدو (روح اليابان) :

دائرة الشئون الثقافية العامة ، بغداد .. ترجمة مع مقدمة عن اليابان ودخولها فى التاريخ الحديث . (نشاط ثقافى) .

١٣- مركبة المجاز - من يقودها ؟ وإلى أين ؟

مقال بمجلة ألف .. بحث يجمع بين اتجاهات عديدة فى الفكر الإسلامى ،

وهى اتجاهات تتناقض أحياناً ، ولكنه يدرس (المجاز) دراسة جادة كما تصوره عبد القاهر فى كتابه (أسرار البلاغة) .

غير أنه - بعد أن يمر بمستويات الدراسة المختلفة - يختم البحث ختاماً سياسياً دراميا ً ينتقد فيه أيضاً الخطاب الدينى الذى يحاول تجاوز الازدواجية فى التصور الدينى ، الناشئة عن الازدواجية اللغوية ، فإذا هو بذلك يخدم الأوضاع السائدة فى العالمين العربى والإسلامى .. يقول فى النهاية :

(تتعدد أشكال النظم السياسية فى عالمنا ، بين الملكى والجمهورى ، نظام الحزب الواحد ، والتعددية الحزبية ، نظم مدنية ، وأخرى عسكرية - لكنها تتفق جميعاً فى طابعها التسلطى القاهر .. فى عالمنا يتوحد شخص الحاكم بالوطن ، ويستوعبه داخله ، بحيث يضحى نقد الحاكم خيانة للوطن ، ويصبح الخلاف معه مروقاً من الدين ، وهرطقة وإلحاداً - هذا على المستوى السياسى ، أما على مستوى الفكر والثقافة فالمأساة لا تقل فداحة .. فالخطاب العربى فى مجمله يتعامل مع المجاز بوصفه حقيقة ..) .

وهكذا لم يستطع الباحث أن يتخلص من نبرته النقدية ، حتى ولو انعدمت العلاقة بين طرفى الحديث إلى حد الغربة بينهما .

ولكن البحث ذو مضمون بلاغى ، وهو يتناول قضايا عقدية خلافية قديمة بأسلوب مقبول .

الخلاصة

وخلاصة القول أن الباحث يدور فى فلك مفهومين لا ثالث لهما . . هما : التراث والتأويل ، وهما فى الواقع تخصصه الدقيق ، فإحدى رسالتيه كانت عن الاتجاه العقلى فى التفسير (دراسة فى قضية المجاز فى القرآن عند المعتزلة) ، والأخرى عن (فلسفة التأويل : دراسة فى تأويل القرآن عند محيى الدين بن عربى) . . وكل ما كتبه تقريباً يمتاح من روح هاتين الرسالتين .

وطابع الإنتاج قريب من علم الكلام ، والعقيدة ، مع تحكيم النظرة المادية المنكرة لحقائقهما الجاحدة لمعطياتهما ، فلم يخرج الباحث عن الإطار الذى وضع داخله رسالتيه للماجستير والدكتوراه ، فى العناوين أو فى الموضوعات .

ولما كان مذهب الباحث مرفوضاً على مستوى القراء ، أو مستوى المتخصصين فى الثقافة الإسلامية - فإنه لم ينشر أعماله إلا فى مجلات محدودة الانتشار ، وغير محكمة أحياناً ، مخافة رد الفعل الذى يتوقعه قطعاً .

والكتاب الذى قدمه مطبوعاً ، قدم إلى اللجنة فى شكل تجربة [بروفة] حصل بها على رقم إيداع فى دار الكتب ، ثم أحجم عن دفعه إلى السوق ، لما يتضمنه من مفاهيم مرفوضة على كل مستوى .

والرأى فى أعماله المقدّمة :

١- كتابه عن (الإمام الشافعى) خفيف الوزن علمياً ، لا يُقَوّمُ به الباحث مع ما سبق أن سجلناه من آراء منحرفة لا تليق أن تنشر عن الإمام العظيم .

٢- الأعمال من ٢ - ٩ تعتبر عملاً واحداً لوحدة الاتجاه ، وبصرف النظر عن محتواها . . فأما المحتوى فالرأى فيه أنه خليط من فكر وأيديولوجية ، ونقد ، وتطرف ، وجدلية . . وبذلك تاهت هوية الباحث ، فلم يظهر توجهه فى إطار مواد اللغة العربية ، أو الثقافة الإسلامية .

٣- والعملان ١٠ و ١٣ - بحثان مقبولان يحسبان له عملاً واحداً ، نظراً إلى ضآلة حجم كل منهما .

٤- والعملان ١١ و ١٢ نوع من النشاط الثقافى .

وبذلك نرى أن الأعمال التى تقدم بها السيد الدكتور نصر حامد أبو زيد تحتاج إلى إعادة نظر وتنقية ، كما تحتاج إلى إضافة جديدة ، تتصل اتصالاً كاملاً بمواد الدراسة التى تدرس فى قسم اللغة العربية بكلية الآداب .

فالإنتاج المقدم لا يرقى إلى درجة أستاذ بقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة القاهرة .

والله ولى التوفيق ،،،

ا. د. عبد الصبور شاهين

* * *

تقرير د. محمد البلتاجى فى « قضية » أبو زيد يكشف أخطاء فقهية وتاريخية خطيرة

تقرير يكتبه : شعبان عبد الرحمن

جريدة الشعب - العدد : ٧٣٣ الجمعة ٩٣/٤/١٦

« المناحة العَلْمَانية » مازالت منصوبة فى زوايا الصحف والمجلات إياها ضد قرار مجلس جامعة القاهرة بعدم الموافقة على ترقية نصر أبو زيد لدرجة أستاذ بناء على التقرير العلمى للجنة العلمية الدائمة ، التى تضم أكبر وأقدر الأساتذة على مستوى جامعات مصر .. بل والعالم العربى والإسلامى .

ومع أن اللجنة ترفض كثيراً ترقية العديد من الأساتذة وتطالبهم بتحسين إنتاجهم فيستجيبون دون ضجة أو احتجاج وذلك أمر طبيعى فى الجامعة .. إلا أننا فى حالة « نصر أبو زيد » فإن الدنيا قامت ولم تقعد حتى الآن ولا يعلم إلا الله متى تقعد ! .. فيبدو أن حالة « نصر أبو زيد » عندهم ظاهرة فريدة من نوعها فى العالم أجمع ولذلك فهو - عندهم - أكبر من اللجان العلمية ، وأعظم من أن تعرض أعماله على الأساتذة حتى ولو كانوا أكبر منه علماً وخبرة ..

والمسألة الآن صارت أكبر من ذلك .. فالعلمانيون داخل الجامعة - بالتعاون مع العلمانيين خارجها - يسعون سعياً حثيثاً لتوسيع المسألة ، أو بمعنى آخر لهدم الجامعة على من فيها لأنها قالت لرجل داخلها يسب الدين : قف مكانك وعدِّل إنتاجك !

فى داخل الجامعة دفعوا بالطلاب وبعض الأساتذة الذين لا شأن لهم بالمسألة إطلاقاً للتدخل ، حيث جمعوا توقيعات خمسمائة طالب وسبعين أستاذاً فى مذكرات لتقديمها للجامعة تعلن الاحتجاج على ظلم الدكتور نصر أبو زيد ، وتطالب بترقيته رغم أنف اللجنة العلمية ورغم أنف مجلس جامعة القاهرة .

وهنا نعيد تأكيد ما سبق أن قلناه من أننا كنا نفضل أن تظل هذه القضية داخل حرم الجامعة خاضعة لمناقشتها العلمية المتخصصة دون تدخل من أحد ، فى إطار احترام التقاليد الجامعية الراسخة .. ولكن العلمانيين حولوها معركة كلامية أهانوا فيها تقاليد الجامعة ، وعدالة اللجان العلمية ، وخرجوا بالقضية بعيداً عن ساحتها الأصلية وهى « الجامعة » ، وحوار أهل العلم ، بل وزجوا بالطلاب وعدد آخر من الأساتذة فى القضية ، وتلك سقطة مدوية ..

إن لم تكن هذه هى الفوضى بعينها والإرهاب بعينه ، والغوغائية بعينها فماذا تكون ؟!! إذا كان هناك من يحرض الطلبة للطعن فى رأى أكبر الأساتذة فى الجامعة ، ويحرضهم للتشكيك فى قراراتهم العلمية كذلك ومعهم أساتذة يداً بيد .. فهل يمكن لأحد بعد ذلك أن يطالب الطلاب باحترام أساتذتهم ، وهل يكون لأحد « عينٌ » بعد ذلك أن يطالب باحترام العلم وتقاليد الجامعة العريقة ؟!! وهذا ما يعنينا بالدرجة الأولى ، وماذا يكون الموقف لو رسب طالب فى الامتحان ؟ هل نلومه إذا قاد مظاهرة للاحتجاج ؟ وهل نجرمه إذا اعتدى على أستاذه بدعوى أنه ظلم ؟.. إنها الدعوة الغوغائية لهدم الجامعة على من فيها .

بل وماذا يكون موقف شلة العلمانيين طالما ارتضوا هذا المبدأ إذا تم جمع توقيعات ٧٠٠ أستاذ بدلاً من سبعين ، وخمسين ألف طالب بدلاً من خمسمائة تطالب بطرد د. نصر أبو زيد ود. جابر عصفور ود. سيد النساج ود. حسن حنفى مثلاً ؟ هل سيستجيبون لهذه المطالبة أم ماذا سيكون موقفهم !

والغريب أنهم فى الوقت الذى فجروا فيه ثورتهم المسعورة ضد الجامعة

وعلمائها تأييداً لنصر أبو زيد بزعم حرية الفكر وحرية الاعتقاد - وهو الزعم الذى تعودناه فى دفاعهم عن كل واحد يسب دين الله - نجدهم على صفحات واحدة مع من أو كلوهم يتحرشون بالدكتور عمر عبد الكافى ويطالبون بمحاكمته ومنعه من الكلام ، وربما منعه من أن يرى الشمس بعد ذلك .. مع أن الرجل يقول كلاماً وفكراً .. ونحن هنا لا نناقش صحته أو عدم صحته ، وإنما نناقش مبدأ حرية الفكر التى يتشدقون بها .. فهى لمن يسب الدين عندهم محفوظة ومصانة ، ولمن يتكلم فى الدين فهى الخطر والفتنة بعينها .. ألا يستحون .. اثبتوا على مبدئكم مرة وكفى زيفاً .

* * *

هذا هو نص التقرير الذى أعده الأستاذ الدكتور « محمد بلتاجى حسن » عميد كلية دار العلوم وأستاذ الفقه وأصوله عن عمل واحد من أعمال الدكتور « نصر أبو زيد » وهو (الإمام الشافعى وتأسيس الأيديولوجية الوسطية) .. والدكتور محمد بلتاجى هو عضو مجلس جامعة القاهرة منذ ٧ سنوات متتالية.. وعضو اللجنة العلمية الدائمة فى الشريعة الإسلامية ، وقد أشرف سيادته حتى الآن على أكثر من ٣٠٠ رسالة دكتوراه فى الشريعة وأصول الفقه فى مصر والدول العربية والإسلامية ، وهو عضو مُحَكِّم فى لجان ترقيات الأساتذة فى جميع جامعات الدول العربية والإسلامية .. وقبل أن نعرض لنص التقرير التقيت مع الدكتور البلتاجى لمعرفة ملابسات إعداده لهذا التقرير ورأيه فى القضية برمتها فقال :

قرأت أعمال الدكتور نصر أبو زيد وأعددت فيها هذا التقرير لاعتبارين :

الاعتبار الأول : باعتبارى عضواً فى مجلس الجامعة الذى كان يستعد لنظر تقريرى مجلس قسم اللغة العربية وكلية الآداب المتعارضين مع تقرير اللجنة العلمية الدائمة للترقيات فى الأدب العربى ، فأردت قبل انعقاد المجلس بشهر كامل أن أكوِّن فكرة صحيحة عن إنتاج الدكتور نصر .

ويلفت الدكتور البلتاجى النظر إلى أن مجلس القسم ومجلس الكلية لا يكافئان أبداً اللجنة الدائمة من الناحية العلمية .. فهذه اللجنة مكونة من كبار الأساتذة فى مصر ولعضويتها شروط كبيرة .

ومن حيث اللائحة والمكانة العلمية فإذا حدث تعارض بين تقرير اللجنة ومجلس القسم والكلية يكون القرار حسب اللجنة - إلا فى حالة واحدة - هى أن يكشف مجلس القسم أو الكلية عن تناقض فى صلب تقرير اللجنة العلمية ذاته .. وفى حالة « نصر أبو زيد » لم يكشف تقرير القسم أو الكلية عن مثل هذا التعارض ، ولكنهم جعلوا رأيهم فى مواجهة رأى اللجنة العلمية .. ولو كان النظام يعطى مجلس القسم أو مجلس الكلية حقاً أصيلاً فى نظر الإنتاج ويجعل منهما مكافئين أو متفوقين على اللجنة العلمية لتم إلغاء اللجان العلمية نهائياً .. إذ لم يعد لها أية ضرورة ، ولعاد النظام كما كان من قبل .. إذ كان مجلس القسم ومجلس الكلية مخولين بالترقيات حتى تم إنشاء اللجان العلمية فى بداية السبعينات لتكون صاحبة الرأى الأول لأنها تضم أساتذة من جميع الجامعات المصرية بخلاف القسم والكلية .

الاعتبار الثانى الذى من أجله أعددت هذا التقرير فهو أن الدكتور نصر قد كتب فى صلب تخصصى وهو الفقه وأصوله .. وهذا ليس تخصصه هو .

ويوضح الدكتور البلتاجى أنه أعد تقريره بشأن كتاب واحد للدكتور نصر لأنه هو الإنتاج الوحيد المطبوع له وباقى الإنتاج قدم فى صورة « صور » ولا ندرى هل هى مطبوعة أم مجموعة على الآلة الكاتبة .. والمفروض أن يقدمها فى صور كتب مطبوعة ، أو أبحاث منشورة فى مجلات متخصصة فى الإسلاميات (مجلات متخصصة محكمة) .

ويشير الدكتور البلتاجى إلى أن هناك تعاوناً بين اللجنة العلمية للآداب واللجنة العلمية للشريعة التى أنا عضو بها وخاصة عندما تكون هناك أعمال فى « الشريعة » .

يؤكد الدكتور بلتاجى أن « نصر أبو زيد » كتب فى تخصصات أصول الفقه (الشريعة) وليس اللغة العربية أو الدراسات الأدبية واللغوية .. وما كتب فيه هو تخصص لجنة الشريعة .. ومن هنا جاء تقريرى هذا .

وأحب أن أؤكد أيضاً - والكلام مازال للدكتور بلتاجى - أنه ليس محرماً على أى باحث أو أى مسلم الكلام أو الكتابة فى الشريعة ، ولكن عليه فقط - إذا أقحم نفسه بدون علم - أن يتحمل المسئولية العلمية عن ذلك .

وأنا إذا كنت قد أعددت تقريراً بسيطاً من تسع صفحات عن إنتاج واحد له ، فإن بقية انتاجه يحتاج إلى كتاب كامل ملىء بآلاف الأخطاء البديهية فى علم أصول الفقه .. وما وقع فيه نصر أبو زيد من أخطاء لا يمكن أن يقع فيه معيد يدرس فى قسم الشريعة ، فهل يعقل أن يسمح لنصر أبو زيد أن يجرى هذه الأحكام على الإمام الشافعى ، وهو ليس إماماً عادياً ، فهو منشىء علم أصول الفقه ؟!

ويعجب الدكتور بلتاجى من أمر هؤلاء متسائلاً : هل يكون رفض نصر أبو زيد للقرآن والسنة حرية فكرية .. فإذا انتقده أساتذته تكون جريمة ؟!

ويعلن د. بلتاجى تحديه الكامل لنصر أبو زيد وكل من يؤيدونه أن يردوا رداً علمياً على أى خطأ علمى أورده فى تقريره أو تقرير اللجنة العلمية ويكرر تأكيده لهم : دعكم من اللف والدوران حول الموضوع .. وبصرف النظر عن العقيدة .. نتحداكم مرة أخرى أن تردوا على خطأ واحد رداً علمياً .. وها هو التقرير بكل تفاصيله .. أمام الناس .

(ثم أورد التحقيق نص التقرير) ، وجاء فى خاتمته .

دكتور محمد بلتاجى حسن

أستاذ الفقه وأصوله - عميد كلية دار العلوم -

جامعة القاهرة - ١٩٩٣/٢/٢٣ م

تقرير عن كتاب :
« الإمام الشافعى وتأسيس الأيديولوجية الوسطية »

للأستاذ الدكتور / مصطفى الشكعة *

الكتاب من تأليف الدكتور نصر حامد أبو زيد ، ويقع فى مائة وعشر صفحات من القطع المتوسط ، وقامت بنشره شركة « سينا للنشر » سنة ١٩٩١ م .

يشتمل الكتاب على مقدمة وأربعة فصول هى على الترتيب :

الكتاب ، ثم السنة ، ثم الإجماع ، ثم القياس - الاجتهاد . .

ويضم كل فصل من هذه الفصول عدداً من القضايا التى اختارها الباحث وعمد إلى مناقشتها .

والكتاب مجموعة من النصوص المختارة من كتاب « الرسالة » للإمام الشافعى ، عمد الباحث فى اختيارها إلى الطريقة الانتقائية ، ثم عرضها للمناقشة بطريقة فجة من منطلق أحكام مسبقة مستقرة فى خاطره ، يسيطر عليها النهج الجدلى والفكر الماركسى ، ومن ثم جاءت أحكام الباحث خالية من الجدة ، بعيدة عن الموضوعية .

هذا ويضع الباحث نفسه على قدم المساواة مع الإمام الشافعى ، وربما غلا فى تقدير فكره الذاتى ، فاستباح لنفسه أن يتحرش بالإمام ، ويتطاول عليه ، ولايقف الأمر بالباحث عند ذلك ، وإنما ينطلق إلى الهجوم على الصحابة وعلماء

(*) قام الأستاذ الدكتور مصطفى الشكعة بكتابة التقريرين التاليين بتكليف من الأزهر الشريف .

الإسلام الأعلام ، وهو فى مسيرته هذه يهجم على قيم الإسلام كدين وعلى القرآن ككتاب لهذا الدين ،مع تعريض غير كريم برسول الإسلام ﷺ .

والكتاب فى جملته يحمل طابع الاستفزاز لمشاعر المسلمين ، كما أن الباحث نفسه يحمل شحنة كبيرة من كراهية الإسلام وكتاب الإسلام وعلماء الإسلام .

وفضلاً عن ذلك كله فإن الباحث يجهل الكثير من العلوم الإسلامية التى تؤهله للاقتراب من الموضوع الذى كتب فيه ، وذلك على مستوى التاريخ الإسلامى والمذاهب أو الفرق الإسلامية وعلوم الحديث ومصطلحه ، إلى غير ذلك مما سنتعرض له بشئ من الإيضاح .

الشافعى وتأسيس السنة :

يقول الباحث الدكتور نصر حامد أبو زيد : « إن تأسيس السنة كانَ هَمَّ الشافعى الأول » ، وهو قول خاطئ فى ظاهره وباطنه ، وتلك هى عبارات الباحث بنصها :

« يكاد القارئ لكتابات الشافعى أن يجزم أن تأسيس السنة هَمّ من هموم مشروعه الفكرى إن لم يكن بالفعل همه الأساسى لذلك لايجب أن يغيب عن بالنا المغزى العام للقب الذى أطلق عليه : ناصر السنة » [صفحة ٧] .

وإن القارئ الفطن يجد أن الفرق شاسع بين تعبير مؤسس السنة ، وناصر السنة ، ومن الوضوح بمكان أن الشافعى لم يؤسس السنة ، لأن السنة هى أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته ، فإذا افترضنا أن الباحث أخطأ التعبير ، وأنه قصد أن الشافعى أراد أن يجعل السيادة للسنة ، كان الجواب أن أحداً من أئمة المسلمين وفقهائهم المعتد بآرائهم إسلامياً لم يفرط فى السنة ، ولم يهملها قيد أنملة قبل الشافعى وبعده .

إن الباحث - والأمر كذلك - تخلو خلفيته الإسلامية تماماً من مفهوم السنة ومسيرة العمل بها وفعاليتها عند سائر فقهاء المسلمين منذ أن أسسها صاحبها ﷺ، وخلال القرون المتتابعة إلى يومنا هذا وإلى أن تقوم الساعة إن شاء الله ..

الشافعى يؤسس عروبة القرآن :

تلك هى عبارة الباحث ، وهى كالآتى : « يتبين مما سبق أن الشافعى وهو يؤسس عروبة القرآن بالمعنى والدلالات السابقة كان يفعل ذلك من منظور أيديولوجى ضمنى فى سياق الصراع الشعوبى الفكرى الثقافى » [صفحة ٢٧].

إن الباحث أساء إلى القرآن الكريم إساءة بالغة بأكثر مما أساء إلى الإمام الشافعى .. إنه ينكر بشكل مباشر أن القرآن كتاب الله ، لأن عروبة القرآن التى نسب الباحث تأسيسها إلى الإمام الشافعى مقررة من لدن منزله عز وجل فى العديد من آيات الكتاب العزيز التى منها قوله تعالى :

﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربى مبين * ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥] .

﴿ وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرّفنا فيه من الوعيد .. ﴾ [طه: ١١٣] .

﴿ كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون ﴾ [فصلت: ٣] .

﴿ إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون ﴾ [الزخرف: ٣] .

هذا من ناحية ، ومن جانب آخر اتهم الباحث الإمام الجليل محمد بن إدريس الشافعى بأنه اتخذ القرآن الكريم أداة لما تصوره من صراع شعوبى بين العرب وغير العرب من المسلمين ، وهو كلام على جانب قطعى من الخطأ ، تردى فيه الباحث بسبب الجفوة القائمة بين فكره وبين كل ماهو قرآنى ، ذلك أن ثمت صراعاً وقع بين فرقاء من العرب وبين آخرين من غير العرب فى فترة ما من

تاريخ المسلمين ، ولكن من المقطوع به أن أياً منهم لم يحاول أن يتخذ من الكتاب العزيز أداة فى هذا الصراع ، خاصة وأنه صراع سياسى ولم يكن صراعاً دينياً .

الباحث يعيب على الشافعى تمسكه بالنصوص :

يدعى الباحث الدكتور أبو زيد أن الإمام الشافعى حين يلتزم بنص ما أنزل الله يكون بذلك يخوض « معركة ضد أهل الرأى تكريماً لسلطة النصوص » [صفحة ١٠٠] ، بحجة أن الشافعى يرفض إعطاء باقى الميراث للأخت التى توفى أخوها ، ولم يترك ورثة غيرها ، فالباحث يريد أن تأخذ الأخت جميع ماترك أخوها المتوفى من ميراث ، ويسمى ذلك اجتهاداً ، بينما يقول الشافعى لمن يذهب بهذا المذهب : « إذن تكون ورّثتها غير ما ورثها الله » . .

إن الباحث يعلل موقف الشافعى تعليلاً تعسفياً ، ويتهمه بأنه : « كان يناضل من أجل القضاء على التعددية الفكرية الفقهية » [صفحة ١٠١] .

واقع الأمر أن موقف الشافعى ليس نضالاً من أجل القضاء على ما تخيله الباحث تعددية فكرية فقهية ، ولكنه احترم النص والتزم بالقاعدة الشرعية التى ينكرها الباحث وهى : « لا اجتهاد مع النص » . .

والحاصل هنا أن الباحث لايتعامل مع القضايا الشرعية بمقاييسها الإسلامية ، ولكنه يقيمها على معايير ذاتية من فكره المادى الماركسى الذى يرفض ما هو سماوى .

الباحث يتعالى على الشافعى مقاماً :

الباحث الدكتور أبو زيد لايعرف التواضع فى الحوار ، ولاكيف يتعامل مع أئمة الأمة ، فهو حين يدرس قضية من كتاب - وهو هنا يعرض لكتاب الرسالة - لايرتاد منهج الباحثين فضلاً عن كونه أقل من تلميذ لتلاميذ الشافعى ، وإنما يجعل من نفسه نداً لمن يحاوره من علماء الأمة ، هذا إذا جنح إلى التواضع ، أما فيما عدا ذلك فهو يضع نفسه موضع المتعالم المترفع . . فمن أمثلة ذلك قوله : « من

غير المفيد أن نناقش الشافعى قائلين إن الاستحسان لايخالف نصاً فى كتاب أو سنة قائمة » [صفحة ١٠٦] .

أو قوله : « من غير المفيد أن ندخل فى سجال - مع الشافعى - فالأمر لم يكن أمر مفاضلة على المستوى المعرفى الخالص ، بل كان أمر تكريس لسلطة النصوص » [صفحة ١٠٧] .

هذا فضلاً عن بعض عبارات التطاول فى العديد من صفحات الكتاب . . [صفحة ١٢ ، ١٣ ، ١٥] . .

الباحث يجهل علم الحديث ومصطلحه :

سلف القول بأن الباحث يعرض لنقد موضوعات معينة دون سابق معرفة بطبيعة المادة التى يعرض لنقدها ، إن الذى يعرض لكتاب الرسالة دراسة أو نقداً لابد له من أن يكون دارساً العلوم المتصلة به ، أو ملماً بها على أقل تقدير ، ولكن الباحث الدكتور أبو زيد أثبت أنه قليل البضاعة فى علوم الحديث التى تشكل الركن الأساسى فى الكتاب النفيس الذى تجاسر على التعرض له بغير استعداد علمى وهو كتاب « الرسالة » للإمام الشافعى .

إن الباحث يقول مرة : « إن الفقهاء قسموا مرويات السنة إلى نصوص قطعية هى المتواترات والمشهورات . . والنصوص الظنية وهى أحاديث الآحاد » [صفحة ٦٠] .

ثم لايلبث الباحث أن يرجع عن رأيه وينسب هذه التقسيمات إلى الإمام الشافعى . . ويعيب عليه تمسكه بأحاديث الآحاد ، والدفاع عنها [صفحة ٦٦ ، ٦٧] .

ومن الوضوح بمكان أن الباحث أخطأ فى الحالتين :

حالة نسبة هذا التقسيم إلى جمهرة الفقهاء فى المرة الأولى ، وحالة نسبته إلى الإمام الشافعى فى المرة الثانية ، لأن هذا التقسيم الثلاثى هو تقسيم

السادة الأحناف ، على حين يقوم جمهرة علماء السنة بتقسيمها من حيث الرواية إلى متواتر وآحاد .

ويخطئ الباحث مرة ثالثة ، حين ينسب إلى الشافعى قبول المراسيل رغم احتمالات الخطأ على حد تعبيره . .

يقول الباحث مانصه : « ولاشك أن قبول الشافعى للمراسيل رغم احتمالات الخطأ التى صورها تصويراً قوياً ، كاشف عن طبيعة المشروع الذى يريد أن يصوغ الذاكرة على أساس الحفظ ومرجعية النصوص حصراً لدور العقل والاجتهاد وحرية الفكر » [صفحة ٧٤-٧٥] .

الصواب أن الإمام الشافعى ماكان يوماً معطلاً لدور العقل وحرية الفكر لأنه إمام كبير يعرف كيف أن الله أنعم على الإنسان بنعمة العقل ليستعمله فى التوصل إلى معرفة ذاته جل وعلا ، وليستخدمه فيما ينفعه وينفع الناس فى شئون دنياهم وآخرتهم ، اللهم إلا إذا كان الباحث يقصد بحرية الفكر تلك الحرية التى ينتهجها شخصياً فى النيل من كل ماهو إلهى وإسلامى وإيمانى ، وهذه لاتكون حرية وإنما تكون فوضى . .

تلك واحدة . . والثانية أنه ليس صحيحاً ماكرره الباحث من أن الشافعى قبل المراسيل على علاتها ، فذلك خطأ صريح ، وكانت الأمانة العلمية تقتضى الباحث - فيما لو كان ملماً بتفاصيل الموضوع الذى يتصدى للكتابة فيه - ألا يصدر حكماً بناء على نص مبتور أو مجزوء ، إذ أن الأحكام لاتصدر إلا بعد الوقوف على النص كاملاً ، وهو مالم يفعله الباحث فجاءت أحكامه معيبة . .

الصواب أن الشافعى قبل المراسيل ، ولكنه لم يقبلها على علاتها ، وإنما وضع لقبولها شروطاً كان على الباحث أن يذكرها ، فما اتفق منها مع الشروط التى وضعها الإمام كانت مقبولة عنده ، وما لم يتفق مع الشروط صرف النظر عنها ولم يأخذ بها .

الباحث يجهل تاريخ (الاعتزال) الذى يدافع عنه :

يقول الباحث الدكتور نصر أبو زيد مانصه :

« من الطبيعي - وقد أخرج الشافعي كتب علم الكلام من نطاق العلم - أن يتضاعف نفوره من النظام العباسي ، ومن المأمون خاصة الذى تبنى المذهب الاعتزالى وحاول أن يفرضه على العلماء ويجعله مذهباً للدولة » .

فى كلمات قليلة ينسب الباحث إلى الشافعى أنه كان يكره المأمون لأنه تبنى مذهب المعتزلة من ناحية ، ومن ناحية أخرى حاول أن يفرضه على العلماء .

إن الباحث هنا واقع بين أمرين كلاهما معيب . . فهو إما واقع فى ظلام الجهل ، أو متورط فى خطيئة التزييف والاختلاق ، وذلك لأمور ثلاثة :

(١) أن المأمون لم يعلن فرض الاعتزال على العلماء إلا سنة ٢١٨ ، وهى سنة وفاته ، وتبعاً لذلك فإن الشافعى لم يعلم شيئاً عن ذلك لأنه توفى قبل هذا التاريخ بأربعة عشر عاماً ، ومن ثم يكون مانسبه الباحث إلى الشافعى من كراهيته للمأمون أمراً مبعثه الجهل بحقائق التاريخ .

(٢) أن الذين عاصروا محنة القرآن كانوا من الجيل التالى للشافعى ، وأشهرهم كانوا تلاميذه الذين منهم الإمام أحمد بن حنبل ، والبويطى ، بل إن المأمون مات فى طرسوس ، وكان الإمام ابن حنبل فى الطريق إليه ، ولم تلبث الفتنة التى أشعلها المأمون أن خبت نارها لأن المعتصم كان أقرب إلى الأمية ، ولم يلبث بعد أن عاتب الإمام ابن حنبل أن استرضاه .

(٣) ثم تبنى الواثق نيران الفتنة بعد المعتصم ، ولكنه لم يعمر طويلاً فضلاً عن أنه كان منغمساً فى اللهو والعزف والسماع ، وكان العود لايفارقه حتى قيل إنه استحدث أنغاماً جديدة فى الموسيقى ، ثم جاء المتوكل فأجهز على المعتزلة وأخمد نيران الفتنة التى أشعلوها .

الباحث يختلق أسباباً لهجرة الشافعى إلى مصر :

يرى الباحث أن أسباب كراهية الشافعى للعباسيين ورحيله إلى مصر هو أنهم تخلوا عن العروبة ، واستيلاء المأمون على السلطة بعد صراعه مع أخيه الأمين ، وكان اختيار الشافعى لمصر بالذات لأن واليها فى ذلك الوقت كان قرشياً هاشمياً . [صفحة ١٦، ١٧] .

إن الحقائق التاريخية تصطدم مع ماذكره الباحث جملة وتفصيلاً .. ذلك أن الإمام الشافعى حجازى ، ومن ثم فهو بعيد عن الأحداث التى جرت فى بغداد بين ولدى الرشيد الأمين والمأمون ، **والأمر الثانى** : أن والى مصر لم يكن قرشياً هاشمياً كما ذكر الباحث ، وإنما كان من خزاعة ، واسمه المطلب بن عبد الله ، وقد ولِىَ أمرمصر فى المحرم من سنة ١٩٩هـ ، أى قبل مجىء الشافعى إليها بشهور ، **والأمر الثالث** : أن الشافعى كان من الاعتزاز بشخصيته بحيث لايهينها بالنزول على حاكم من الحكام ولو كان قرشياً .. ومن الأخبار المأثورة أن الشافعى لما عزم على سكنى مصر بدأ يدرس أحوالها ، وينظر كيفية العيش فيها .. وانطلاقاً من ذلك فإنه سأل عبد الله بن عبد الحكم فى هذا الأمر ، فقال له : « إذا أردت أن تسكن مصر فليكن لك قوت سنة ، ومجلس من السلطان تتعزز به » ، فرد عليه الشافعى قائلاً :

« من لم تعزه التقوى فلاعز له ، وقد ولدت بغزة ، وربيت بالحجاز ، وما عندنا قوت ليلة ، وما بتنا جياعاً قط » .

وإذن فقد كان الشافعى من الرجال المتعففين عن ارتياد مجلس والٍ أو سلطان ، وكانت عزته فى ذاته نابعة من ثقته فى الله ، ومن المقرر أيضاً أن الشافعى لما قدم مصر سأله أحدهم أن ينزل عنده ، فأبى ، وقال : « أنزل على أخوالى الأسديين» ، فنزل عليهم .

تلك هى الأخبار الصحاح عن رحلة الشافعى إلى مصر ، وهى غير ذات صلة بأى مما ذكره الباحث فى شأنها ، وقد كان على الباحث قبل أن يعرف دراسة الشافعى وفكره وفقهه أن يسلح نفسه بالتعرف على شخصية الشافعى ومسيرة حياته .

الباحث يجعل الشافعى والياً للأمويين قبل أن يولد :

يقول الباحث مانصه : « لكن أهم صور التعبير عن انحياز الشافعى للقرشية أنه الفقيه الوحيد من فقهاء عصره الذى تعاون مع الأمويين مختاراً راضياً، خاصة بعد وفاة أستاذه الإمام مالك بن أنس سنة ١٧٩هـ ، الذى كان له من الأمويين موقف مشهود بسبب فتواه بفساد بيعة المكره وطلاقه .. وموقف الإمام أبى حنيفة الرافض لأدنى صور التعاون معهم يكشف إلى أى حد بلغ رفض الفقهاء لعصبية ذلك النظام ولممارساته القمعية ضد جماهير المسلمين إلا أن يكونوا من مؤيديه وأنصاره بشكل مباشر ، سعى الشافعى على عكس سلفه أبى حنيفة وأستاذه مالك إلى العمل مع الأمويين ، فانتهز فرصة قدوم والى اليمن إلى الحجاز وجعله بعض القرشيين يتوسطون عنده ليلحقه بعمل ، فأخذه الوالى معه ، وولاه عملاً بنجران » [صفحة ١٦] .

إن المرء ليصاب بالصدمة وهو يقرأ مثل هذا التحامل المبنى على جهل تام ، وقد صدر من أستاذ فى كلية الآداب !! إن شدة كراهية الباحث للإمام الشافعى جعلته يسند اتهامات جريئة وكاذبة إليه لعدة أمور :

الأمر الأول وأهمها أن الشافعى لم يكن : « الفقيه الوحيد من فقهاء عصره الذى تعاون مع الأمويين مختاراً راضياً » ، طبقاً لتعبير البحث لسبب فى قمة البساطة وهو أن الشافعى لم يشهد عصر الأمويين لأنه ولد سنة ١٥٠هـ أى بعد ثمانية عشر عاماً من سقوط الدولة الأموية التى انتهى عمرها سنة ١٣٢هـ ، على مايعرف طلاب المدارس الإعدادية .

الأمر الثانى الذى يدعو للأسف هو : أن الباحث قدر حكم الأمويين - طبقاً لما يفهم من عبارته - إلى مابعد سنة ١٧٩هـ ، وهى سنة وفاة الإمام مالك .

الأمر الثالث أن الباحث وجه إلى الإمام الشافعى اتهاماً ظالماً حين نسب إليه تعاونه مع نظام ظالم « لعصبية ذلك النظام ولممارساته القمعية ضد جماهير المسلمين » .

إن الباحث شديد الكراهية للإمام الشافعى إلى المدى الذى يجعله يختلق اتهامات ضده .. هذا فضلاً عن الجهل الفاضح للباحث ببديهيات التاريخ الإسلامى .

ومن المؤسف أيضاً أن الباحث يظلم الشيخ (أبو زهرة) حين ينسب إليه العبارة الأخيرة من النص الذى سطرناه فى مستهل هذه الفقرة بينما كان الشيخ أبو زهرة يقصد أمراً آخر .. وبذلك يكون الباحث قد ارتكب ثلاثة أخطاء بجرة قلم : خطأ فى حق الإمام الشافعى ، وخطأ فى حق الشيخ أبى زهرة ، وخطأ فى حق التاريخ الإسلامى .

الجهل بالتاريخ .. وبالعقيدة معاً :

إن جهل الباحث بالتاريخ الإسلامى وقضاياه سلسلة من حلقات لاتنتهى لأنه يقول مانصه : « تشير الشواهد التاريخية إلى أن الخوارج كانوا أول من رفع مبدأ الاحتكام إلى كتاب الله » [صفحة ٢١] .

ثم يستطرد الباحث قائلاً : « لكن القراءة المتأنية للشواهد تكشف أن المبدأ كان من طرح الأمويين فى موقعة صِفّين » [الصفحة نفسها] .

إن الباحث أخطأ فى كل من الرأيين اللذين أوردهما ، فلاالخوارج ولا الأمويين أول من رفع المبدأ ، ذلك أن الاحتكام إلى كتاب الله قائم ومطبق منذ نزل القرآن الكريم ، ومن ثم فهو جزء من العقيدة من اللحظة التى نزل فيها قول الله تعالى :﴿ **وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه إلى الله ذلكم الله ربى عليه توكلت وإليه أنيب**﴾ [الشورى : ١٠] .

ولكن يبدو أن إلمام الباحث بأحكام الكتاب العزيز شديد التواضع شأنه فى ذلك شأن إلمامه بالتاريخ الإسلامى .

الباحث يختلق صراعاً بين الإمامين الشافعى وأبى حنيفة :

إن الباحث لكى يثبت الزعم الذى ذهب إليه من اعتناق الإمام الشافعى للعصبية القرشية يختلق صراعاً بين الإمام أبى حنيفة و الإمام الشافعى على الرغم

من أنهما غير متعاصرين ، فلقد ولد الشافعى فى نفس العام الذى توفى فيه أبو حنيفة »

إن الباحث الدكتور « أبو زيد » ينسب أبا حنيفة إلى الشعوبية ، وينسب الشافعى إلى العصبية العربية ، ثم يضيق دائرتها فيجعلها عصبية قرشية ، فأبو حنيفة حسبما يرى الباحث متعصب للموالى ، ولذلك أباح قراءة الفاتحة فى الصلاة باللغة الفارسية وبغيرها من اللغات للذين يعرفون العربية فى حين يتشدد الشافعى فى ضرورة قراءة القرآن بالعربية ، ويعزو الباحث ذلك الخلاف إلى ما أسماه الصراع الفكرى بين « الشافعى العربى الأرومة القرشى الانتماء وبين أبى حنيفة ذى الأصول الفارسية » [صفحة ١٨] .

يقول الباحث : « هذا الحرص من جانب الشافعى والذى وصل إلى التشدد وتكليف ما لا يطاق لغير العربى يبدو على السطح خلافاً فقهياً فى الفروع دون الأصول ، لكنه يشير بطريقة دلالية إلى مستوى أعمق من الخلاف الأيديولوجى بين نهجين من التعامل - يعنى التعصب للعروبة والتعصب للشعوبية - حول طبيعة القرآن ومع الواقع فى نفس الوقت ، ويبدو أن الخلاف حول طبيعة القرآن هو المحرك الباطنى للخلاف الفقهى « حول القراءة فى الصلاة بغير العربية ، انه خلاف حول (هوية) النص القرآنى » [صفحة ٢٠] .

هكذا يختلق الباحث صراعاً بين الشافعى وأبى حنيفة غير متورع أن يُدخل القرآن الكريم طرفاً . . بل ذريعة لهذا الصراع المزعوم :

١- فالشافعى فى نظر الباحث ذو عصبية عربية قرشية جعلته لهذا السبب دون غيره متعصباً للقراءة بالعربية فى الصلاة ، فى حين أن أبا حنيفة الذى هو من الموالى سيتحمس لقراءة القرآن باللغة الفارسية لأنه فارسى ، بل إنه للسبب نفسه - يعنى عصبيته ضد العرب - أباح القراءة بالفارسية وغير الفارسية حتى للعرب أنفسهم .

٢- إن الباحث والأمر كذلك ومن منطلق هذا التناول غير البرىء

يعطى صورتين قبيحتين لكل من الإمامين الجليلين الشافعى وأبى حنيفة .. بينما كل من الرجلين يعّد مثالاً للسماحة والتقوى .

والحقيقة التى لا شبهة فيها أن الشافعى كان يجلّ فقه أبى حنيفة وشخصه حتى وهو مسجى فى قبره ، وإن خبر زيارة الشافعى لقبر أبى حنيفة مشهور حين صلى ركعتين تحية للمسجد غير بعيد من القبر فلم يرفع يديه إلى كتفيه عند التكبير فى الركوع والقيام منه ، فلما سئل فى ذلك كانت إجابته : احتراماً للإمام .. أى احتراماً لأبى حنيفة الذى لم يكن يرى رفع اليدين مع تكبيرتى الركوع والقيام منه .. بينما كان الشافعى يرى ذلك ويلتزم بأدائه .

٣- إن رمى الباحث كلاً من الإمامين بالعصبية - الشافعى (بالقرشية) ، وأبى حنيفة (بالشعوبية) - اتهام خاطىء دينياً ، وحكم جائر عملياً .. فالشافعى - عند من يعرفه - ليس موضع شك فى كامل صواب دينه الذى قضى على العصبيات الجاهلية وأدائها وجعل كل امرىء رهيناً بعمله ، فليس لعربى فضل على أعجمى إلا بالتقوى ، وكان الشافعى يرى العز فى الإسلام وليس فى القبلية البغيضة ، وهو صاحب هذا القول المضىء : « ومن لم تعزه التقوى فلا عز له » ، وكذلك الأمر بالتمام والكمال بالنسبة لأبى حنيفة ، ولو قد جاز - جدلاً - أن ينسب أحد الفقهاء إلى الشعوبية .. فإن هذا الجواز بالحتم لن ينطبق على أبى حنيفة .. ومن المشهور أن كلاً من أبى حنيفة والشافعى كان معنياً بحب الرسول ﷺ وآل بيته ، فأبو حنيفة متهم بحب آل البيت وبخاصة علىّ وبنيه ، وكذلك كانت حال الشافعى التى سجلها فى أبيات أشهرها قوله :

إن كان رفضاً حب آل محمد   فليشهد الثقلان أنى رافض

ولكن الباحث الدكتور « أبو زيد » قليل البضاعة فى قراءة تاريخ المسلمين بعامة وتاريخ الأئمة بخاصة .

بل إن جهل الباحث يتعدى تاريخ الأئمة إلى تاريخ الصحابة والتابعين ،

فهو لا يفرق بين صحابى وتابعى ، حتى إنه يعد عبد الله بن عباس من التابعين [صفحة ١٢] وقد غاب عنه أن ابن عباس تربى فى حجر رسول الله ﷺ وفى بيته .

التطاول على الصحابة واختلاق صراع بينهم :

صحابة رسول الله ﷺ موضع تقدير المسلمين واحترامهم فى مختلف الأجيال المسلمة المتتابعة ، وهم جديرون بكل إجلال وتوقير ، وقد كرمهم الله سبحانه وتعالى فى محكم كتابه فى عديد من السور يستوى فى ذلك المهاجرون والأنصار ، وكذلك فعل رسول الله ﷺ حين شبههم بالنجوم نوراً ورفعة ، وذلك فى قوله الشريف : « **أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم** » فجعلهم ﷺ رجالاً يقتدى بهم وهداة يقتبس منهم .

ولكن الباحث الدكتور نصر أبو زيد مع الأسف الشديد لا يقيم لأشخاصهم وزناً ، ويصفهم بالجاهلين ، غير مبال بمقاماتهم ، ولا بتكريم الكتاب العزيز لهم ، ويتهمهم بالسطحية ، ويختلق صراعاً أجراه بينهم بسبب تخيلات غير صادقة استقرت فى خاطره .

يقول الباحث : « كان تزايد وضع الأحاديث وتضخم الرأى - ذهاباً وراء الفروض النظرية - مجرد ظواهر لصراع أعمق يدور على مستويات الواقع المتعددة ، هو الصراع بين قوة التغيير والتقدم ، وبين قوى التثبيت والهيمنة » [صفحة ٥٧] ويمضى الباحث فى تجسيم هذا الصراع قائلاً :

« وتاريخ هذا الصراع يمتد فى الزمان إلى ما قبل عصر الشافعى الذى يعد بمعنى من المعانى عصر التدوين ولعله يعود إلى بداية الخلاف حول مسألة الخلافة فى اجتماع السقيفة بين المهاجرين والأنصار ، حين تم فى هذا الاجتماع تدشين السيطرة القرشية على الإسلام والمسلمين .

هذا كلام صبغ بقسوة الاختلاق ، وعباراته تضع أى قلم يكتبها موضع المساءلة الإسلامية . . إنها جرأة على الحق وعلى التاريخ أن يقول الباحث : إن الشورى أدت يوم السقيفة إلى تدشين السيطرة القرشية على الإسلام والمسلمين .

إن الباحث اخترع صراعاً بين الأئمة ، ثم اختلق صراعاً بين المسلمين فى عصر التابعين ثم لايلبث أن يتطاول على مقامات الصحابة حين اجتمعوا فى السقيفة من مهاجرين وأنصار فى مؤتمر شورى فريد بالألفاظ القاسية التى سلف ذكرها ، ويصف عملية الشورى التالية لمبايعة خليفة رسول الله ﷺ بأنها صراع بين الصحابة .

إن خطأ الباحث يكمن دائماً فى نقص خبرته بقضايا تاريخ المسلمين وأنه لا يربط بين مجريات الأحداث الكبرى فى تاريخ المسلمين وبين آيات الكتاب العزيز ، ولو أنه قرأ الآيات التى نزلت فى الصحابة من مهاجرين وأنصار وصدق بها لكان حديثه أقرب إلى النصفة ، وأدنى إلى الصواب .

القرشية تعمل على إلباس محمد صفات قدسية إلهية :

هذا الاتهام البعيد من أسباب الاستقامة صادر عن الباحث الدكتور نصر أبو زيد بكل جرأة وبكل وضوح ، إنه فى سياق حملته على الإمام الشافعى واتهامه إياه بالعصبية العربية القرشية - مقابل العصبية الشعوبية - وإدخاله القرآن الكريم طرفاً فى هذه الحملة وجعله أداة من أدواتها ، استطرد الباحث فاتهم المسلمين القرشيين بأنهم حرصوا على نزع صفات البشرية عن محمد ﷺ وإلباسه صفات قدسية إلهية .

يقول الباحث ما نصه :

« إن تأسيس السنة وحياً - أى جعل الشافعى من السنة وحياً - لم يكن يتم بمعزل عن الموقف الأيديولوجى الذى أسهبنا - والضمير هنا يعود على الباحث - فى شرحه وتحليله ، موقف العصبية القرشية التى كانت حريصة على نزع صفات البشرية عن محمد وإلباسه صفات قدسية إلهية تجعل منه مشرعاً » - [صفحة ٥٥ ، ٥٦] .

هكذا قال الباحث بالتمام . . وهو قول إن دل على شىء فإنما يدل على أن

الباحث قد أباح لنفسه أن يعبث بالإسلام كدين ، وبمحمد ﷺ كرسول ، وبالمسلمين كمهتدين عبثاً يقصر عن تصوره خيال المسلم ، لأنه عبث بلا حدود وتطاول بغير قيود .

الكتاب الذى بين أيدينا ليس هو الذى نزل على محمد :

فى كلمات قليلة لا تزيد على سطرين يقرر الباحث الدكتور نصر أبو زيد أن القرآن الذى بين أيدينا ليس هو القرآن الذى نزل به الروح الأمين ، فقد نزل النص - أى القرآن - متعدداً ، ولم يقل الباحث ما معنى التعدد هنا ، ثم يستطرد قائلاً : إن تثبيته - أى القرآن الكريم - فى قراءة قريش كان لتحقيق السيادة القرشية التى سعى الإسلام لتحقيقها ، وكأن الإسلام لم ينزل إلا لتحقيق سيادة قريش .

يقول الباحث ما نصه :

« ولا نغالى إذا قلنا : إن تثبيت قراءة النص الذى نزل متعدداً ، فى قراءة قريش كان جزءا من التوجيه الأيديولوجى للإسلام لتحقيق السيادة القرشية » [صفحة ١٥] .

إدخال السنة جزءا جوهرياً فى بنية النص القرآنى :

تلك هى عبارة الباحث حرفياً ، وهى غير مجتزأة من سياق أو مبتورة من قضية ، وإنما هو حكم أصدره الباحث على السنة وعلى القرآن معاً فجعلهما شيئاً واحداً فى بنية واحدة .. كيف ؟ لا أحد يدرى إلا الباحث "

يقول الباحث ما نصه :

« لذلك نجد الشافعى يحرص كما سبق لنا القول لا على جعلها شارحة ومفسرة للكتاب فحسب .. بل على إدماجها فى أنماط الدلالة وإدخالها جزءا جوهرياً فى بنية النص القرآنى » [صفحة ٣٧] .

إن الباحث فى هذا الموقف لا يقترف خطيئة عابرة ، وإنما يقوم بعملية استفزاز بالغة القسوة لكل مسلم فهو يصنع مزيجاً من القرآن الكريم والسنة بطريقة لا يعرفها إلا هو . . لو أن الباحث قال : إن الشافعى عمل على إدخالها جزءا جوهرياً فى مفهوم النص القرآنى لقلنا مغالاة فى التعبير . . أما أن يقول : إن الشافعى يحرص على إدخال السنة جوهرياً فى بنية النص القرآنى فإنه - أى الباحث - يجرف نفسه بعيداً عن حوزة العقيدة وينأى عن سلامة القصد .

ومع كل ذلك لا يزال التساؤل قائماً :

كيف تدخل السنة جزءا جوهرياً فى بنية النص القرآنى ؟؟

الطعن فى وسطية الإسلام :

الباحث الدكتور نصر أبو زيد لا يعترف بأن الإسلام دين الوسطية . . فهو ينكرها ويطعن فيها ، ويرى أن الرأى الذى يقول بذلك يحتاج إلى مراجعة وينبغى تعريتها - وهذا هو تعبيره - « من ثياب القداسة التى ألبست لها » .

يذهب الباحث إلى هذا القول فى مجال نسبة « تأسيس الوسطية فى مجال الفقه والشريعة » إلى الإمام الشافعى .

يقول الباحث ما نصه :

« وإذا كانت الصفة الجوهرية الثابتة -أى الوسطية الإسلامية - محل نزاع وخلاف ، فإن الثابت تاريخياً أن الشافعى قد أسس الوسطية فى مجال الفقه والشريعة » [صفحة ٥] ثم يستطرد الباحث فى كشف فكرته وتوضيح طعنه وإنكاره للوسطية الإسلامية قائلاً :

« إن القول بجوهرية الوسطية واعتبارها سمة أصيلة من سمات الفكر الإسلامى والثقافة العربية قول يحتاج للمراجعة يكشف بعده الأيديولوجى بما أنه قول يرفع تياراً فكرياً ذا سمات وملامح أيديولوجية فى سياقه التاريخى

الاجتماعى إلى مستوى الحقائق الفعلية الحضارية الثابتة الراسخة ، ولا يتأتى هذا الكشف إلا ببيان الطبيعة الأيديولوجية لذلك التيار الوسطى التوفيقى التراثى حتى يتعرى من ثياب القداسة التى ألبست له فى تاريخنا الثقافى والعقلى » [صفحة ٦] .

إن إنكار الوسطية الإسلامية ، والهجوم عليها من قبل الباحث ، وزعمه العمل على تعرية قداستها ، عدوان من الباحث على الإسلام كعقيدة ، وتطاول على القرآن الكريم الذى قررت آياته أن الوسطية جزء من الحقيقة التكوينية للعقيدة ، وإنكار لكلام الله فى قوله عز وجل : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس** ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، وقوله جل شأنه : ﴿ **ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً** ﴾ [الإسراء : ٢٩] .

الباحث ينكر الإسلام كدين :

يصف الباحث الإسلام على صفحات كتابه - كل صفحات الكتاب تقريباً - بأنه أيديلوجية أى مذهب من مذاهب الوضعية الماركسية والاشتراكية والرأسمالية والوجودية وما إلى ذلك من هذه المذاهب البعيدة عن المسرى الإيمانى ، ولقد كرر الباحث ذلك الوصف للإسلام فى الفقرة السابقة من هذا التقرير عند حديثه عن الوسطية الإسلامية ، ولذلك فقد بات من الأهمية بمكان استحضار تعريف الأيديولوجية طبقاً لأحداث تفسيراتها الأيديولوجية هى :

١- وضع النظريات بطريقة حالمة أو غير عملية .

٢- مجموعة نظامية من المفاهيم فى موضوع الحياة أو الثقافة البشرية .

٣- النظريات والأهداف المتكاملة التى تشكل برنامجاً سياسياً اجتماعياً .

إن أيّاً من هذه التعريفات ليست من الإسلام فى شىء ، ولا تنطبق على

الإسلام بحال ما ، فالإسلام رسالة إلهية ربانية إيمانية أنزلها الخالق الأعظم وضمنها برامج وأحكاماً لا يتأتى لبشر أن يضعها ، وهى تستهدف سعادة البشر فى الدنيا والآخرة ، أما الأيديولوجية فهى من وضع البشر ، وهى دون أية شريعة سماوية فضلاً عن رسالة الإسلام الخاتمة ، وإن إصرار الباحث على وسم الإسلام بالأيديولوجية هو جنوح به إلى المادية ، وتجريد له من صفته الربانية .

المسلمون يعيشون بعقول غير سوية منذ نزل القرآن حتى الآن :

إن الباحث الدكتور نصر أبو زيد يقرر أن الاعتقاد بقدرة القرآن على حل المشكلات وعلاج النوازل قد حوَّل العقل العربى إلى عقل تابع .

يقول الباحث ما نصه :

« يبدأ الشافعى حديثه عن الدلالة بتقرير مبدأ على درجة عالية من الخطورة فحواه أن الكتاب يدل بطرق مختلفة على حلول لكل المشكلات والنوازل التى وقعت أو يمكن أن تقع فى الحاضر والمستقبل على السواء » [صفحة ٢١] .

إن الباحث الدكتور أبو زيد يسخر من هذا المبدأ الإلهى المتمثل فى صلاحية القرآن من خلال منهجه الربانى لحل مشكلات الإنسان فى كل زمان بقوله متمماً الفقرة السابقة :

« وتكمن خطورة هذا المبدأ فى أنه المبدأ الذى ساد تاريخنا العقلى الفكرى ومازال يتردد حتى الآن فى الخطاب الدينى بكل اتجاهاته وتياراته وفصائله ، وهو المبدأ الذى حوَّل العقل العربى إلى عقل يقتصر دوره على تأويل النص واشتقاق الدلالات منه » [صفحة ٢١] .

هكذا وببساطة شديدة ينكر الباحث فى القرآن الكريم والاستمساك به دستوراً لحياتنا حلولاً لمشكلاتنا وعلاجاً لنوازلنا . . ولم يخطر بباله أن ما حل

بالمسلمين من مشكلات وما أصابهم من نوازل كان بسبب انصرافهم عن القرآن الكريم وتعطيلهم العمل بأحكامه ، ولكن يبدو أن خصومته الشديدة للقرآن الكريم جعلت الباحث يصدر الأحكام بموازين مقلوبة .

هذا وقد قصر الباحث سخطه على العقل العربى ولم يقل العقل المسلم واتهم العرب بالتخلف لأنه يعتقد أن الإسلام دين خاص بالعرب وحدهم دون سواهم .. إن الباحث كان يستطيع ألا يجنح إلى هذه الأحكام الخاطئة لو أنه استوعب وصدق بقول الله عز وجل : ﴿ **..ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين** ﴾ [النحل : ٨٩] .

إن الباحث لم يكتف بما صدر من أحكام يدين بها عقول المسلمين إذا استمسكوا بالقرآن كتاباً هادياً ، ولكنه يذهب بعيداً فى غلوائه فى خصومته للقرآن الكريم قائلاً :

« والشافعى حين يؤسس مبدأ تضمن القرآن حلولاً لكل المشكلات تأسيساً عقلانياً يبدو وكأنه يؤسس بالعقل إلغاء العقل » [صفحة ٢٢] .

الباحث يرفض أن يكون عبداً لله :

الباحث الدكتور أبو زيد يتخذ دائماً من كل حلقة من حلقات حملته على الإمام الشافعى منطلقاً إلى إصدار أحكام تزداد انحرافاً مرة بعد مرة ، وهو هذه المرة يرى أن استمساك الشافعى بالقرآن ونظرته التعارضية بين القياس والاستحسان إنما هى « **موقف أيديولوجى واضح يجعل الإنسان مغلولاً دائماً بمجموعة من الثوابت التى إذا فارقها حكم على نفسه بالخروج من الإنسانية** » [صفحة ١٠٣] .

إن الباحث هنا يسخر من الالتزام بالثوابت التى هى هنا القرآن والسنة ويرى ضرورة الانفلات من قيودها .

ثم يزداد الباحث غلواً فى حكمه ، ويتطرف شططاً فى فكره حين يرفض أن يكون عبداً لخالقه الأعظم فيقول ما نصه :

« وليست هذه الرؤية للإنسان والعالم - أى رؤية الشافعى - معزولة تماماً عن مفهوم الحاكمية فى الخطاب الدينى السلفى المعاصر ، حيث ينظر لعلاقة الله بالإنسان والعالم من منظور علاقة السيد بالعبد الذى لا يتوقع منه سوى الاذعان » [صفحة ١٠٣] .

إن حقيقة علاقة الإنسان بخالقه هى علاقة العبد بالسيد ، وليس فى ذلك أية غضاضة لأنها عبودية شريفة ، ولأن عبودية الإنسان لمن خلقه تعصمه من أن يكون عبداً لغيره ، فيعيش بين الناس سيداً عزيزاً ، فكيف يستنكر الباحث أن يكون عبداً لله الذى خلقه وسواه بشراً ؟؟!

إن الباحث - لا شك - قد تعلم منذ صغره صيغة الشهادتين التى بمقتضاها يكون الإنسان مسلماً ، وهى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .. إنه يسمعها مع الأذان خمس مرات كل يوم ، والمسلم ينطق بها إجبارياً ست عشرة مرة كل يوم فى الصلوات المفروضة ، هذا فضلاً عن صلوات التطوع .

فإذا كانت الطبيعة الأولى لمحمد ﷺ هى أنه عبد لله قبل أن يكون رسولاً .. فكيف بمخلوق من عامة البشر يستنكف أن يكون عبداً لله !!

إن الذى ينكر عبوديته لله عليه أن يبحث عن مكان خارج ملك الله لكى يعيش فيه .. فهل يستطيع الباحث أن يجد ذلك المكان !! ؟

الباحث يدعو إلى الثورة الفورية على القرآن والسنة والتحرر منهما :

يرى الباحث الدكتور نصر أبو زيد أن النصوص الدينية تكبل الإنسان وتلغى فعاليته وتهدد خبرته ، ويقرر أن مواقف الإمام الشافعى تدعو إلى التمسك بكل ما هو ثابت من قرآن وسنة ، والشافعى بفعله هذا يكرس الماضى ويضفى عليه طابعاً أزلياً ، وهو ما يرفضه الباحث .

وينطلق الباحث من حملته على الإمام الشافعى إلى التحامل على غيره من أئمة المسلمين المرموقين كالإمام الأشعرى والإمام الغزالى ، ثم يعمد الباحث بعد ذلك إلى استنكار هذه المفاهيم الدينية جميعاً ، ويدعو فى عبارات مسعورة إلى الثورة ، وذلك بالتحرر .. لا من سلطة النصوص الدينية وحدها من كتاب وسنة ، بل من كل سلطة تعوق مسيرة الإنسان فى زعمه ، وأن يتم ذلك بسرعة قبل أن يجرفه الطوفان .

وهذا هو نص الدعوة إلى الثورة المادية التى ينادى بها الباحث فيقول :

« لقد آن أوان المراجعة والانتقال إلى مرحلة التحرر .. لا من سلطة النصوص وحدها .. بل من كل سلطة تعوق مسيرة الإنسان فى عالمنا .. علينا أن نقوم بهذا الآن وفوراً قبل أن يجرفنا الطوفان) [صفحة ١١٠] .

وهكذا كانت آخر فقرات الكتاب هذه الدعوة إلى الثورة الآن وفوراً لأن الطوفان قادم – فى زعم الباحث – الذى ينادى بالثورة قبل أن يجرفه ..

وفيما يلى الرأى الأخير :

الرأى الأخير

إن الكتاب من أول صفحة فيه إلى آخر فقراته مكرس للتهجم على كل المقدسات الإسلامية ، والتحامل عليها ، والنيل منها بطريقة حادة تشبه الجنون .. وهذا الكتاب يعد واحداً من أشد الكتب حملة على الإسلام والقرآن والسنة .. ومن ثم نقترح ما يأتى :

أولاً : حجب الكتاب عن القراء حفاظاً على عقيدتهم وصوناً لدينهم وتجنيباً لهم قراءة التطاول على الصحابة والأئمة .

ثانياً : حجب الكتاب عن الطلاب الذين يدرسونه فى قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة القاهرة .

ثالثاً : إبعاد الباحث عن تلقين سمومه لطلاب الجامعات والمعاهد ، لأنه يقوم بتدريس هذه الانحرافات لأبنائنا الطلاب فى الجامعات المصرية ، وذلك بنقله إلى وظيفة أخرى بعيداً عن الكليات الجامعية والمعاهد العلمية ثم وضع الباحث موضع المساءلة ..

* * *

تقرير عن كتاب :
(مفهوم النص - دراسة فى علوم القرآن)
للدكتور نصر حامد ابو زيد

يكتبه الأستاذ الدكتور / مصطفى الشكعة

يقع الكتاب فى ثلاثمائة وتسع وخمسين صفحة من القطع الكبير ، وهو من إصدارات الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٠ ضمن إصدارات ماتسميه الهيئة بـ « دراسات أدبية » . .

يشتمل الكتاب على مقدمة قصيرة وتمهيد طويل عنوانه : « الخطاب الدينى والمنهج العلمى » ، وثلاثة أبواب . .

ولقد اشتمل الباب الأول - وعنوانه : « النص فى الثقافة » - على خمسة فصول تحمل العناوين الآتية على التوالى : مفهوم الوحى ، اتصال البشر بالجن ، الوحى بالقرآن ، القرآن والكتاب ، الرسالة والبلاغ . .

واشتمل الباب الثانى بدوره - وعنوانه : « آليات النص » - على خمسة فصول تحمل العناوين الآتية طبقاً لترتيب ذكرها : الإعجاز ، المناسبة بين الآيات والسور ، الغموض والوضوح ، العام والخاص ، التفسير والتأويل .

ولقد اشتمل كل فصل من فصول البابين الأول والثانى على عدة موضوعات جانبية ، عرض لها الباحث بالإيجاز حيناً ، وبالإسهاب حيناً آخر .

وأما الباب الثالث والأخير فإن عنوانه هو : « تحويل مفهوم النص

ووظيفته » ، ولم يقسمه الباحث إلى فصول ، بل جعله باباً واحداً ، وإن كان قد حمل عديداً من العناوين الجانبية الداخلية مثل : علوم القشر والصدف ، علوم اللباب (الطبقة العليا) ، علوم اللباب (الطبقة السفلى) ، مكانة الفقهاء والمتكلمين ، وغيرها من العناوين التى هى مستمدة من كتاب : « جواهر القرآن » للإمام الغزالى ، وليس للباحث من جهد فى هذا الباب سوى التعليق على النصوص التى اختارها من الكتاب ، وعددها أربعة وخمسون ، تتراوح بين التوسط والطول مع عدة إشارات إلى كتاب : « إحياء علوم الدين » لنفس المؤلف ، وإشارة أو إشارتين إلى ابن عربى فى كتابه : « الفتوح المكية » .

أما ونحن نستعرض منهج الكتاب ، وموضوعاته فقد يكون مناسباً أن نشير إشارة سريعة إلى عدم التفات الباحث إلى المراجع الأساسية التى كانت - فيما لو استعان بها - ستضفى المزيد من القيمة على بحثه ، وتجنبه الكثير من المزالق التى وجد نفسه منساقاً إليها بشدة وإصرار حيناً ، وبهوادة ومايشبه العفوية حيناً آخر .

فعلى سبيل المثال وجدنا الباحث فى الفصل الأول من الباب الأول - مفهوم الوحى - يعتمد على فكره الخاص فى تحليل مانقله عن كل من الزركشى فى البرهان ، والسيوطى فى الإتقان .. بغير استشارة أو رجوع إلى المصادر الأساسية التى كتبها كبار علماء الأمة من هذا الموضوع ، ولو قد فعل لتحاشى الكثير من السقطات التى تردّى فيها مما سوف نعرض لبعضها بعد قليل ، والحكم نفسه ينسحب على بقية فصول الباب من حيث كون الباحث يقتصر على كتابى : البرهان ، والإتقان ، لكل من الزركشى والسيوطى ، أو على كليهما ، ثم يعمل فكره الخاص فى استخلاص مايريد أن ينتهى إليه من أحكام بدون الاستعانة بفكر علماء الأمة الذين أثروا مكتبة القرآن الكريم بمؤلفاتهم النفيسة ..

وما نذكره هنا من إشارات من حيث تقصير الباحث فى الاستعانة

بالمراجع المتخصصة حين كتابته فصول الباب الأول، نعود فنكرره حيال الفصول الخمسة التى تضمنها الباب الثانى .

وقبل أن ننطلق فى ضرب الأمثلة الخاطئة التى تورط الباحث فى الوقوع فيها يجمل بنا أن نشير إلى مصطلحات محددة استعملها الباحث على مسرى صفحات كتابه، وأن نُعَرِّف بها طبقاً لمفهوم الباحث لها، والتى منها :

« النص » :

ويعنى الباحث به القرآن الكريم، فإذا ماورد لفظ النص فى موقع ما من مواقع الكتاب فإن ذلك يعنى على الفور القرآن الكريم .. اللهم إلا إذا أشار الباحث إلى غير ذلك، ونبّه إليه .

« الأيديولوجية » :

وقد أوردت لها المراجع ثلاثة تعريفات هى :

(١) وضع النظريات بطريقة حالمة أو غير عملية .

(٢) مجموعة نظامية من المفاهيم فى موضوع الحياة أو الثقافة البشرية .

(٣) النظريات والأهداف المتكاملة التى تشكل برنامجاً سياسياً اجتماعياً .

وعلى أساس هذه التعريفات فإنه يحسن القول بأن أيًّا من هذه «التعريفات» لاينطبق فى كثير أو قليل على الإسلام .. أى أنه ليس أيديولوجية .. لأن الأيديولوجيات من وضع البشر، وأما الإسلام فهو رسالة إلهية وضعها الخالق، وضمّنها برامج وأحكاماً لايتأتى لبشر أن يضعها أو يبتدع مثالاً لها، وهذه البرامج والأحكام تهيئ للمخلوقين سعادة الدنيا، وتضمن لهم نعيم الآخرة .

ومن ثمّ يكون سحب مصطلح « الأيديولوجية » على الإسلام وإدخاله تحت مناهجها سلوكاً خاطئاً ، ونهجاً مغالطاً .

« الثقافة » :

وهى لفظ عربى قديم .. يقول صاحب القاموس : « ثَقِفَ ككَرِمَ وفَرِحَ ثَقفاً وثَقْفاً وثقافة ، صار حاذقاً فطناً خفيفاً ، فهو ثَقْف كحَبْر ، وثَقِف ككَتِف ، وخلٌ ثقّيف ، وثقّيف حامض جداً ، وأمر ثَقَاف كسَحَاب : فطنه ، وككِتاب : الخصام ، والجلاد وماتسوّى به الرماح » .

ويقول صاحب الصحاح : ثَقِفَ الرجل ثَقْفاً وثقافة .. أى : صار حاذقاً خفيفاً ، فهو ثَقْف مثال ضَخْم فهو ضخم ، ومنه المثاقفة ، والثِقاف ماتسوى به الرماح ، وتثقيفها تسويتها ، وثَقَفْتَه ثقفاً مثال : بلَعْتَه بلعاً أى صادقته ، وثقيف أبو قبيلة من هوازن ، والنسب إليه ثَقَفى .

وقال ابن الأعرابى : خل ثقّيف بالتشديد ، أى حامض جداً ، مثال قولك : بصل حرّيف .

هذه معان لمادة ثقف ، ولكنها لانستعمل فى عصرنا ، وهناك فى المصطلحات المعاصرة لفظ الثقافة ، ومنها الرجل المثقف ، وتعنى سعة المعرفة ، والأخذ بأطراف من الآداب والفنون ، ومنها رجل مثقف ، وهو من توافرت له هذه الصفات التى ذكرناها ، وهذه المادة المعاصرة بدورها ليست المصطلح الذى يقصده الباحث حتى يذكر مصطلح : « ثقافة » ..

وإنما **المصطلح الذى يعنيه الباحث بلفظ ثقافة** هو طبقاً لتعريف العالم الاجتماعى (ديفيد سيلز) : « هو ذلك العقد الذى يتضمن المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والعادات الاجتماعية وكل المقومات الأخرى التى يكسبها الإنسان بوصفه عضواً فى المجتمع » .

ومن ثم فإنه كلما وقع بصرنا على لفظ أو مصطلح ثقافة فى هذا البحث

الذى بين أيدينا - مفهوم النص - فإن معناه هو كل ذلك الذى ذكره عالم الاجتماع (ديفيد سيلز) . .

هذا وليس من المبالغة فى شئ أن نقرر أن فصلاً واحداً من فصول الكتاب على كثرتها لايكاد يخلو من خطأ جسيم ، أو انحراف من محجة الدين ، بل إن الصفحة الواحدة من الكتاب كثيراً ماتحوى عدداً من التجاوزات التى لا تسمى أخطاء من باب التسامح ، وإنما هى فى حقيقتها انحراف عن الجادة ، وزيغ عن سلامة العقيدة ، وتتمثل هذه الانحرافات فى الكلام عن القرآن الكريم - النص - الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه ، وهى من الكثرة بحيث يصعب استقصاؤها ، ومن التجاوزات ماهو متصل بالعقيدة نفسها وبالإسلام نفسه ، وللباحث فى كتابه هذا تجاوزات فى الحديث عن الصحابة مع طعن فى التابعين ، بل إنه لايكاد يذكر أهل السنة إلا بسوء ، وذلك فى العديد من المواضع .

وأخطاء الباحث كثيرة فى التاريخ ، والمعلومات العامة ، وفى مفهومه للوحى ، وفى تفسيره لبعض آيات القرآن الكريم . .

وفى عنادٍ وتشدد يعارض الباحث تطبيق الشريعة الإسلامية ، ولايرى من الشريعة إلا تطبيق الحدود ، كما أن الفكر الماركسى يستولى على منهجه بشدة وإلحاح حتى إن آخر تعليقاته فى آخر صفحة من صفحات الكتاب كانت ماركسية صريحة . .

وإذا كان حصر تجاوزات فكر الباحث واستقصاء انحرافات فكره من الصعوبة بمكان ، فإن ذكر نماذج منها يغنى عن إحصائها . .

القرآن نص لغوى :

إن قصارى ما توصل إليه الباحث عن مفهوم القرآن أنه نص لغوى ، وهو بسبب ذلك « كتاب العربية الأكبر ، وأثرها الأدبى الخالد دون نظر إلى اعتبار دينى هو ما نعتقده - والضمير يعود على الباحث - وتعتقده معنا الأمم العربية أصلاً . . . ويجب أن يسبق كل غرض ، ويتقدم كل مقصد » [ص١٢] .

هذا هو رأى الباحث فى القرآن الكريم وعقيدته فيه ، أما كون القرآن الكريم كتاب الله الذى أرسل به رسوله محمداً ﷺ هادياً ومبشراً ونذيراً ، فذلك أمر لايدخل فى اهتمام الباحث ، وإذا حدث شئ من ذلك ، فللناس من أصحاب المقاصد وذوى الأغراض : « بعد الوفاء بهذا الدرس الأدبى أن يعمد الواحد منهم إلى ذلك الكتاب فيأخذ منه مايشاء ، ويقتبس منه مايريد ، ويرجع إليه فيما أحب من تشريع أو اعتقاد أو أخلاق » [ص١٣] .

ويلح الباحث إلحاحاً غير كريم على تجريد الكتاب العزيز من قدسيته ، وصرف المسلمين عنه حين يرى أن دراسته من الجانب الأدبى - دون غيره - « هى الكفيلة بتحقيق وعى نتجاوز به موقف التوجيه الأيديولوجى السائد فى ثقافتنا وفكرنا » ..

أما فساد هذا الكلام بمقياس العقيدة ، بل بمقياس الفهم المجرد للقرآن الكريم مما لايجمل بباحث جامعى أن يُقْدِمَ عليه وينشره على الناس ، لما فيه من تصغير لشأن القرآن ، وتفريغه من محتواه الأسمى ككتاب للعقيدة الإسلامية .. حدد جوهرها ، وختم محتواها ، واشتمل علي أحكامها ، واحتضن شرحها .

القرآن منتج ثقافى :

يقرر الباحث أن « النص » - أى القرآن الكريم - منتج ثقافى : بفتح التاء فى منتج .. وذلك حين يقول على وجه من التأكيد والتثبت : « إن النص فى حقيقته وجوهره منتج ثقافى ، والمقصود بذلك أنه تشكل فى الواقع والثقافة خلال فترة تزيد على عشرين عاماً ، وإذا كانت هذه الحقيقة تبدو بديهية ومتفقاً عليها ، فإن الإيمان بوجود ميتافيزيقى سابق للنص يعود لكى يطمس هذه الحقيقة البديهية ، ويعكر - ومن هنا - إمكانية الفهم العلمى للنص » [ص٢٧] ..

ونحن إذا راجعنا تعريف « الثقافة » الذى أوردناه فى صدر هذا التقرير ،

تبين فى وضوح أن مصطلح « منتج ثقافى » يوازى مفهوم « منتج بشرى » ، وتلك جرأة شديدة وغير محسوبة العواقب ، وأن يقلل من خطورة هذا الاتهام للقرآن الكريم بالبشرية المحاولة التبريرية التى قال بها ، وهى أنه تشكل فى خلال أكثر من عشرين عاماً - يقصد بذلك سنوات النزول - والباحث لكى يبدى تبريراً خاطئاً حول الدفاع عن المصطلح الخاطئ الذى سحبه على القرآن الكريم يوقع نفسه فى خطأ أشد تجريحاً للقرآن الكريم ، بإنكار سابقة وجوده فى اللوح المحفوظ ، وهى الحقيقة التى يقررها القرآن الكريم ، أو بالأحرى يؤكدها منزل القرآن - سبحانه وتعالى - فى قوله جل وعلا : ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة القدر ۝ وما أدراك ما ليلة القدر ۝ ليلة القدر خير من ألف شهر** ﴾ [القدر : ١-٣] .

ثم يستدرك الباحث ليصف النص بالألوهية ، ولكنه لايلبث أن ينقض ماذهب إليه ، ويعود لنفيه والعودة إلى القول بأن : « القرآن ينتمى إلى ثقافة البشر » [ص٢٧] .

ومن البديهات التى كان ينبغى للباحث أن يلتفت إليها ، ويجنب نفسه الإصرار عليها هو أنه من المستحيل أن يكون القرآن إلهى المصدر ، وفى الوقت نفسه ينتمى إلى ثقافة البشر .

وإنه لما يدعو إلى الأسى أن يصر الباحث على بشرية القرآن إصراراً غير محمود ، حين يعود للمرة الثالثة يكرر القول ببديهية كون القرآن منتجاً ثقافياً ، « ومن تحليل هذه الحقائق - ليس ثمة حقائق - يمكن أن نصل إلى فهم علمى لظاهرة النص .. إن القول بأن النص منتج ثقافى يكون فى هذه الحالة قضية بديهية لاتحتاج إلى إثبات » [ص٢٨] ، وتنظر أيضاً [ص٢٩] .

ومن الوضوح بمكان أن تحديد طبيعة النص بأنه (منتج ثقافى) إبعاد له عن طبيعته الإلهية ، وتنحية له عن صفته القدسية ، وطعن فى صدق منزله ، واستهتار بقيمه .

القرآن تجاوبٌ مع الواقع واستجابة له :

هذا كلام يحمل من الآراء والمفاهيم ما يجعل المسلم الصادق الإيمان شديد الغضب ، بل شديد التميز غضباً ، ونحن لم نتصرف فى عبارة الباحث بأكثر من أننا وضعنا لفظ القرآن مكان لفظ النص ، ومن ثم فإن الجملة التى أوردها الباحث هى : « لكن النص فى تجاوبه مع الواقع واستجابته له استجاب له من خلال المتلقى الأول » [صفحة ٧٤] ، ومعنى هذا الكلام بشئ من التبسيط هو أن القرآن الكريم استجاب للواقع من خلال محمد ﷺ ، وهو أمر فى غاية الغرابة ، بل هى عبارة فى طرف من التهور ، إذ كيف يستجيب القرآن للواقع من خلال محمد ﷺ ، والمفروض أن واقع الحياة هو الذى يستجيب للقرآن ، وليس العكس ، فإذا حدث العكس بمعنى أن القرآن استجاب للواقع من خلال محمد ﷺ كان محمد - على الرغم من الصيغة الملتفة التى عمد الباحث إلى صياغتها - هو صانع القرآن ومؤلفه ، أو صاحب مشاركة فى نظْمه ، وإذا كان مفهومنا لكلام الباحث صحيحاً - وليس ثمة مايدعو إلى غير ذلك - كان مايعنيه الباحث هو أن القرآن من عند محمد ﷺ برغم تسميته له بالمتلقى الأول .

هذا وإن الذى يستطرد فى قراءة الفقرة التى وضعت هذه العبارات الموحية بكثير من الانحراف ، سوف يقع على تصورات أخرى رسمها الباحث لشخصية محمد ﷺ فى مجتمعه .

القرآن هو الذى أطلق على نفسه اسم القرآن :

الأمر المعروف والمُسَلَّم به هو أن الباحث هو الذى أطلق على القرآن الكريم مسمى « النص » بل إنه جعل هذا الاسم فى عنوان هذا الكتاب الذى تكتب عنه هذه المفاهيم : « مفهوم النص : دراسة فى علوم القرآن » .

إن الباحث فى مسيرته البحثية لايرى أن الله سبحانه وتعالى هو الذى سمى القرآن قرآناً مع وفرة الآيات وكثرتها :

﴿ **إنه لقرآن كريم** ﴾ [الواقعة : ٧٧] .

﴿ إنا أنزلناه قرآناً عربياً ... ﴾ [يوسف: ٢] .

﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه ... ﴾ [طه: ١١٤] .

﴿ وقرآناً فرقناه ... ﴾ [الإسراء: ١٠٦] .

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [الحجر: ٩] .

إنها آيات كثيرة كانت ولاتزال تحت نظر الباحث وهو - بغير ما أدنى شك - عالم بها ، فما هذا الذى دفع به إلى صوغ هذا المعنى على هذا النحو فى هذه الكلمات .. فضلاً عن محتوياتها الأخرى .. يقول الباحث :

« إن النص فى إطلاقه هذا الاسم على نفسه ينتسب إلى الثقافة التى تشكل من خلالها ، ولكنه فى نفس الوقت يفرض تميزه عنها باختيار هذا السم غير المألوف تماماً من حيث صيغته وبنائه » [صفحة ٦٠] .

إن أى مسلم لايخطر بباله ، ولايتصور أن القرآن هو الذى اختار لنفسه اسم القرآن ، والمتفق عليه عند جمهرة المسلمين ، بل البديهية هو أن الله سبحانه هو الذى أنزل القرآن ، وأطلق عليه هذه التسمية طبقاً لمقاطع الآيات التى أوردناها قبل سطور .. وهنا يتساءل أى قارئ لم ضمنه الباحث كتابه ؟ ما الذى حدا به إلى ركوب هذا المركب الصعب بتقديم القرآن الكريم - النص - على أنه هو الذى أطلق الاسم على نفسه ، ونأى بنفسه عن أن يذكر أن الله سبحانه - منزل القرآن - هو الذى أطلق التسمية على كتابه ، وليس الكتاب أو القرآن أو النص هو الذى أطلق هذه التسمية على نفسه ..

الحقيقة التى لاشك فيها أن عبارة الباحث فى حديثه عن النص فى هذا المقام بالصيغة التى تناولها به توحى بكثير من المعانى التى لو تم الإفصاح عنها ، لكانت فى غير صالح الجانب الاعتقادى للباحث .

كذلك يبرز تساؤل آخر نابع من نفس صيغة البحث التى أوردنا ذكرها

قبل سطور وهو : ماهى الثقافة التى ينتسب إليها النص ، وتشكل من خلالها ؟ والتساؤل هذا نابع من عبارة الباحث [ص٦٠]:

« إن النص فى إطلاقه هذا الاسم على نفسه ينتسب إلى الثقافة التى تشكل منها » .

ونحن حين نترجم هذا الكلام بوضع لفظ القرآن مكان النص ، يكون كلام الباحث على النحو الآتى : « إن القرآن فى إطلاقه هذا الاسم - يعنى القرآن - على نفسه ينتسب إلى الثقافة التى تشكل منها » !! فأى ثقافة تلك التى تشكل منها القرآن - وقد مر بنا فى صدر البحث تعريف مصطلح الثقافة - ؟؟ إن إجابة هذا السؤال لاتعنى - أراد الباحث أو لم يرد - إلا أن النص من صنع محمد ﷺ ، وقد استمد مادته من بيئته التى تشكل من خلالها ، وهكذا مرة أخرى يهز الباحث قدسية القرآن ، ويجرده من طبيعته السماوية ، وينزل به إلى بيئة أرضية ، وهو أمر فى طرف من الخطورة والبعد عن الطبيعة الإلهية للكتاب العزيز .

وعلى نفس النسق الفكرى الذى سار عليه الباحث من عزل ارتباط النص أو القرآن عن الخالق الأعظم ، ماذكره عن الشعر ، والقرآن ، والرسول .. إن الباحث يقول مانصه :

« وإذا حرص القرآن على نفى صفة الشعر عن نفسه ، وعلى نفى صفة الشاعرية عن محمد ﷺ قد أدت إلى تحريم الشعر أو كراهيته .. لقد أراد النص أن يدفع عن نفسه صفة الشعر لأسباب ترتبط بتصور العرب لماهية الشعر من حيث المصدر والوظيفة » [صفحة١٥٨] .

هكذا تعبير الباحث عن عزل صلة القرآن بمنزل القرآن ، وهو يكرر العبارات نفسها فيما تلا من سطور وصفحات .

إن القرآن الكريم لم ينف عن نفسه صفة الشعر ، كما أن القرآن الكريم لم ينف

عن محمد ﷺ صفة الشاعر ، وإنما الذى نفى ذلك عن الرسول ﷺ هو منزل القرآن وليس القرآن ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿**وما علمناه الشعر وماينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين**﴾ [يس : ٦٩] ، وفى قوله تعالى : ﴿ **وما هو بقول شاعر قليلاً ماتؤمنون** ﴾ [الحاقة : ٤١] ، ولم يرد فى القرآن الكريم فى شأن نفى الشعر عن الرسول ﷺ غير آية يس ، كما أنه لم يرد فى نفى الشعر عن القرآن الكريم غير آيتى يس والحاقة ، والذى تولى نفى الشعر عن الرسول ﷺ هو الله سبحانه بنون المتكلم : ﴿ **وما علّمناه الشعر** ﴾ . .

إنه من غير المقبول منطقاً أن ينفى القرآن عن نفسه شيئاً ، كما أن مثل هذه العبارات يرفضها السلوك الإيمانى ، وفى مسرى المشاعر الإيمانية بل المعالم الإيمانية . . لايقول مسلم بأن القرآن نفى الشعر عن محمد ﷺ أو عن نفسه ، وإنما الذى يقوله المؤمن هو أن الله قد نفى الشعر عن القرآن وصفة الشاعر عن محمد ﷺ . . لأن الله هو منزل القرآن .

العرب الجاهليون أقرب فهماً لطبيعة النص :

هذا القول رأى للباحث سجله فى صفحة ١٥٩ من كتابه إذ يقول :

« ولقد كان العرب الجاهليون فيما يبدو أقرب فهماً لطبيعة النص - يعنى القرآن الكريم - ولوظيفته وغايته من كثير من رجال الدين المعاصرين الذين يجزئون النص فقد كانت الحرب التى شنها العرب ضد النص - القرآن - فى حقيقتها حرباً ضد الواقع الجديد الذى خلقه النص فى بنائه اللغوى أولاً » [صفحة ١٥٩] .

إن المعنى الذى يفهمه أى قارئ لكلام الباحث هو أن كفار قريش ماجمعوا جموعهم ، ولاجندوا صناديدهم ، ولا عبأوا جيوشهم إلا لخوفهم من بلاغة القرآن ، وأما تعاليم القرآن بعبادة الله وتوحيده ، والإيمان برسالة الإسلام ، وترك عبادة الأوثان ، ونبذ التعامل بالربا ، والكف عن وأد البنات ، والإغراق فى الانحلال ، واقتراف الآثام ، فهى أمور ثانوية طبقاً لحرفية رأى الباحث .

إن الباحث والأمر كذلك .. لم يفهم حقيقة القرآن وجوهره ، أو هو يلوى عنق الحقيقة ، ويذهب بها مذاهب بعيدة كل البعد عن مقصد القرآن ووظائفه .

إن الأمر ليس بهذه الصورة الخاطئة ، فقد كانت الحرب التى شنها العرب الوثنيون ضد « النص » بسبب الدين الجديد الذى أقضت تعاليمه مضاجعهم ، والعقيدة السماوية الجديدة الداعية إلى الإيمان بالله ، وتوحيد ذاته ، وإشاعة العدل بين الناس ، وإنكار لعبادة الأصنام ، والإيمان بالبعث والنشور والحساب والثواب والعقاب .. إن هذه الأهداف القرآنية هى الأساس من الرسالة التى يحمل تعاليمها ويبلغها عن طريق الصادق المصدوق صاحب الرسالة ونبى الإسلام محمد ﷺ .

هذا ولم يفت الباحث أن يَعَرّض بعلماء المسلمين المعاصرين الذين يطلق عليهم اسم : « رجال الدين » ، وكان ينبغى ألا يفوته أنه ليس فى الإسلام رجال دين .. فذلك من مراسم المسيحية واليهودية والأديان الوضعية .. أما الإسلام فإن القائمين على شئون التعريف به والدعوة إليه هم علماء الدين ، الذين ناصبهم الباحث العداء .. فلاتكاد تمر مناسبة لذكرهم إلا خلع عليهم من الأوصاف مالايليق أن يصدر عن باحث فى علوم القرآن ، وهو ماسوف نعرض له فيما يستقبل من صفحات هذا « التقويم » .

حضارة النص أم حضارة التأويل ؟!

النص فى مفهوم الباحث هو القرآن الكريم ، وأما التأويل فهو مصطلح يدخل تحت مفهوم التفسير والشرح والاستنتاج ، ومن ثم فإن هناك فرقاً كبيراً بين القرآن بقدسيته ، وبين التأويل .. لأن التأويل موضع اتهام فى بعض الأحيان ، ولكن الباحث تضطرب الموازين فى يديه حين يقرر أنه إذا كانت الحضارة الإسلامية حضارة النص فهى أيضاً حضارة التأويل .. وهو كلام مضطرب ، ومن ثم فإنه من المستحسن عرض كلامه بنصه إذ يقول :

« إذا صح افتراضنا فى مفتتح هذه الدراسة أن الحضارة العربية الإسلامية هى حضارة النص يصح أيضاً أن نقول حضارة التأويل .. وذلك أن التأويل هو الوجه الآخر للنص .. وإذا كان مصطلح [التأويل] فى الفكر الدينى الرسمى قد تحول إلى مصطلح [مكروه] لحساب مصطلح التفسير فإن وراء مثل هذا التحويل محاولة مصادرة كل اتجاهات الفكر الدينى المعارضة سواء على مستوى التراث أو على مستوى الجدل الراهن فى الثقافة » [صفحة ٢٤٧] .

الواقع أن مثل هذا الفكر يدخل فى باب الإثارة أكثر منه صلة بالعلم والمنهجية ، وهو من قبيل تعكير الجو الفكرى الإسلامى .. فليس فى الإسلام ثمة فكر دينى مؤيد وفكر دينى معارض .. الفكر الإسلامى نسق ينبع من معين واحد هو الكتاب والسنة ، ومن يخرج عن هذا الإطار فقد عزل نفسه عن الإسلام ، وإذا كان ثمة اختلاف ففى الفروع .

غير أن الفهم الغريب الذى ساقه الباحث فى فقرته السابقة هو الذى يدين اتجاهه الفكرى حيال القرآن الكريم .. إنه لايقرر أن الحضارة الإسلامية هى حضارة القرآن .. ولكنه يفترض ذلك ويسوق افتراضه الغريب بشروط معيبة علماً ومنطقاً وذلك فى قوله :

« إذا صح افتراضنا أن الحضارة العربية الإسلامية هى حضارة النص - يعنى القرآن - فإنه يصح أن يقال : إنها حضارة التأويل » .

وهو تعليل مريض أدانه القرآن الكريم فى قوله تعالى فى سورة آل عمران : ﴿ **هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم مرض فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله ...** ﴾ [آل عمران : ٧] .

هو قرآن - نص - واحد لاخلاف على أحكامه التى هى جوهر الدين وحدوده .

الإسلام ليس له مفهوم موضوعى محدد !!

هكذا يقرر الباحث أن الإسلام ليس له مفهوم موضوعى محدد ، ومن ثم كان هدفه الثانى من هذه الدراسة هو محاولة تحديد هذا المفهوم .. وتلك هى عباراته بألفاظها :

« إذا كان النص القرآنى هو نص الإسلام فإن الهدف الثانى لهذه الدراسة يتمثل فى محاولة تحديد مفهوم موضوعى للإسلام .. مفهوم يتجاوز الطروح الأيديولوجية من القوى الاجتماعية والسياسية المختلفة فى الواقع العربى والإسلامى » [صفحة ٢٢] .

إن أشد الناس عداوة للإسلام لم يتجاسروا على النيل من الإسلام بقدر مانال منه الباحث فى عباراته تلك .. إن الإسلام لم يتحدد له مفهوم موضوعى منذ جاء محمد ﷺ بالرسالة إلى يومنا هذا ، فجاء الباحث الدكتور نصر حامد أبو زيد ليجهد نفسه : « فى محاولة تحديد مفهوم موضوعى للإسلام » !!

إن مثل هذه الأفكار الهازلة لاينبغى الوقوف أمامها ، لأن الفاحص يقف أمام فكرة مستقيمة أو خاطئة ولكنها قابلة للمناقشة ، ولكن فكرة الباحث فى محاولة تحديد مفهوم موضوعى للإسلام ليست من ذلك فى شىء ..

الإسلام دين عربى !!

هكذا يقرر الباحث فى صفحة ٢٦ من كتابه ، ثم ينطلق إلى مدى آخر من آفاق تفكيره الخاص ليقول :

« بل هو - يعنى الإسلام - أهم مكونات العروبة وأساسها الحضارى والثقافى » [الصفحة نفسها] .

مما لاشك فيه - فيما لو كان الباحث يعنى مايقول - أن ثقافة الباحث الإسلامية تحتاج إلى تنمية وقراءة طويلة ، لأن الإسلام لايختص بجنس ولا انحاز لفريق ، وإنما هو دين كل من اعتنقه .. عربياً كان أو أعجمياً ، أبيض أو أسود ،

ذكراً كان أو أنثى .. وليس كون محمد ﷺ عربياً، وأن القرآن عربي أن يكون الإسلام ديناً عربياً، والباحث لابد أن يعرف أن أشد الناس عداء للإسلام هم: « العروبيون »، وعليه أن يقرأ مبادئ حزب البعث العربي، وأن يتابع تطبيقاته، وأن يفعل الشيء ذاته مع حركة القوميين العرب، وما هو موقفهم من الإسلام الذى ينكرونه كل الإنكار .. الإسلام ليس دين العرب كما ذهب الباحث، ولكنه دين الله إلى الناس كافة فى كل زمان وفى كل مكان.

معارضة الباحث تطبيق أحكام الإسلام ويصف علوم القرآن بأنها تراث رجعى:

يقول الباحث ما نصه:

« وإذا كان ذلك التحدى الحضارى الذى واجه أمتنا منذ سبعة قرون هو الذى حدد للعلماء طرائقهم فى التأليف والتصنيف، فجمعوا كل ما كان له علاقة بالنص - يعنى القرآن - من قريب أو من بعيد تحت عنوان (علوم القرآن) فإن التحدى الذى يواجهنا اليوم يفرض علينا سلوك طريق آخر » [صفحة ١٦].

ويستطرد الباحث قائلاً:

« وإذا كان علماء الماضى قد استجابوا للتحدى الذى كان مطروحاً عليهم استجابة حققت إلى حد ما (الحفاظ) على التراث من الضياع، فإن التراث الذى حفظوه لنا هو التراث الرجعى » [صفحة ١٦].

وبشئ قليل من تأمل كلام الباحث .. يتبين أن المقصود بالتراث الرجعى الذى حفظوه هو علوم القرآن ..

ويمضى الباحث فى نفس الصفحة قائلاً:

« يذهب البعض مثلاً إلى أن خلاصنا الحقيقى يتمثل فى العودة إلى الإسلام بتطبيق أحكامه وتحكيمه فى حياتنا كلها الاقتصادية والاجتماعية

والسياسية انتهاء إلى أصغر التفاصيل فى حياة الفرد والجماعة ، وأصحاب هذا الاتجاه وإن كانوا اليوم أعلى صوتاً لايكادون يقدمون لنا مفاهيم كلية أو تصورات للتغيير الاقتصادى والاجتماعى والسياسى ، وإنهم لايتجاوزون الاستشهاد بما حققه المسلمون من تقدم وحضارة ، ويفسرون هذا التقدم بمجرد اتباع المسلمين للنصوص - يعنى نصوص القرآن والسنة - وتحكيمها فى حياتهم » [صفحة ١٦] .

الأمر العجيب أن الباحث وهو يستنكر مطلب تطبيق أحكام الشريعة ، يورد من خلال استنكاره الرد على ما أثاره ، ويثبت الإجابة الناجعة وهى أن المسلمين حين طبقوا الشريعة أصابوا علماً وافراً ، واقتصاداً ناجحاً ، ومجتمعاً سليماً ، ولاشك فى أن الباحث لايعلم أن أغنياء المسلمين فى فترات من حكم عمر ابن عبد العزيز وكافور الإخشيدى فى مصر لم يجدوا فقراء كى يوزعوا عليهم زكاة أموالهم . .

وفى غيبة كاملة للوعى يستطرد الباحث ناعياً على الأحزاب السياسية كلها فى مصر تبنى مطلب تطبيق الشريعة الإسلامية قائلاً : « ومن المؤسف أن تتبنى كل أحزابنا السياسية هذا المطلب - يعنى تحقيق تطبيق الشريعة - رغم افتراض اختلاف المنطلقات النظرية لكل حزب من هذه الأحزاب » [صفحة ١٨] .

ويمضى الباحث فى حملته الشديدة على الشريعة والتراث فيما يشبه هذيان المحموم قائلاً : « وإذا كان الحل السلفى فى حقيقته وجوهره يتنكر دون أن يدرى لمقاصد الوحى وأهداف الشريعة حين يفصل (النص) عن الواقع وذلك بالمطالبة بتطبيق (نص) مطلق على (واقع) مطلق ، فإن بلورة مفهوم النص قد يزيل جوانب بعض هذا التعتيم ، وقد يكشف القناع عن حقيقة الوجه (الرجعى) لهذا الفكر وامتداداته فى التراث وحقيقة عدم انفصاله عن تيار ثقافة الطبقة المسيطرة » [صفحة ١٨] .

وفى مجال حمى حديث الباحث عن الرجعية والرجعيين يذكر أن كلاً من طه حسين والعقاد بدأ حياته مجدداً على مستوى الفكر واللغة والأدب، ثم انتهى كل منهما محافظاً رجعياً .. [صفحة ٢٠].

وبذلك يكون مفهوم المحافظة والرجعية مقابلاً للإيمان، ويكون مفهوم التجديد مقابلاً للانحراف والزندقة، ذلك أن سقطات طه حسين وجموح العقاد فى شباب كل منهما كان هذا الفريق من الناس يعتبرهما مجددين، قيل إنهما انتهيا إلى الإيمان والكتابة البناءة فى الفكر الإسلامى حسبَا رجعيين.

ماركسية الفكر والمنهج :

إن الفكر الماركسى يتجلى فى أكثر صفحات الكتاب، وإن نهج الباحث فى عرض أفكاره و فى إصدار أحكامه نابع من فكر ماركسى ملك على الباحث كل جوارحه، وطريقة تناوله لقضاياه .. سواء أكانت خاصة بموضوعات الكتاب أو عامة متصلة بالمجتمع العام والحركة فيه، وهو يكثر من الدعوى إلى تأليب أفراد المجتمع وجماعاته، ويسرف فى ذلك إسرافاً شديداً مردداً الشعارات التى كانت الماركسية ترفعها، وتحض على تبنيها من مثل مايعبر عنه « بتعارض المصالح بين المستغلين وبين الطبقات الكادحة » [صفحة ٢٧١]، أو مايدّعيه من دور الفقيه « وتحوله من رعاية مصالح الأمة إلى تبرير سلوك الحكام ورعاية مصالح الطبقات المستغلة المسيطرة وضرورة إعادة النظر فى مفهوم الإجماع، فلايكون إجماع أهل الحل والعقد هو الإجماع الذى يعمل به » [صفحة ٢٧٢].

ويتضح الفكر الماركسى فى الممارسة الأكاديمية للباحث بشكل صارخ فى تخطئته للغزالى حين يعرض له نصاً مقتطفاً من « إحياء علوم الدين »، وضمنه قوله تعالى : ﴿ **نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ...** ﴾ [الزخرف: ٣٢].

إن الباحث يعلق على النص والآية حرفياً بقوله :

« إن المفهوم الطبقى واضح هنا فى استخدام لفظ (التسخير) ، فالعمال مسخرون فى خدمة الملوك لإقامة ملك الدنيا ، وأهل الدنيا مسخرون لخدمة أهل الآخرة لكى يستقيم لهم سلوك الطريق » .

ويستطرد الباحث قائلاً فى نطاق من السخرية : « وفى هذا المفهوم يبدو حرص الغزالى على المحافظة على النسق الاجتماعى القائم مادام هو النسق الوحيد القادر على ضمان الخلاص لأهل الآخرة ، ولذلك أيضاً نفهم حرصه على الجمع بين نظامين من العقائد وبين طريقين للتأويل » [صفحة ٣٢٥] .

ولايكتفى الباحث بهذا القدر من التعريض بالآية القرآنية وبآراء الغزالى المستمدة منها ، بل يعود ليعرّض بالإمام الجليل فى هامش الصفحة من أسفلها قائلاً مانصه :

« والتشابه واضح بين مفاهيم الغزالى ومفاهيم الخطاب الدينى الرسمى المعاصر » .

وفى نطاق تأكيد ماركسية الفكر لدى الباحث ماذكره تعليقاً على فقرة مقتطفة من كتاب « جواهر القرآن » للغزالى .. يقول الباحث ما نصه :

« إن مالقيه فكر الغزالى من ذيوع وقابلية فى الأجيال التالية له حتى صار نسقه الفكرى مهيمناً على الخطاب الدينى المسيطر هيمنة شبه تامة ، أمر يحتاج إلى التحليل والتفسير ، ويكفينا هنا أن نقول : إن جانباً من هذا الذيوع - لفكر الغزالى بطبيعة الحال - يمكن تفسيره بثنائية النسق الفكرى الذى يطرحه الغزالى ، حيث قدم للعامة وسيلة الخلاص بسلوك طريق الآخرة ، وقدم للطبقات المسيطرة من حكام وسلاطين أيديولوجية النسق الأشعرى بكل ماينتظم فى هذا النسق من تبريرية وتلفيقية .. لم يكن من الممكن لنسق الغزالى أن يهيمن ويسيطر إلا والواقع الاجتماعى والسياسى للعالم الإسلامى يعانى التفسخ الداخلى بين طبقات الأمة - وهو تفسخ لم يحسمه صراع حقيقى اجتماعى (يعنى حمامات الدم طبقاً للسلوك الماركسى) أو فكرى - لكن هذا

التفسخ قد زامنه سيطرة المستعمر وتحالفه مع قوى الاستغلال الداخلية فى الأوطان الإسلامية ، فى ظل هذه الأزمة المركبة مازال فكر الغزالى يقدم الغذاء والدواء ، بتبرير الواقع ، وتأجيل الحل والخلاص إلى مابعد الموت» [صفحة ٣٣٦ ، ٣٣٧] .

وقد دلل هؤلاء المفسرون على ماذهبوا إليه من تفسير الوسواس بالشيطان ، بقوله تعالى فى سورة الأعراف : ﴿ **فوسوس لهما الشيطان ...** ﴾ [الأعراف : ٢٠] ، وبقوله تعالى فى سورة طه : ﴿ **فوسوس إليه الشيطان ...** ﴾ [طه : ١٢٠] .

وإن العارفين بعلوم القرآن ومقاصده يعرفون أن الجن لم يرد - ألبته - فى القرآن الكريم على أنه الوسواس ، و أنه يوسوس ، وإنما الوسوسة مقصورة على الشيطان باستثناء ماجاء عن وسوسة النفس فى الآية الكريمة من سورة ق : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ..** ﴾ [ق : ١٦] .

ومن الأخطاء التى لايليق بالباحث أن يقع فيها ذكره أتباع دين إبراهيم عليه السلام بأنهم الأحناف ، وهو خطأ واضح لأن الأحناف هم أتباع مذهب الإمام أبى حنيفة ، وأما أتباع دين إبراهيم - والمسلمون أيضاً - فهم الحنفاء أى أتباع الحنيفية وهى دين إبراهيم ، والمفرد حنيف على وزن أمير .. وإذا حاول الباحث أو غيره أن يعزو ذلك إلى خطأ مطبعى فإن ذلك يكون خطأ ثانياً لأن اللفظ قد تكرر ذكره على صورته الخاطئة فى أكثر من صفحة من صفحات الكتاب مثل صفحتى ٦٩ ، ٧٤ على سبيل المثال .

ومن أخطاء الباحث أيضاً أن يصدر أحكاماً من منطلق معلومات خاطئة شائعة ، مثال ذلك ماذكر به كافوراً الإخشيدى من سوء ، وضربه مثلاً للحاكم السىء لقطر إسلامى [صفحة ٢٠] وإن دل مثل هذا الرأى على شىء فإنما يدل على أن الباحث يفتقد عنصر تمحيص الأخبار وتدقيقها .. فلقد كان كافور برغم سواد

وجهه ونشأته على الرق - لأنه خطف صغيراً - واحداً من أصلح حكام المسلمين، كان صالحاً فى شخصه وسلوكه وعلمه، وصالحاً فى حكمه حتى إن أغنياء المصريين فى أيامه لم يجدوا طرقاً لمصارف زكاتهم بسبب حسن الأحوال الاقتصادية لعامة المصريين.

ومن الأخطاء المنهجية التى وقع فيها الباحث محاولاته إخضاع أسلوب القرآن الكريم لمعايير نقدية أوروبية علمانية معاصرة، والقرآن الكريم طبقاً لما هو معلوم منزه عن أن يخضع لمعايير نقدية جاءت بها بربارا جونسون Barbara Jonson أو بيتر نسلروث Peter Neslroth [صفحة ٢٠٠،٢٠٥] .. بل إن العلماء المسلمين جعلوا القرآن الكريم معلماً لهم فى معايير البلاغة والأسلوب مثلما هو معلم لهم فى شئون الدنيا والآخرة.

وفيما يلى الرأى الأخير:

(الرأى الأخير)

فى استعراض سريع للأخطاء التى وقع فيها الباحث الدكتور نصر حامد أبو زيد فى الكتاب موضوع التقويم نجد أنها تجاوزت مسمى الأخطاء إلى شىء أخطر من ذلك وهو الانحراف بالقرآن الكريم عن مقصده وسوء تناول دراسته، ونسبة أمور فاسدة علماً واعتقاداً إليه .. من أهمها :

أولاً : فساد الفكر الذى قام عليه الكتاب فى تناوله لدراسة القرآن الكريم موضوعاً ومنهجاً، وإسباغ صفة (بشرية) عليه .. مما يوحى بأن محمداً ﷺ ذو مشاركة فى « إنتاجه »، وأن القرآن تجاوب مع الواقع واستجاب له مما يومئ بإيحاءات خبيثة، وأن القرآن هو الذى أطلق على نفسه اسم القرآن، وأنه - أى القرآن - هو الذى نفى عن نفسه صفة الشعر، كما نفى الصفة نفسها عن محمد ﷺ، وأن العرب الجاهليين أقرب فهماً لطبيعة النص من « رجال الدين » المعاصرين، وأن الحضارة العربية الإسلامية حضارة تأويل، وأن الإسلام ليس له مفهوم موضوعى محدد، وأنه فى الوقت نفسه دين عربى، وأن علوم القرآن الكريم تراث رجعى، كما اتضح أن الباحث ماركسى الفكر والمنهج، وأن فى معلوماته العامة كثيراً من النقص والقصور مما أدى به إلى الوقوع فى أخطاء كثيرة على مسرى صفحات كتابه ..

ثانياً : من أشد انحرافات البحث خطراً هو ما قرره الباحث من أن الأحكام التى انتهى إليها فى هذه الدراسة - وهى من التصادم مع بديهيات الإسلام بمقدار كبير - تعد طبقاً لمنطوق كلمات الباحث « ثمرة لتفاعل خصب مع طلاب قسم اللغة العربية بجامعة القاهرة .. سواء فى الجامعة الأم .. أو فى فرع الخرطوم بالسودان .. وقد أتيح لى - والكلام للباحث - من خلال المشاركة فى تدريس مادتى القرآن والحديث أن أقوم مع الطلاب باختيار مجموعة من الفروض تدور كلها حول القرآن من جوانبه المختلفة، وكان النهج الذى سرنا عليه هو قراءة ماكتبه القدماء فى الموضوع أولاً، ثم مناقشة آرائهم من خلال منظور معاصر ثانياً » [صفحة ٥٠] .

هكذا يكون الباحث قد أشرك الطلاب - راغمين - على مسايرته فى فكره ، وعلى وجه الترجيح أيضاً فى اعتناق آرائه التى بدت تجاوزاتها وانحرافاتها فيما هو مفصل على صفحات هذا التقرير .. ولم يقف الأمر به عند تغرير الطلاب المصريين فى آداب القاهرة وحدهم ، وإنما تعداهم إلى الطلاب السودانيين فى فرع الجامعة بالخرطوم .

ومن البداهة بمكان أن يلتزم الطلاب باستيعاب هذه الآراء المنحرفة التى ضمنها الكتاب لأنها عرضة لأن تكون موضوعات للأسئلة التى يتحتم على الطالب أن يجيب عليها فى امتحانات نهاية العام الدراسى ، ومن ثم فإن الطالب الذى لايلتزم بالإجابة عليها طبقاً لما هو مسطور فى صفحات الكتاب ، وطبقاً لفكر الباحث - وهو عضو هيئة التدريس بكلية الآداب بجامعة القاهرة - يكون محكوماً عليه بالرسوب فى تلك المادة ، وبذلك تكون جامعة القاهرة قد أسهمت بدراية كاملة فى تخريج طلاب من الجنسين التحقوا بها وعقيدتهم سليمة ، وتخرجوا فيها على عقيدة دينية غير سوية " .

لذلك فإننا نرى :

أولاً : منع تداول هذا الكتاب لما يؤدى إليه من فساد مؤكد فى عقيدة القراء بصفة عامة ، وطلاب جامعة القاهرة بصفة خاصة ..

ثانياً : الحفاظ على عقيدة الطلاب وتجنيبهم تلقى الدروس على هذا الأستاذ بالسعى إلى إبعاده عن أى محيط ثقافى شبابى ، وفى مقدمة ذلك الجامعات والمعاهد العلمية ..

والله تعالى ولى التوفيق ،،،

دكتور / مصطفى الشكعة

* * *

بيان
للمكتب الدائم لنوادى هيئات التدريس

أصدر المكتب الدائم لنوادى هيئات التدريس فى الجامعات المصرية بياناً بمناسبة أحداث قضية د. نصر أبو زيد .. وقد جاء البيان بعنوان « استقلال الجامعة » وهذا نصه :

تتعرض جامعة القاهرة إلى حملة صحفية منظمة تستهدف التأثير على قرارات مجلسها من خلال تجريمها والإساءة إليها وإلى نخبة من أساتذتها الأعلام الذين يشكلون اللجنة العلمية الدائمة للترقيات فى الأدب العربى .

وقد اتخذت هذه الحملة ذريعة من حالة أحد الزملاء الذين لم يوفقوا فى الترقية إلى وظيفة أستاذ ، وبصرف النظر عن الانتماءات السياسية للصحفيين الذين يشنون هذه الحملة فإن المكتب الدائم للنوادى يود أن يعبر عن الآتى :

أولاً : يؤكد المكتب الدائم على ضرورة احترام استقلال الجامعة والحفاظ على القوانين والأعراف الجامعية الأصيلة التى يضمنها الدستور وقانون تنظيم الجامعات .

ثانياً : يعبر المكتب عن تقديره لمجلس جامعة القاهرة ، ويدين أسباب الابتزاز التى تهدف إلى النيل من استقلال الجامعة .

ثالثاً : يؤكد المكتب على أن القوانين والقنوات والهياكل الجامعية كفيلة

بحل جميع المشاكل التى تنتاب العمل فى الجامعة من خلال المجالس والمؤسسات الجامعية .

رابعاً : يحذر المكتب من العواقب الوخيمة لمثل هذه الحملات الهوجاء التى لا ترتكز على مقومات سليمة ، والتى تهدف إلى بث بذور الفتن ، مما ينعكس سلبياً على انتماء الطلاب وعلى قضية الاستقرار .

مقرر المكتب الدائم

د. بدر الدين غازى

مع عبد الصبور شاهين **

بقلم / د. مصطفى محمود

جريدة الأهرام - السبت ١٠/٤/١٩٩٣

الدكتور نصر حامد أستاذ مساعد بكلية الآداب قدم إنتاجه العلمى للترقية لدرجة أستاذ، وعرض هذا الإنتاج على لجنة علمية .. وقدم الدكتور عبد الصبور شاهين تقريراً عن هذا الإنتاج بعد دراسة متأنية .. وانتهى إلى أن الإنتاج المقدم لا يرقى إلى درجة الأستاذية .. واختارت اللجنة هذا التقرير ليعبر عن رأيها الجماعى .. وجاء قرار مجلس الجامعة موافقاً ومؤيداً لرأى اللجنة .. وسقط الأستاذ .. وهاجت الصحافة وقامت قيامتها بزعامة المعسكر العلمانى .

والخلاصة المفيدة لإنتاج صاحبنا فى سطور قليلة .. أنه ينعى علي الخطاب الدينى ويعيب عليه أنه يرد كل شىء فى العالم إلى الله وإلى مشيئته، وهو يرى أن هذا الكلام ينفى الإنسان وينفى القوانين الطبيعية والاجتماعية، وهو كلام لا ينسحب على الخطاب الدينى وحده، بل ينسحب على القرآن .. فالقرآن كله من أول صفحة لآخر صفحة يُرْجعُ كل شىء إلى الله ..

والعلماء شرحوا لنا كيف أن المشيئة الإلهية لا تنفى الإرادة الإنسانية ولا تنفى الحرية .. كل ما فى الأمر أن اختياراتنا الحرة معلومة عند الله مسبقاً .. وليس فى ذلك جبر ولا إكراه .. وإنما هو بعض من علم الله المحيط .. ولكن صاحبنا يصرف النظر عن كل هذا الاجتهاد ولا يلتفت إليه .

وبالمقابل نراه يدافع بحرارة عن الماركسية ويبرئها من تهمة الإلحاد ويقول : إن لينين وتروتسكى وكل الشيوعيين أخطأوا تأويل النصوص الماركسية .. [يقول هذا الكلام بعد اختبار تاريخى لمدة ثمانين سنة فشلت فيه الماركسية كنظرية وكتطبيق وانتهت بشعوب وأجيال إلى الإبادة وبدول كبرى إلى التسول والإفلاس] .

وعن القرآن يقول صاحبنا :

« إن الله تجلى فى القرآن كما تجلى الله فى المسيح ، ولكن منذ نزل القرآن فى كلمات عربية أصبح بشرياً يجوز الطعن فيه وعليه ، وتجوز مناقشته ويجوز فيه ما يجوز على الكلام البشرى من خطأ وصواب » .

ثم يلمح إلى أنه كان هناك قرآنات متعددة ولكن عثمان بن عفان رضى الله عنه كان خائناً للأمانة التى كلف بها فقضى على هذه التعددية واختار قرآناً واحداً بلغة قريش .. وهو خلط بين القراءات المتعددة [نظراً لتعدد اللهجات] والقرآن الواحد الذى نزل واحداً وهو الذى نقرؤه إلى الآن .

وتكلم عن سيطرة القرآن على العقول وسيطرة الدين على السلطة فى بلادنا كأنما يتحدث عن مجتمع تحكمه الكنيسة فى العصور الوسطى .. والحل الوحيد عنده لهذه العبودية هو التحرر من القرآن والسنة والخروج من سيطرة النصوص .. وهو يضع الأزهر والتطرف فى حقيبة واحدة مرفوضة .

والغيب عنده قرين للأسطورة ..وهو ينكر أن للقرآن وجوداً غيبياً سابقاً فى اللوح المحفوظ ، ويتهم القرآن بأنه لم ينج من المحو والإثبات ، ويردد كلام الشيعة الذين ادعوا محو الآيات التى نزلت فى إمامة سيدنا على .

ولا يرى صاحبنا فى القرآن إعجازاً إلا فى تغلبه على الشعر وسجع الكهان الذى كان شائعاً فى عصره .. وفيما عدا ذلك فلا إعجاز له فى ذاته .

وهو يتهم الإمام الشافعى بأنه ملفق ومغالط وبالمقابل نراه ينتصر بحماس شديد لرواية سلمان رشدى (آيات شيطانية) ويضعها فى مقام رواية أولاد حارتنا التى كتبها نجيب محفوظ رغم تجاوزات الأخيرة .

هذه حكاية الأستاذ الذى أراد أن يصعد ويترقى درجة فلم يجد وسيلة إلى تلك الدرجة سوى أن يهبط بالقرآن وبأهله درجات .

وكان للدكتور عبد الصبور شاهين فى هذا الإنتاج العلمى لصاحبنا رأى علمى دقيق ومحايد ، وكان رأى اللجنة « بإجماعها » موافقاً لرأى الدكتور عبد الصبور شاهين . . واتفقت الآراء على أن تلك البحوث لا ترقى لدرجة الأستاذية .

ولكن المتحمسين لهذا الهدم وهم « قبيلة الشيوعيين القدامى » ورجال الحرس القديم الذين انتهت دولتهم ولم تبق لهم إلا راية العلمانية يتجمعون تحتها ، وخيمة الإلحاد يتظللون بها . . هاجوا وماجوا وملأوا الصحف ضجيجاً وعجيجاً . . وكعادتهم « خلطوا الأوراق » واتهموا اللجنة ، واتهموا الدكتور عبد الصبور شاهين بالإرهاب .

وفتشت عن القنابل التى ألقاها الدكتور عبد الصبور شاهين على أدمغتهم فلم أجد سوى كلام علمى هادىء وموضوعى ورأى سديد متأن . . ورأيت المتهم الحقيقى الذى نسف الأرض من تحتنا بمقالاته الملغومة هو صاحبهم . . وليته نسف باطلاً وساند حقاً . . ولكنه للأسف هدم القرآن واتهم الصحابة وانتصر لسلمان رشدى وصفق لكارل ماركس . . ثم أراد بعد هذا أن يأخذ نيشاناً ودرجة ترقية . . فلما لم يفز بها قاد مظاهرة غاضبة مع أصحابه يتهمنا فيها بأننا إرهابيون .

نكتة والله . . وزمان عجيب كثرت فيه المضحكات .

وهذا صاحبهم الذى اتهم الصحابة وأنكر إعجاز القرآن وحيًّا سلمان

رشدى وصفق لكارل ماركس، قرأنا له على العين والرأس، ولم ننكر عليه حقه فى التفكير ولا حريته فى أن يختار الرأى الذى يستريح إليه .. لم ننكر عليه إلا النيشان والدرجة .. لأن مطلوبه أصبح حينذاك أكثر من مجرد أن نقرأ، وأكثر من مجرد أن نستمع .. وإنما أصبح مطلوبه أن نذعن .. ثم أن نضرب لسيادته سلاماً .. ثم أن نهتف له .. ثم أن نضع على رأسه ريشة .. وإلا أصبحنا إرهابيين، وحينذاك اختلفنا ..

وحق لنا أن نختلف ..

فمن منا أذنب .. ومن منا يرهب الآخر .. ؟!!

* * *

الإرهاب فى الجامعة .. وقصة « ابو زيد »

بقلم / الأستاذ جمال بدوى

جريدة الوفد - الخميس ١٩٩٣/٤/٨

فيما يلى ما كتبه الأستاذ جمال بدوى ومانشرته جريدة الوفد بتاريخ ١٩٩٣/٤/٨ حول الضجة الكبرى التى أثارها اليسار المصرى القبيح والعلمانيون المتمسلمون على صحفهم القومية والذى استقبله شعبنا المسلم بكثير من السخط والغضب والذى يبرز عادة عندما تنتهك حدود الله ، ويساء إلى الإسلام وشرائعه ، ويشوه تاريخ المسلمين :

ما هذه الضجة الكبرى ؟ !! :

ما هذه الضجة الكبرى التى تدور رحاها فى الصحف ووكالات الأنباء الأجنبية بسبب امتناع لجنة الترقيات بجامعة القاهرة عن ترقية أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية بكلية الآداب إلى درجة أستاذ (!!)

إن القضية لم تخرج عن اعتراض الجامعة على ترقية الرجل إلى درجة الأستاذية ، وكان بإمكانه أن يلجأ إلى القضاء الإدارى إذا رأى فى مسلك الجامعة حيفاً أو ظلماً ، وهو أمر يحدث لكثير من أساتذة الجامعات دون أن يثير هذا الصخب الذى يطالعنا على صفحات الصحف ومن خلال وكالات الأنباء الأجنبية ، ولا يمكن تفسير هذا الحشد الإعلامى إلا على أنه حملة منظمة

لترهيب الجامعة والإساءة إليها ، وإظهارها فى صورة محكمة التفتيش التى كانت تحاكم الناس على أفكارهم ومعتقداتهم .. بل ونواياهم .

لقد كان فى إمكان الأستاذ (المجنى عليه) أن يعارض الحيثيات التى أصدرتها لجنة الترقيات ، وبذلك تحل القضية داخل الحرم الجامعى ، ولكن الذين يكيدون للجامعة تلقفوا القضية وخرجوا بها إلى الشارع وحشدوا الأقلام واستنفروا الرأى العام فى شأن يخص الجامعة وحدها ، ولنا أن نتساءل : كيف يستطيع الرأى العام أن يحكم على إنتاج أستاذ جامعى بالصلاحية أو عدم الصلاحية (!!) وما هى الأدوات العلمية التى تملكها الجماهير حتى تحكم على مؤلفات جامعية بالحق أو البطلان (!!) وإذا كان من حق الدكتور نصر أبو زيد - وهو الأستاذ المفترى عليه - أن يرى فى مؤلفاته ما يستحق التمجيد ، فإن من حق غيره أن يرى عكس ذلك .. فمن الذى يفصل فى هذا الموضوع الشائك ؟

هل يفصل فيه عامة القراء الذين تتفاوت ثقافاتهم وانتماءاتهم ؟ .. أم يفصل فيه أهل العلم والخبرة والمتخصصون فى شئون الثقافة الإسلامية وهى المادة التى يتولى تدريسها الأستاذ ؟

لقد كان أحرى بأنصار الأستاذ أن يحتفظوا بالقضية داخل إطارها الجامعى والعلمى البعيد عن العواطف والأهواء إذا كانوا فعلاً حريصين على مهابة البحث العلمى واحترام حرية التفكير ..فالجامعة هى الحصن الحصين للأفكار والعلوم والآداب .. وستظل الجامعة ملاذاً لحرية البحث والتفكير ، ولكن أنصار الدكتور نصر تغافلوا عن هذه الحقيقة ، وبلغ بهم التهوين من شأن الجامعة إلى حد الاستخفاف برأى لجنة الترقيات التى تضم نخبة من أرباب العقول وأهل الخبرة فى شئون الثقافة الإسلامية من أمثال الدكاترة : شوقى ضيف ، وأحمد هيكل ، ورمضان عبد التواب ، ونبيلة إبراهيم ، وكمال بشر ، ومصطفى هدارة ، وعبد الصبور شاهين ، ومحمود حجازى ، ومحمود مكى ، وعبد السلام عبد العزيز .. وكلهم عمداء سابقون وعلماء مشهود لهم بالريادة ..

وهل من اللائق اتهام أصحاب هذه الأسماء الجليلة بالانحياز إلى تقرير وضعه واحد منهم ، فانساق وراءه الجميع و أذعنوا له بلا تفكير أو رويّة .. وكأنهم (إمّعات) معدومو الشخصية (!!)

قضية إرهاب :

إن مبلغ علمى أن الترقية الجامعية تستوجب فحص الإنتاج العلمى لطالب الترقية حتى تكون ترقيته عن جدارة واستحقاق ، فالأستاذ الجامعى ليس موظفاً عادياً يترقى تلقائياً دون جهد يبذله ، ولكن علمه هو جواز مروره إلى المرتبة الأعلى ، ومن المؤكد أن أعضاء اللجنة الموقرة فحصوا إنتاج الدكتور المجنى عليه فحصاً أميناً .. ووجدوا فيه ما يستحق حجب الترقية عنه ، أو لم يجدوا فيه ما يستوجب الترقية ، ومن ثم كان قرارهم الذى لا يصح أن ينازعهم فيه أحد من خارج الإطار الجامعى ، خاصة أن أصحاب الأصوات العالية لا يكفون عن التنديد بمستوى التعليم الجامعى ، وهبوطه إلى درجة متدنية ، ولا يكفون كذلك عن المطالبة بتنقيةمناهج التعليم من الشوائب الضارة التى تفسد عقول الشباب ، وتحشو أذهانهم باللغو ، فإذا جاءت لجنة علمية على أعلى المستويات ورأت فى إنتاج أحدهم مالايتناسب مع الأداء الجامعى ، فهل يكون جزاؤها السخرية والتهكم والتنديد والاتهام بأنها عصابة إرهابية تتواصل مع الإرهاب المستتر بالدين خارج الجامعة ؟ (!!)

لقد كشف الدكتور غالى شكرى فى مقاله الأسبوعى بجريدة الأهرام (١٩٩٣/١٢/٣١) النقاب عن أهداف هذه الحملة ، وكيف أنها ليست مسألة ظلم ، ولا هى مسألة ترقية ، وإنما القضية هى الحيثيات التى جاءت فى تقرير لجنة الترقيات ، ووصفها بأنها تشبه محاكم التفتيش من حيث بعدها البعيد عن التقويم العلمى ، وقربها القريب من البحث فى النوايا والضمائر والحكم بالتكفير وغيره من مفردات الإرهاب الذى تحاربه مصر الآن (!!) ثم يصل الدكتور غالى إلى بيت

القصيد بقوله : إن هذا الإرهاب الذى يشارك الدكتور نصر أبو زيد فى مقاومته قد استطاع التسلل أخيراً إلى موقع يمكنه من معاقبة هذا الأستاذ عقاباً رسمياً وقانونياً (!!) .

نحن إذن أمام قضية ذات ثلاث شعب :

أولها : إن الجامعة تحولت إلى محكمة للتفتيش .

ثانياً : إن مؤلفات الأستاذ هدفها محاربة الإرهاب .

ثالثها : إن الجامعة تحولت إلى بؤرة للإرهاب ومن ثم تعاقب من يتصدى لمقاومة الإرهاب .

وفى يقينى أن ما قاله الدكتور غالى شكرى هو الإرهاب بعينه ، وهل هناك إرهاب أكثر من تخويف الجامعة واتهامها بأنها أصبحت فرعاً للإرهاب المتستر بالدين ؟ ولم أكن أود من الدكتور غالى أن ينساق وراء الموضة التى شاعت فى حياتنا العامة والثقافية على السواء ، وأعنى بها موضة توجيه تهمة « الإرهاب » لكل من يعارضنا أو يخالفنا أو لا يذعن لرغباتنا . .

لقد تحول « الإرهاب » إلى مضغة فى الأفواه يلفظها كل إنسان فى وجه خصمه كى يذعن لرأيه ، ويخضع لمطالبه ، وإلا . . فإن عليه أن يتحمل مغبة الاتهام بالإرهاب . . وأصبح الإرهاب عصاً يرفعها كل من يريد الخروج على النظام والقانون .

أى إرهاب يا سيدى فى أن تمتنع الجامعة عن ترقية أحد أبنائها ؟ وهل هانت الجامعة على نفسها ، وذلت فى عيون الآخرين حتى تدمغ بهذه التهمة الشنيعة التى تؤدى بصاحبها إلى ما وراء الشمس ؟ وما الذى يبقى فى مصر يستحق الاحترام إذا كانت الجامعة وكراً للإرهاب ؟ وأى كرامة نعتز بها ونفخر إذا وصفنا الجامعة بأنها لا تقل بشاعة عن محكمة التفتيش التى تحاكم الناس على النوايا والضمائر (!!) .

أى إجحاف بحق الجامعة من هذا الاتهام الظالم الذى يتنافى مع الواقع .. إن سؤالاً يلح على خاطرى أرى لزاماً علىّ أن أوجهه إلى هيئة الدفاع الإعلامى عن الأستاذ المجنى عليه : هل حاكمت الجامعة نوايا الأستاذ وضميره ومعتقداته ؟؟ أم أنها حكمت على إنتاجه المطبوع فى كتب توزع أو تباع أو تدرس لتلاميذه فى الجامعة الذين هم أولاً وأخيراً أبناؤنا الذين يجب أن نحافظ على سلامة عقولهم وأفكارهم من أى فساد ؟؟

فى الشارع :

لقد وصف الدكتور غالى شكرى موكله بأنه :

« أستاذ عظيم لم يشأ أن يكون مدرساً بالمعنى الشائع هذه الأيام بحشو أدمغة التلاميذ بالمعلومات الجافة ، وإنما أتاحت له الموهبة والخبرة والثقافة أن يكون « المعلم » الذى يربط بين الجامعة والمجتمع ، وأن يخرج إلى الشارع ككل الأساتذه الكبار مفكراً يدرب العقول على التفكير والحرية حتى أصبح أحد الورثة اللامعين لأعظم تقاليد الجامعة المصرية ورموزها الكبيرة » .

إن هذه الصورة الوصفية الرائعة لأستاذ جامعى لا تعفى قيادة الجامعة من فحص إنتاج الأستاذ فحصاً علمياً دقيقاً وأميناً حتى تتأكد من أنه يستحق الترقية أو لا يستحقها ، وليس مما يعنى الجامعة أن يخرج الأستاذ إلى الشارع أو الحارة ليدعو إلى أفكاره .. فتلك مهمة الداعية أو المبشر .

أما الجامعة فولايتها على أبنائها تستلزم متابعة إنتاج المنتسبين إليها كى تتأكد من أن هذا الإنتاج صالح لبناء العقول ، وتصحيح المفاهيم على أن يتم ذلك داخل المدرجات وقاعات البحث ، وليس فى المنتديات والمقاهى .. ولا يصح بأى حال أن نصادر حق الجامعة فى فحص الغذاء العقلى لطلابها ، من حقها أن تصادر أى غذاء فاسد يمس الأديان والمعتقدات ، وليس من حقها أن تشجع الأفكار التى تطعن فى الدين تحت ستار حرية البحث والتنقيب (!!) ولن تكون

الجامعة فى أى يوم وكراً لترويج الإلحاد أو الزندقة أو الإباحية أو الفجور ، فالجامعة فى مصر جزء من كيان المجتمع المتدين ، ولن تكون معولاً لهدم الدين أو إضعافه فى نفوس الشباب ، وعندما يبعث الأب المصرى بابنه إلى الجامعة فهو لا يتصور أن يتخرج منها وقد خرج من الدين ، ومبدأ استقلال الجامعة لا يعنى بأى حال أن تكون الجامعة جزيرة منعزلة للعراء الفكرى أو الخواء الدينى .

إن حرية البحث العلمى مبدأ أساسى فى التعليم الجامعى ، بشرط أن يتوافق مع الأسس والتقاليد والآداب العامة للمجتمع ، ولا نتصور عاقلاً يدعو إلى الحجر على حرية البحث العلمى ، ولكن الذى يثير الشكوك حول هذه القضية هو : لماذا يكون الدين وحده هو المجال الذى يحلو للبعض أن يعبث فيه تحت ستار حرية البحث ؟ (!!) إن حياتنا العامة تعانى من التخلف والتقهقر والتدنى فى مجال العلوم والطبيعة والكيمياء والتكنولوجيا .. فلماذا نترك هذه المجالات ولا نبحث إلا فى العقائد والأديان ؟ (!!) لماذا لا نطلق العنان لحرية البحث العلمى فى القضاء على البلهارسيا والأنفلونزا والسرطان ؟ .. ولماذا يظل الدين هو (الملقف) الذى يستهوى دعاة الزندقة والإلحاد ؟ (!!)

لقد ظهر الأستاذ المجنى عليه على ألسنة هيئة الدفاع عنه فى صورة البطل الذى يشهر سيفه لمقاومة الانحراف والتضليل باسم الدين ، ولكن اللجنة الجامعية العليا التى فحصت إنتاجه قالت - وفقاً لما ذكرته عبلة الروينى فى الأخبار (١٩٩٣/٣/٣١) :

« إن إنتاجه يتصف بالكذب والجهل والافتراء على الإسلام بمذهب هو خليط من فكر وأيديلوجية ونقد وتطرف وجدلية يرفضه القراء والمتخصصون فى الثقافة الإسلامية » .

فإذا صح ما نقلته الزميلة نقلاً عن التقرير الجامعى .. فإلى أيهما ننحاز ؟ إلى رأى هيئة الدفاع الإعلامية التى تدافع عن حق الأستاذ فى إطعام تلاميذه

بالغذاء الفاسد ؟ أم إلى الهيئة الجامعية التى تضم أساتذة من طراز شوقى ضيف وأحمد هيكل وعبد الصبور شاهين ورمضان عبد التواب ؟ .

لقد وصفت الزميلة عبلة الروينى لجنة الأساتذة « بأنها تجاوزت دورها العلمى والجامعى بإغفال الأداء العلمى والتحليل المنهجى للمادة العلمية إلى ممارسة دور إرهابى على الفكر والاجتهاد والبحث » .. وكان أجدر بالزميلة أن تعرض علينا تقرير اللجنة كاملاً حتى نعرف الأسس التى بنت عليها قرارها ، ومدى التزامها بفحص الأداء العلمى والتحليل المنهجى للمادة العلمية .. أما أن نقتطف عبارة لتخدم بها غرضها .. فهو الظلم بعينه .. بل هو الإرهاب الذى نعوذ بالله من شره .

قضية الشعر الجاهلى :

بقيت قضية هامشية أرى لزاماً علىّ أن أتصدى لها انطلاقاً من كونى قارئاً جيداً للتاريخ .. إن الزملاء الذين تولوا « الدفاع » عن قضية المجنى عليه ، أثاروا قضية الدكتور طه حسين مع كتابه (الشعر الجاهلى) ليتخذوا منها نموذجاً للاضطهاد الذى وقع على أصحاب الفكر الحر منذ ستين سنة .

وقالوا : إن رئيس الجامعة وقتئذ - أحمد لطفى السيد باشا - استقال من منصبه احتجاجاً على فصل الدكتور طه من الجامعة .. واحتجاجاً على المساس بحرية الفكر وحرية البحث العلمى .. إلخ .

هذه هى العبارة الرنانة التى تستهدف إثارة المشاعر ضد إدارة الجامعة الحالية التى لم تتعظ من الماضى وتمارس الإرهاب مع المفكرين وأصحاب الفكر .

ولقد وقع الزملاء فى خطأ تاريخى .. إلى جانب الخطأ المنهجى ، فالواقع أن أحمد لطفى السيد باشا ، لم يترك الجامعة ، احتجاجاً على فصل طه حسين من الجامعة بسبب كتاب الشعر الجاهلى .. ذلك أن الفاصل الزمنى

بين كتاب (الشعر الجاهلى) واستقالة رئيس الجامعة يزيد على ست سنوات .. ولا يوجد بينهما أى رابط .. فضلاً عن أن طه حسين لم يفصل من الجامعة سواء بسبب كتابه المشهور أو لأى سبب آخر ..

ولكن الذى حدث أن وزير المعارف فى حكومة إسماعيل صدقى باشا سنة ١٩٣٢ وكان حلمى عيسى باشا قد أصدر قراراً بنقل الدكتور طه حسين - وكان عميداً لكلية الآداب - إلى منصب آخر بوزارة المعارف ، ويقول لطفى السيد فى مذكراته (كتاب الهلال) : إنه حاول إقناع رئيس الوزراء بإبقاء الدكتور طه حسين أستاذاً بالكلية مع إعفائه من منصب العميد ، ولكن الوزير أصر على رأيه ، ووافقه على ذلك رئيس الوزراء وعندئذ لم يجد مدير الجامعة مناصاً من الاستقالة .

أما حكاية كتاب (الشعر الجاهلى) فقد انفجرت فى مارس ١٩٢٦ عندما أثارت نخبة من النواب بعض ما تضمنه الكتاب من طعن فى الدين وإنكار للنبوءات وتشكيك فى نسب الرسول ﷺ بطريقة غير لائقة .. وطافت المظاهرات الشعبية حول مجلس الوزراء وكان رئيسه عدلى يكن باشا فطالب بفصل طه حسين من الجامعة ، وثارت أزمة بينه وبين سعد زغلول باشا رئيس مجلس النواب ، وخطب سعد باشا فى المتظاهرين فقال : « إن مسألة كهذه لا يمكن أن تؤثر فى هذه الأمة المتمسكة بدينها ، هبوا أن رجلاً مجنوناً يهذى فى الطريق ، فهل يضير العقلاء شىء من ذلك ، إن هذا الدين متين ، وليس الذى شك فيه « زعيماً ولا إماماً » حتى نخشى من شكه على العامة ، فليشك ما شاء .. ماذا علينا إذا لم يفهم البقر .. » .

أما الخطأ المنهجى فهو أن طه حسين تراجع عما تضمنه الكتاب من الطعن فى الدين ، وأنكر أمام المحقق - محمد نور بك - أنه لم يقصد « الطعن » على هذا الدين ، وأنه كمسلم لا يرتاب فى وجود الأنبياء ولا فيما جاء عنهم فى القرآن الكريم ..

ورأى رئيس النيابة أن العقاب على الخطأ فى الرأى مكروه ، ومن ثم حفظ القضية ، وانطوى ملف هذه القضية ولكن البعض يحلو لهم فتح هذا الملف بين الحين والحين .. لغرض فى نفس يعقوب .

فى ختام هذا المقال ، أقول للذين يحاولون العبث بالدين تحت ستار البحث العلمى فى الجامعة أو خارج الجامعة : اتركوا الدين وشأنه ، واعلموا أن للدين حماته وأربابه والمقتنعين به ، فدعوهم يعبدون الله بلا حذلقة وبلا فذلكة وبلا [أنتكة] .. ولن أستعير مقولة الدكتور غالى شكرى بأن عبثكم بالدين يؤدى إلى تغذية الإرهاب .. ولكنى أقول لكم بصراحة : العبوا بعيداً عن الدين .. وأقولها بصراحة أشد : العبوا غيرها (!!) .

* * *

قصة ابو زيد .. ورأى قانونى

بقلم / المستشار د. فتحى حمودة *

جريدة الأخبار - الجمعة ١٦/٤/١٩٩٣

لن نخوض مع الخائضين فى « موضوع » آراء الدكتور نصر حامد أبو زيد لبيان مدى انفلات هذه الآراء من حدود القرآن والسنة ، ونحن نعتقد أن تقرير الدكتور عبد الصبور شاهين الموقع عليه منه ومن أقرانه الذين ظاهروه عليه قد غطى هذا الجانب ووفاه حقه ، ومن ثم فإن كل همنا سوف ينصرف اليوم إلى تقرير مدى مشروعية القرار الصادر من مجلس الجامعة بحجب الترقية عن الرجل وذلك من زاوية النظر القانونى البحت .

وهنا نقرر أن جميع القرارت الصادرة من اللجنة العلمية ، ثم من مجلس القسم أو مجلس الكلية ، إنما هى قرارات تمهيدية وتحضيرية تعرض على مجلس الجامعة الذى بيده القرار النهائى القابل وحده للطعن أمام محكمة القضاء الإدارى ، والذى عليه وحده ينبنى طلب التعويض الاحتمالى إذا ثبت فيه عيب من عيوب القرار الإدارى .

والعبرة فى نهائية القرار الإدارى تكون بصدوره من جهة مختصة بإصداره دون حاجة إلى تصديق سلطة أعلى .

ولا يشترط فى القرار الإدارى أن يصدر فى صيغة معينة أو بشكل معين ، وإنما ينطبق هذا الوصف ويجرى حكمه كلما أفصحت جهة الإدارة أثناء قيامها بوظائفها عن إرادتها الملزمة بقصد أثر قانونى .

(*) كاتب هذا المقال أستاذ الاقتصاد والعميد السابق لتجارة أسيوط .

ويجب أن يقوم القرار الإدارى على سبب صحيح يبرر إصداره، بمعنى أن القرار يستلزم لصحته أن يقوم على وقائع صحيحة مستفادة من أصول ثابتة فى الأوراق ومؤدية إلى النتيجة التى انتهى إليها القرار، وإلا انطوى على مخالفة القانون لانعدام الأساس القانونى بسبب الخطأ فى فهم الواقع .. ولكن ليس معنى ذلك أن الجهة الإدارية تلتزم بذكر أسباب قراراتها دائماً بل إن المستقر فى فقه القانون الإدارى أن الجهة الإدارية غير ملزمة بتسبيب قراراتها إلا حيث يكون نص قانونى يلزمها بذلك، كالقرار الصادر برفض إصدار صحيفة.

ولا يكفى لشرعية القرار الإدارى أن يقوم على سبب صحيح، بل يتعين أيضاً أن يكون بمنجاة من الانحراف بالسلطة بصدوره من الجهة الإدارية لحماية أغراض غير التى قصدها الشرع من منحها تلك السلطة.

وأكثر من ذلك، فإن القرار الإدارى لايكتفى فيه بتحقيق المصلحة العامة بمعناها الواسع، بل إن القانون قد يرسم لقرار معين هدفاً معيناً يجعله إطاراً ونطاقاً له .. وهنا يلزم فى مثل هذا القرار ألا يوافق المصلحة العامة فحسب، بل لابد أن ينسجم أيضاً مع الهدف الخاص الذى عينه له القانون، وهو مايعرف بقاعدة تخصيص الأهداف التى تقيد القرار الإدارى بغاية خاصة ومحددة.

وبتطبيق ماتقدم على حالة الدكتور نصر حامد أبو زيد، فإننا نخلص إلى أن قرار مجلس الجامعة قد قام على أسس قانونية صحيحة مستفادة من أصول ثابتة فى الأوراق، ومفضية منطقاً وقانوناً إلى النتيجة التى انتهى إليها القرار، باعتبار أن آراء سيادته تصادم قواعد النظام العام وأحكام الدستور فى البلاد، ومن ثم يكون قرار مجلس الجامعة قد استهدف تحقيق وحماية المصلحة العامة فى المجتمع بحيث يمتنع إلغاؤه أو التعويض عنه.

وقد قضت محكمة القضاء الإدارى بأنه متى كان قرار منع استيراد كتاب «ليكن الله صادقاً» قد صدر عن باعث له مايؤيده من عبارات هذا الكتاب، وبغياً من وراء ذلك مصلحة عامة تقوم على صيانة النظام العام، واحترام العقائد

الدينية ، وتوفير السلام والطمأنينة للجميع ، فإنه يكون قراراً سليماً فى محله ، وتكون الدعوة حقيقية للرفض « الدعوة ١٢٥٥ لسنة ٦ق بجلسة ١٩٥٤/٦/١٦ » .

كما قضت المحكمة بأن من أولى شرائط البحث العلمى الجدير بهذا الاسم ، والحقيق بالرعاية ولاسيما فى أمور الدين التى تقتضى بطبيعتها التحرج أن يبسط الباحث مختلف الآراء فى دقة وأمانة ونزاهة ، وأن يستظهرها استظهاراً صحيحاً سليماً ، ثم يناقشها فى منطق وفهم وعن دراية وعلم وليس بنزوات الفكر ، وسوانح الوهم « الدعوى ٦٨٥ لسنة ٢ق بجلسة ١٩٥٠/٥/١١ » .

ثم تستطرد المحكمة فتقول : إنه إذا كان لاجدال فى أن ماتسفر عنه أقوال المدعى هو تشكيك المسلمين فى كتابهم أساس دينهم ، كما أن مايثيره من أن التعرض المجيز للمصادرة هو الذى يؤدى إلى قيام ثورة أو إذكاء فتنة نشبت أو أوشكت ، ولا أذن الأمر بشئ من هذا من قريب أو بعيد . . وإن مايثيره المدعى من ذلك لاوجه له ولاغناء فيه . . فليس بشرط أن يقع بسبب التعرض للدين تكدير للسلم العام فعلاً ، بل يكفى أن يكون من شأن التعرض حصول هذا التكدير . . أى أن يكون ثمة احتمال أن ينشأ منه ويترتب عليه ، كما أن هذا التكدير لايلزم أن يكون مادياً بحدوث شغب أو حدوث هياج ، بل يكفى أن يكون معنوياً بإثارة الخواطر وإهاجة الشعور مما من شأنه تكدير للسلم العام ، وعلى هذا الوجه يكون مجلس الوزراء حين قدر هذا التقدير وانتهى إلى هذه النتيجة لم يتعدَّ سبيل الحق ، ولم يجاوز حدود القانون . . « الدعوى السابقة » .

ويبقى بعد ذلك أن مانشر من آراء الدكتور أبو زيد يعتبر طعناً فى صميم عقائد المسلمين ، وفى قرآنهم الكريم ، وبالتالى فهو يشكل جريمة يعاقب عليها قانون العقوبات فى المادة (١٦١) منه ، كما يشكل ذنباً إدارياً ووظيفياً جسيماً يستوجب إحالة صاحبه إلى السلطة التأديبية .

هذا ديننا ...

بقلم / فضيلة الشيخ محمد الغزالى

جريدة الشعب - الثلاثاء ١٩٩٣/٥/٤

أزعجتنى جراءة الجهال على الإسلام ، ثم نجاتهم من عقبى التطاول !! كنا ونحن طلاب صغار نعرف أن أبا حنيفة مات سنة ١٥٠ هـ ، وأن الإمام الشافعى ولد فى هذه السنة ، فكنا نردد أنه فى هذه السنة ولد إمام ومات إمام . . ثم قرأنا لأستاذ جامعى أن الشافعى كان من عمال الدولة الأموية التى سقطت سنة ١٣٢ هـ ! كان من عمالها وهو فى ضمير الغيب !! وتتسع دائرة الجهل عند الأستاذ المسكين فيقول : إن عثمان بن عفان تعصب للقرآن القرشى ، وأخفى القرآنات المكتوبة بلهجات القبائل الأخرى ! وهذا التفكير فضيحة علمية يستحق عليها صاحبها التعزير . . فلم يعرف التاريخ إلا قرآناً واحداً كان العرب القادمون من اليمن يفهمونه ، وإن كانوا من جنوب الجزيرة ، وكان أهل المدينة ومن فوقهم ومن حولهم يفهمونه ، وإن جاءوا من شمال الجزيرة ، فما هذه اللهجات التى نزلت بها قرآنات أخرى ؟ لابد أن الكاتب كان مخموراً حين ساق هذا اللغو . . ! وجهله الثانى أقبح من جهله الأول ؛ لأنه يتصل بأساس الإسلام ومعجزته الباقية ، والمأساة أن يتصدى الشيوعيون للإسلام يبغون الارتقاء بمهاجمته . فإذا كشف القدر سوأة أحدهم تنادوا من كل مكان ليناصروا صاحبهم المخذول ، ويمنعوه أن يسقط . . ! إن القرآن هو الكتاب الفذ الذى تأذن الله بحفظه ، إنه الوحى المصون الذى حرسته التلاوة والكتابة المتواتران ، وأسلمته للأجيال ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . . فكيف يتجرأ عليه كُوَيْفر مغرور يتعثر فى بديهيات التاريخ ، ثم يناطح الجبال الشم ؟

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم　　يضرها وأوهى قرنه الوعل !

كنت أعرف أن هناك حَمَلَةَ أقلام لا إيمان لهم ، لكنى لم أكن أعرف أنهم يكرهون الله ورسوله ﷺ على هذا النحو! ثم كشفت الأيام أنهم متآمرون بليل ، فإذا ضبط أحدهم متلبساً بكفره تصايح الباقون انتصاراً للخطأ والضلال ، وإسهاماً مع الصهيونية والصليبية فى ضرب الإسلام!

ولما كان الإسلام الآن يتعرض لهزائم عسكرية وسياسية مخوفة فإن هجوم أولئك الملاحدة يتزامن مع ساعات العسرة ، أو أوقات الحرج التى تكتنف تاريخنا المهاجَم فى جبهات شتى .. فلنتخذ الحيطة ولنضاعف الحذر .

* * *

حذار من اللعب بالنار !

بقلم / الأستاذ فهمى هويدى

جريدة الأهرام - الثلاثاء ١٩٩٣/٤/٢٠

لا يستطيع المرء أن يكتم دهشته أمام المظاهرة العبثية التى فرضت نفسها على الإعلام المصرى طيلة الأسبوعين الأخيرين ، رافعة ألوية الانتصار لأحد الأساتذة الذين رفضت جامعة القاهرة ترقيتهم .

هى مظاهرة لأنها بدت أقرب إلى الحملة المنظمة التى يقودها معسكر متكامل ، توزعت عناصره على طول الجبهة الإعلامية وعرضها ، وفى توقيت محدد ، انهالت علينا تلك العناصر بوابل من المقالات التى ما برحت تردد كلاماً ، وتردد هتافات واحدة .

وهى عبثية لأنها فيما سعت إليه لم تتورع عن هتك وتقويض ما لاحصر له من القيم والمؤسسات والمفاهيم .. فضلاً عن أنها بحجة مقاومة « فكر الإرهاب » أسرفت كثيراً فى إرهاب الفكر !

ليس لنا أن نخوض فى وقائع الموضوع ، التى أصبحت معلومة للكافة بأدق تفاصيلها وخلفياتها ، لكثرة ما رددها الكاتبون وتوقفوا عند كل جزئية فيها .. لكننا سنتوقف عند أمرين اثنين هما : الكيفية التى عرضت بها القضية على الرأى العام ، والنقطة الجوهرية التى أثارتها ، المتعلقة بحرية البحث العلمى .

بالنقطة الأولى نبدأ ..

فمبلغ علمنا أن ترقية أستاذ الجامعة هى شأن أكاديمى بحت ، يفترض أن

يعالج داخل اللجان العلمية ، والمداولات أو التقارير التى تتعلق به يفترض أن تحاط بقدر من السرية وهو ما تقضى به لوائح الجامعة وأعرافها ، لكننا فى الحالة التى نحن بصددها فوجئنا بأن كل ما جرى فى الموضوع من حوار ، وما تم تداوله من تقارير سُرِّب إلى الصحافة عمداً ، وفى مسلك غير مسبوق فى الأوساط العلمية المصرية ، أقحم الرأى العام فى تفاصيل ما جرى ، حتى عرفنا أن فلاناً وقع على المحضر الفلانى ، وأن الآخر لم يوقع ، وأن جملة ما كتبت ثم شطبت ، وأن مؤامرة دبرت لتمرير تقرير بذاته فى ساعة معينة من النهار ، وأن مجلس القسم فعل كذا ، بينما فعل مجلس الكلية كذا ، أما مجلس الجامعة واللجنة العلمية فقد فعلا كيت وكيت !..

الخلاصة أن الرأى العام أقحم فى مسألة هى فى الأساس قضية جامعية ، وكان بوسع الأستاذ أن يطعن فى قرار اللجنة العلمية بالأساليب التى كفلها القانون ، ولكنه آثر أن يثير الرأى العام ويستعديه على الجامعة ، وأن يدمر « المعبد » على من فيه ، على طريقة « علىّ وعلى أعدائى » ! فوقع فى خطأ مركب جرح إلى حد كبير سلوكه الأكاديمى ، الذى لطخ به سمعة أساتذته وجامعته ، الأمر الذى أساء به إلى شخصه كأستاذ بأكثر مما أساء إلى الجامعة كمؤسسة علمية .

الرفض فى ٤ تقارير

تعالوا نتابع بعد ذلك كيف قدمت القضية ، بعدما نقلت من الجامعة إلى الشارع ..

لقد سلطت كل الأضواء على تقرير كتبه الدكتور عبد الصبور شاهين الأستاذ بكلية دار العلوم ، الذى كان سلبياً وفى غير صالح الأستاذ المساعد المراد ترقيته ، وجرى اصطياد عبارتين أو ثلاث - من ثنايا ١١ صفحة من القطع الكبير - وعليها بنت الحملة الضارية ، التى وجهت ضد الدكتور شاهين واللجنة العلمية ومجلس جامعة القاهرة ورئيسها .

ورغم أن التقرير وقع عليه ١٢ من أكبر الأساتذة والعلماء فى الجامعة ، الذين أثبتوا إلى جانب توقيعاتهم أن التقرير يعبر عن الرأى الجماعى للجنة ، ومن ثم فإنه بعد اعتماده على ذلك النحو لم يعد منسوباً إلى الدكتور عبد الصبور وحده .. أقول رغم ذلك ، فقد عمدت الكتابات العديدة إلى التشهير بشخص الرجل ، كما لجأ آخرون إلى الطعن فى ذمة وكرامة عدد آخر من الأساتذة الذين وضعوا أسماءهم فى التقرير .

وبصرف النظر عما إذا كان ما قيل بحق أولئك الأساتذة الأعلام صحيحاً أم لا ، فإن أكثر ما يثير الانتباه فى هذا الشق أن الذين تناولوا القضية من الكتّاب تركوا الموضوع وأهدروا قواعد الحوار وأدبه ، وانهالوا على الأشخاص بالتجريح والتقريع فى حملة ترهيب وتخويف فريدة فى بابها .

وقبل أن نعرض لنماذج من حملة الإرهاب والتجريح تلك ، فإننا نلفت النظر إلى حقيقة غابت عن الذين تصيدوا تقرير الدكتور عبد الصبور شاهين واستهدفوا تشويه صورته لإضعاف مصداقية كلامه ، والإيهام بأن الأمر لم يخل من حساسية شخصية بينه وبين الأستاذ المراد ترقيته .

هذه الحقيقة تتمثل فى أن هناك ثلاثة تقارير أخرى كتبها ثلاثة من أكبر العلماء المتخصصين فى مصر ، اتفقت على عدم جدارة الرجل بالترقية ، واعتمدت فى ذلك ليس فقط على فساد موقفه الفكرى ، ولكن أيضاً على وقوعه فى أخطاء علمية فادحة ، تكشف عن عدم تمكنه من مادته وضعف مستواه العلمى ، على الأقل فيما نصب نفسه له .

واحتراماً للسرية المفترضة ، فإننى لن أذكر أسماء أولئك العلماء الكبار ، ولن أعرض لمحتوى تقاريرهم ، ولكننى فقط سأشير بإيجاز شديد إلى ما أثبته أحدهم فى تقييمه لكتاب « الإمام الشافعى » الذى قدمه الباحث ضمن إنتاجه الذى أراد به الترقية .

قال الأستاذ الكبير الذى يشغل منصب العميد لإحدى الكليات الجامعية:

إن محتوى الكتاب يمكن تلخيصه فى أمرين :

الأول : العداوة الشديدة لنصوص القرآن والسنة ، والدعوة إلى رفضها وتجاهل ما أتت به .

والثانى : الجهالات المتراكبة بموضوع الكتاب الفقهى والأصولى .

فى النقطة الأولى نقل الأستاذ العميد عدة فقرات من الكتاب ، دعا الباحث فى أحدهما إلى « التحرر » من سلطة نصوص القرآن والسنة « وهو محور أساسى فى مجمل كتاباته » ، وفى الثانية أدهشه ما ذكره المؤلف عن الإمام الشافعى « أنه الوحيد من فقهاء عصره الذى تعاون مع الأمويين مختاراً راضياً . . وأنه ولِىَ للأمويين عملاً بنجران » . . وكان مبعث دهشة الأستاذ العميد أن الباحث وهو يقرر هذه المعلومة ويبنى عليها « تأويلاته » ، فاته أن الإمام الشافعى ولد بعد انتهاء الدولة الأموية بثمانى عشرة سنة ، أى أنه عندما أفل نجم الدولة الأموية عام ١٣٢ هجرية ، لم يكن الإمام الشافعى قد ظهر إلى الوجود ، ولا كان أبوه قد تزوج من أمه »

أمثال تلك الأخطاء العلمية عديدة ولكننا لن نعرض لها ، لأننا لسنا معنيين بتتبع المستوى العلمى للباحث ، بقدر عنايتنا بأمور أخرى أكثر أهمية برزت أثناء تناول القضية .

إهانة الجامعة ورموزها

حين غاب الحوار الموضوعى أصبح « القصف » الإعلامى سيد الموقف ، واستهدفت القذائف مواقع جمة ، شملت العديد من القيم والأشخاص والمؤسسات ، على النحو الذى يتبدى فى النماذج التالية :

● وصفت جامعة القاهرة بأنها بصدد التحول إلى كيان محسن شكلياً من « كتّاب سيدنا » القائم على أحادية الفكر ، والتلقين المبسط الزجرى والإرهابى . وفيما نال الدكتور عبد الصبور شاهين حصة معتبرة من الغمز

والطعن فى شخصه ، فإن الأستاذ لطفى الخولى وجه لومه إلى الأساتذة الذين وقعوا على التقرير قائلاً : إنه « من حقنا » أن نسمع منهم بشجاعة وموضوعية ، لماذا وقعوا هكذا « بذيل تقرير يصادر حرية البحث » .. ثم عاد فوجه خطابه إلى المسئولين عن الجامعة قائلاً : إن المسئولية الأدبية لرئيس وأعضاء مجلس الجامعة تلزمهم أن يوضحوا بصراحة .. لماذا وكيف قبلوا تقريراً من نوعية كهذا التقرير الذى دبجه الدكتور شاهين ؟ [الأهرام ٩٣/٤/٧] ..

● اتهمت الجامعة بأنها أصبحت أحد المعاقل التى تغذى « التطرف والإرهاب » . فتساءل الدكتور غالى شكرى عما إذا كان هناك « فى موازاة الإرهاب المتستر بالدين ، إرهاب آخر داخل الجامعة هو امتداد للإرهاب الأصلى » . [الأهرام ٣/٣١] ، وقالت « الأهالى » [عدد ٤/٧] : إن ظهور التطرف والإرهاب فى المؤسسات العلمية يعد بادرة خطيرة تتضاءل إلى جانبها كل حوادث العنف والتطرف .

● الأستاذ فاروق عبد القادر ، اتهم كاتب التقرير المعتمد - الدكتور عبدالصبور شاهين - « بالحقد الضارى » على الباحث ، ووجه تقريعاً إلى موقعى التقرير بأسمائهم ، ثم انهال على رئاسة جامعة القاهرة قائلاً : هل بوسع أى منصف تبرئة مدير الجامعة ونائبه للدراسات والبحوث « وذكرهما بالاسم » من تهمة « التواطؤ » أو على الأقل الخضوع للابتزاز باسم الدين ، ومن ثم التخاذل [روز اليوسف - ٤/٥] .

● كتبت مجلة « صباح الخير » تعليقاً على القضية قائلة : إن جامعة القاهرة مسحت بالعقل المصرى البلاط ، ووضعت على رأسها عمامة كبيرة بدلاً من القبة ، وارتدت اليشمك والبرقع ، وتوارت خلف أبواب الحريم .

وزيادة فى « الإيضاح » ذكرت المجلة أن الجامعة ارتكبت : « أكبر كارثة ثقافية فى القرن العشرين ، بعد أن أعلنت نفسها خومينى جديداً فى منطقة

الشرق الأوسط » . ووصفت قرار اللجنة العلمية بأنه « أكبر خيبة فى تاريخ العلم ، وأعظم بلوى تشهدها الحضـارة ونحن على أبـواب القرن الحادى والعشرين » . [محمد الرفاعى - ٤/١٥] .

على هذا المنوال جرى « الحوار » حول قضية أستاذ اللغة العربية المراد ترقيته ، ضارباً فى كل اتجاه ، ومكثفاً الهجوم الشرس على الجامعة ورموزها ، ومستخدماً سيف الترهيب والتخويف ضد الذين وقعوا على التقرير ، فمن قاذف فى حقهم إلى مهين لهم ، إلى مطالب لهم بتفسير موقفهم ، وإعلان التوبة أمام الناس!

المفارقة العظمى فى الأمر ، أن كل ذلك القصف والبطش والتخويف والتلويث ، تم باسم مكافحة التطرف والإرهاب فى الجامعة!

أرأيتم كيف ضرب لنا المثقفون المثل فى الاعتدال ؟!

لا حرية لهدم النصوص

نأتى إلى النقطة الثانية فى موضوعنا المتعلقة بحرية البحث العلمى إذ أن ثمة مسألة واجبة الإيضاح هنا ، وهى أن قضية الأستاذ الذى فجر الحملة انبنت أساساً على أن الرجل لم يفز بالترقية التى سعى إليها ، بينما ليست هناك أية إشارة إلى منعه من الكتابة أو النشر أو التدريس فى الجامعة ، أعنى أن حق الرجل فى التفكير والتعبير والانتشار ، مكفول ولم يمس .. والمشكلة التى حدثت انصبت على حقه فى المكافأة والترقية وليس حريته فى التعبير ، لأن المكافأة اقتضت تحكيماً علمياً ، أثار غضبه هو وجماعته ، لأن نتيجته لم تكن فى صالحه .

مع ذلك فثمة كلام ينبغى أن نتصارح فى شأنه يتصل بقضية حرية البحث العلمى والضجة التى أثيرت من حولها .

ذلك أن الذين يدعون إلى إطلاق تلك الحرية بغير ضوابط ودون مراعاة

لقيم المجتمع ونظامه العام ، يخطئون فى فهمهم للحرية ، ويلعبون بالنار فى ذات الوقت ، خصوصاً إذا فتحوا بذلك الفهم المغلوط باب العبث بعقائد الناس ومقدساتهم .

فى سياق مماثل استشهدنا من قبل بما قررته المحكمة الدستورية العليا فى الولايات المتحدة ، من أن الحرية التى تستحق الحماية القانونية ، هى فقط تلك التى تحترم فى الممارسة قيم المجتمع الأساسية .

ونزيد الأمر إيضاحاً هذه المرة ، مستشهدين برأى واحد من أعلام القانون فى مصر ، هو الدكتور عصمت سيف الدولة ، الذى كتب يقول فى بحث له حول الموضوع : إن سلامة المجتمع وجوداً وحدوداً وأرضاً وبشراً ، شرط موضوعى لحق حرية التعبير فيه ، بمعنى أن من يعبر عن فكرة دارت فى رأسه تتضمن تقويض المجتمع لابد للمجتمع أن يجرمه ويحرمه ويمنعه أو يقيده ، والمجتمع ليس مجرد وجود وحدود ، وأرض وبشر ، بل ثمة رابطة تضم كل هذه المفردات لتصبح مجتمعاً واحداً ، وهى بعد نتيجة تاريخية لتفاعل كل تلك المفردات .. إنها ما يسمونه « الحضارة » ويعنون بها القيم المادية والروحية والفكرية ، والفنية والأخلاقية الخاصة بالمجتمع المعين ، والتى يستنكر الناس تحقيرها أو الخروج عليها ، وتتضمن كل الدساتير ، وكل القوانين فى العالم أحكاماً تحرم وتجرم وتمنع الاعتداء بحجة حرية التعبير على تلك العناصر المتداخلة فى تكوين المجتمع نفسه .

فى ضوء ذلك فإننا نقرر بوضوح أن العبث بالنصوص الشرعية ، المتمثلة فى القرآن والسنة على وجه التحديد ، ينبغى أن يظل بمنأى عن الذين يتذرعون بحرية التعبير أو البحث ، ويروجون لدعاوى تستهدف تعطيل النصوص وإجهاضها باسم تاريخية النص ، أو نسبية الأحكام الشرعية ، أو غير ذلك من مداخل العدوان على عقيدة المجتمع وضميره .

بذات القدر من الوضوح نقول : بأن الاجتهاد المقبول والمشروع فى النص

الدينى ، هو فقط الذى ينطلق من الالتزام به ، ويعمد إلى وضعه فى إطاره الصحيح ، ليستخلص منه أقصى طاقة ممكنة تسهم فى إنهاض المجتمع وتقدمه ، وصلاح أمر الخلق فى الدنيا والآخرة ، وكل اجتهاد معاكس يستهدف ضرب النصوص الشرعية وتقويض بنيانها لا يدخل فى حرية البحث ، وإنما يقع فى المحظور الذى يتعين على المجتمع أن يمنعه ويحرمه ، خصوصاً إذا كان الدستور ينص على أن الإسلام دين الدولة والشريعة هى المصدر الأساسى لقوانينها .

إذ فى مثل هذه الحالة الأخيرة ، لا يعد العبث بالنصوص عدواناً على عقيدة الأمة فقط .. ولكنه يصبح أيضاً عدواناً على الدستور والنظام العام فى البلاد .

ولئن انصب كلامنا على عقائد المسلمين ، فمرد ذلك أن القضية المطروحة فى الوقت الراهن تدور فى ذلك الإطار ، لكننا لا نتردد فى القول بأن احترام عقائد غير المسلمين ينبغى بدوره أن يحظى بالقدر المناسب من التقدير بحيث لا يحق لأحد أن يعبث بتلك العقائد متذرعاً بحقه فى حرية التعبير والبحث .

من هذه الزاوية فإننا نستغرب جداً موقف مجلة « روز اليوسف » التى نشرت فى عدد واحد (٥ إبريل) بلاغاً للنائب العام طالبت فيه بمحاكمة أحد الدعاة المسلمين ، الذى أساء فى خطبة إلى مشاعر المسيحيين ، بينما تضمن العدد ذاته مرافعة طويلة على ثلاث صفحات دافعت فيه عن الأستاذ الباحث الذى أساء بكتاباته إلى عقائد المسلمين ، رغم أن القضية واحدة . فالأول أساء استخدام حرية التعبير ، بينما أساء الثانى استخدام حرية البحث .

إن الأستاذ الذى أثار الضجة له اهتمامه الملحوظ فى كتاباته بحقوق « الملحدين » (انظر تقديمه لكتاب الإسلام السياسى للباحث الفرنسى فرنسوا بورجا [ص ١٤] ، وإشارته إلى نفس النقطة فى مقال نشرته مجلة « القاهرة » التى تصدرها وزارة الثقافة [عدد يناير ٩٣ - ص ١١١] - وإذا كان ذلك الموقف ونظائره هو الذى تدافع عنه الحملة الإعلامية التى يقودها البعض فى

الصحافة المصرية ، فمن حقنا بدورنا أن نُذكِّر الجميع بحقوق المؤمنين ، الذين أحسبهم الأصل والقاعدة فى مصر والعالم العربى والإسلامى .

هل نحن بحاجة بعد لأن نشرح لإخواننا هؤلاء كيف أنهم بحملتهم تلك إنما يلعبون بالنار ؟؟

وهل يختلف معنا أحد فى أن السهام التى تطلق فى ثنايا الحملة تصيب قلب الدنيا التى نعيشها بأكثر مما تصيب جوهر الدين الذى نُصَوِّب إليه ؟ .

* * *

تقرير علمى حول آراء الدكتور « نصر حامد أبو زيد » والتى ضمنها عدداً من مؤلفاته

قام بإعداده / نخبة من الأساتذة (*)

أولاً : المنطلق :

نتقدم بهذا التقرير العلمى حول آراء د. نصر حامد أبو زيد انطلاقاً من كوننا مسلمين مؤمنين بالله ورسوله ﷺ ، أوجب الله - تعالى - علينا أن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ، ونقيم النصيحة لله ورسوله ﷺ وكتابه وللمسلمين عامة وخاصة ، كما فرض الله تعالى علينا أن نسلك كل سبيل مشروعة لتغيير المنكر .

ثانياً : المنهج :

لم يلتق أحدنا بالمدعو د. نصر حامد أبو زيد ، ولم تكن لنا به صلة يقوم على أساس منها حب بيننا وبينه أو بغض ، أو مشاعر من أى نوع .

والمسلم حين لايكون بينه وبين مسلم آخر صلة تتكون منها مشاعر معينة ،

(*) الأساتذة هم :

١- أ. د. محمود مزروعة - العميد السابق بكلية أصول الدين والدعوة وأستاذ ورئيس قسم العقائد والأديان .

٢- أ. د. عبد الوهاب حواس - أستاذ الفقه المقارن المساعد بكلية الشريعة والقانون .

٣- أ. د. محمود حماية - أستاذ ورئيس قسم الدعوة بكلية أصول الدين .

٤- أ. د. محمد صلاح محمد - أستاذ الدراسات الإسلامية بمعهد العلوم الإسلامية والعربية .

فإن المقرر أن الصلة بينهما قائمة على الحب فى الله ، والانضواء تحت لواء دينه سبحانه وتعالى ، فالطبيعى أن تكون بيننا وبين المدعو د. نصر حامد أبو زيد صلة الأخوة فى الدين وأكرم بها من صلة ، وأوثق بها من وشيجة !

فإذا ماخرج الأمر عن طبيعته ، وانقلب إلى عكس هيئته ، فلابد أن يكون هناك من الدواعى مايستوجب ذلك .. وهى الدواعى التى تستبين من خلال حديثنا عن آرائه وأفكاره ..

وتأكيداً لهذه المعانى فإننا نعد ألا نتكلم فيه برأى ، وألا نتناول من آرائه مايقبل احتمالية ، ولن نضع من أدلتنا على فساد رأى له إلا كل قطعى لايقبل تأويلاً ولا يحتاج إلى توضيح .. كما أننا لن نبنى على آراء الآخرين فيه ، ولن نعتمدها أساساً لدليل نأخذ به أو دليل نرفضه .

آراء د. نصر حامد أبو زيد :

تمثلت آراء د. نصر حامد أبو زيد فى مؤلفاته التى نشير إليها عند النصوص المستقاة منها فى الآتى :

أولاً : طعونه فى القرآن المجيد ، والسنة المطهرة ، ومن ذلك :

١- ادعاؤه أن القرآن المجيد ليس وحياً من عند الله - سبحانه وتعالى - وإنكاره سابقة وجوده فى اللوح المحفوظ ، وزعمه أنه « مُنْتَجٌ » ثقافى بيئى .

أى إنه من إفرازات الثقافة العربية لبيئة الرسول ﷺ ، ومن إنتاج المجتمع الذى نشأ فيه الرسول ﷺ ، فهو من آثار البيئة والمجتمع ، ومن ثم يؤكد فى أكثر من موضع أن القرآن صورة صادقة للمجتمع فى عهد النبى ﷺ وإنما كان ذلك لأنه مستمد من البيئة ، وصادر عنها ، فلا وحى ولا قداسة .

أ - يقول د. نصر أبو زيد فى كتابه : (مفهوم النص - دراسة فى علوم القرآن)[1] :

---

(١) كتاب مطبوع على الآلة الكاتبة ، وهو مقرر على طلاب الفرقة الثانية من كلية الآداب / جامعة القاهرة ، وقد وضعه المؤلف سنة ١٩٨٧م .

« إن القول بأن النص منتجٌ ثقافى يكون فى هذه الحالة قضية بديهية لاتحتاج إلى إثبات ، لكن القول بأن النص « منتج » ثقافى يمثل بالنسبة إلى القرآن مرحلة التكوين والاكتمال ، وهى مرحلة صار النص بعدها « منتجاً » للثقافة . . إن الفارق بين المرحلتين فى تاريخ النص هو الفارق بين استمداده من الثقافة وتعبيره عنها ، وبين إمداده للثقافة وتغييره لها » [صفحة ٢٣-٢٤] .

ويقول فى [ص٢٧] :

« إن النص فى حقيقته وجوهره منتج ثقافى ، والمقصود بذلك أنه تشكل فى الواقع والثقافة خلال فترة تزيد على عشرين عاماً ، وإذا كانت هذه الحقيقة تبدو بديهية ومتفقاً عليها ، فإن الإيمان بوجود ميتافيزيقى سابق للنص يعود لكى يطمس هذه الحقيقة البديهية ويعكر من ثم إمكانية الفهم العلمى للنص » .

وهذا من المؤلف يبين بشكل قاطع أنه يرى أن القرآن ليس وحياً من عند الله - سبحانه - وإنما هو مُنْتَج ثقافى ، ومأخوذ من ثقافة البيئة العربية التى كان فيها محمد ﷺ ، وقد قطع بذلك بوضوح شديد فى قوله :

« إن الفارق بين المرحلتين هو الفارق بين استمداده من الثقافة وتعبيره عنها » . . وفى قوله : « فإن الإيمان بوجود ميتافيزيقى سابق للنص يعود لكى يطمس هذه الحقيقة البديهية ، ويعكر من ثم إمكانية الفهم العلمى للنص » .

فهو إذن ليس مستمداً من عند الله تعالى ، ولا وحياً نزل به جبريل عليه السلام " وإنما وبوضوح شديد : « مستمد من الثقافة ومعبر عنها » .

ولأن القرآن مستمد من الثقافة البيئية للنبى ﷺ ، فكذلك السنة من باب أولى ، وهو يحدد لنا المدة الزمنية التى استغرقها النص القرآنى ، وكذلك نصوص السنة بأنها المدة التى عاشها رسول الله ﷺ نبياً ، وإذا كان قد استعمل فى النص السابق لفظتى : منتج ، ومستمد ، فإنه أضاف إليهما لفظة أكثر وضوحاً هى : « تشكلت » ، إذ يقرر أن النص الدينى - يقصد القرآن والسنة - قد تشكل

خلال فترة تزيد على العشرين عاماً ، ثم يزيد الأمر وضوحاً حين يصف القرآن والسنة بأنهما « نصوص لغوية » وهكذا .. لاوحى ، ولاتقديس ، ولاإعجاز ، ولاتشريع ، مجرد نصوص لغوية كما نصف قطعة شعرية أو نثرية .

ب - يقول د. نصر حامد أبو زيد فى كتابه (الإمام الشافعى وتأسيس الأيديولوجية الوسطية)[1] عن القرآن والسنة معاً :

« هى نصوص لغوية **تشكلت** خلال فترة زادت على العشرين عاماً ، وحين نقول : تشكلت ، فإننا نقصد وجودها المتعين فى الواقع والثقافة بقطع النظر عن أى وجود سابق لها فى العلم الإلهى أو اللوح المحفوظ » .

والسؤال الآن : هل هناك أوضح من هذه النصوص - وغيرها كثير - على عقيدة الكاتب التى تقرر أن القرآن مستمد من ثقافة العرب ، وأنه ناتج عنها ، وأنه هو والسنة تشكلا عن هذه الثقافة فيما يزيد على العشرين عاماً ؟ - مدة بعثة الرسول ﷺ ثلاثة وعشرون عاماً هجرية - ولايسبقن إلى الوهم أن لفظة « تشكلت » إنما سبق إليها قلم المؤلف دون قصد ، فإن المؤلف نفسه هو الذى أحاط هذه اللفظة بقوسين فى كل مرة ذكرها تأكيداً لأهميتها وما يقصده منها .

ويزداد الأمر وضوحاً بحيث يكشف لنا الرجل عن عقيدته كأنها كتاب مفتوح حين ينفى عن القرآن أى وجود سابق له فى علم الله سبحانه ، وينفى عنه أى وجود له فى (اللوح المحفوظ) .. أليس ذلك تكذيباً للقرآن المجيد فى قوله تعالى : ﴿ **بل هو قرآن مجيد * فى لوح محفوظ** ﴾ [البروج : ٢١-٢٢] .

٢- دعوته إلى الخروج على نصوص القرآن والتحرر منها ، ورفض الخضوع لها :

ومرة ثانية : هل يحتاج الأمر إلى أوضح من هذا ؟

---

(١) كتاب من القطع المتوسط يزيد على المائة صفحة قليلاً ، مطبوع بدار سيناء سنة ١٩٩٢ ، وقد قرره الأستاذ المذكور على طلاب السنة الثالثة من كلية الآداب / جامعة القاهرة .

لا بأس أن نزيد الأمر وضوحاً ، أو نزيده وضوحاً فوق وضوح ، فننقل عن المؤلف د. نصر حامد أبو زيد نصاً ثالثاً يوضح فيه النتيجة التى يريد أن يصل إليها من خلال طعونه الكثيرة فى القرآن والسنة ، أو فى النص المقدس عندنا ، المجرد من كل قداسة عنده . . وماهذه النتيجة ؟ إنه يعبر عنها فى صفحة ١١٠ من كتاب « الإمام الشافعى » :

« وقد آن أوان المراجعة والانتقال إلى مرحلة التحرر ، لامن سلطة النصوص وحدها ، بل من كل سلطة تعوق مسيرة الإنسان فى عالمنا ، علينا أن نقوم بهذا الآن وفوراً قبل أن يجرفنا الطوفان » !!!

هذه هى النتيجة التى يريد المؤلف أن يصل إليها ، وهذا هدفه - إذن - التحرر ، والتحرر مِمَّ ؟ ومِمَّن ؟

إنه يريد التحرر من النص ، ومن القرآن والسنة ، كأنهما قيدان يحولان دون تقدمه .

وهل انتهى الرجل عند التحرر من النص ؟ والجواب : لا . . إنه يريد أن يتحرر (لا من سلطة منزل النصوص وحدها . . بل من كل سلطة تعوق مسيرة الإنسان فى عالمنا هذا) .

وهل هناك سلطة فوق سلطة النصوص سوى سلطة منزل النصوص ومحييها - سبحانه وتعالى ؟

إن الهدف الذى يسعى إليه المؤلف إنما هو التحرر من النصوص ومن منزل النصوص . . إنه يريد التخلص من سلطان الله - سبحانه - إنه يدعو إلى التمرد على هذه السلطة . . لذا فإن كل من يعظم سلطان الله - تعالى - على الإنسان والوجود هو عدو للمؤلف . . ومن هنا فقد وقف المؤلف موقف العداء من الإمام الشافعى - رضى الله عنه - لأن الإمام الشافعى فى اجتهاداته حول القياس والاستحسان إنما يرد كل قضية لم يرد فيها نص إلى مايماثلها مما ورد فيه نص ، ويرجع بالأحكام إلى النص من كتاب أو سنة ، وهذا - فى رأى المؤلف - يمكّن من سلطان الله على الإنسان ، وهذا مايبغضه المؤلف ، الذى يصور خضوع العبد لله

بأنه خضوع العبد للسيد ، وهذا مالايرضاه د. نصر حامد أبو زيد .. الذى يقول فى صفحة ١٠٣ من كتابه : (الإمام الشافعى) :

« إن هذا الموقف - يقصد موقف الشافعى من القياس والاستحسان - يعكس رؤيته للعالم والإنسان ، وهى رؤية تجعل الإنسان مغلولاً دائماً بمجموعة من الثوابت التى إذا فارقها حكم على نفسه بالخروج من الإنسانية ، وليست هذه الرؤية للإنسان والعالم معزولة تماماً عن مفهوم (الحاكمية) فى الخطاب الدينى السلفى المعاصر حيث ينظر لعلاقة الله بالإنسان والعالم من منظور علاقة السيد بالعبد الذى لايتوقع منه سوى الإذعان » !

فالمؤلف د. نصر حامد أبو زيد يرفض مرجعية الوحى الأعلى ، ويرفض الإذعان لحكم الله ، ويرفض أن ينظر إليه على أنه « عبد » لله ، وأن الله تعالى « سيد » له !! كما يرفض بإصرار شديد أن يعيش « مغلولاً » « بمجموعة من الثوابت » أو بمعنى آخر ، يرفض أن يعيش خاضعاً لأوامر الله ونواهيه ، وما استقر فى دين الله - تعالى - من فرائض وواجبات ، وحلال وحرام ، مما يسميه د. نصر حامد أبو زيد « مجموعة من الثوابت » ثم يدعو إلى التحرر منها وعدم الخضوع لها !

ولايسبقن إلى الوهم أن مراد الكاتب من « النص » التراث الفقهى فحسب ، فإنه قد صرح مراراً وفى مواضع عديدة أن مقصوده بالنص هو القرآن والسنة ، وعلى سبيل المثال : يقول فى كتابه : (الإمام الشافعى وتأسيس الأيديولوجية الوسطية) [ص١٥] :

« إن تثبيت قراءة النص الذى نزل متعدداً فى قراءة قريش كان جزءا من التوجه الأيديولوجى للإسلام لتحقيق السيادة القرشية » !! ويقول فى [ص٢٨] :

« إن النص الثانوى هو السنة النبوية ، وإن النص الأساسى هو القرآن » ، والأمثلة على ذلك كثيرة .

ثانياً : ادعاؤه عدم صلاحية الشرع الشريف - كتاباً وسنة - لوضع الحلول لكل القضايا والمشكلات التى تعرض للمسلمين حالاً ومستقبلاً ، ودعوته إلى طرح الكتاب والسنة وتجاهلهما حين البحث عن حلول لمشاكلنا :

يقول د. نصر حامد أبو زيد فى [صفحة ٢١] من كتاب (الإمام الشافعى) :

« ويبدأ الشافعى بتقرير مبدأ على درجة عالية من الخطورة فحواه : أن الكتاب - القرآن الكريم - يدل بطرق مختلفة على حلول لكل المشكلات والنوازل التى وقعت أو يمكن أن تقع فى الحاضر أو فى المستقبل على السواء .. وتكمن خطورة هذا المبدأ فى أنه المبدأ الذى ساد تاريخنا العقلى والفكرى ، ومازال يتردد حتى الآن فى الخطاب الدينى لكل اتجاهاته وتياراته وفصائله ، وهو المبدأ الذى حول العقل إلى عقل تابع يقتصر دوره على تأويل النص واشتقاق الدلالة منه » .

فالمؤلف هنا يجحد قول الله تعالى : ﴿**ونزلنا عليك القرآن تبياناً لكل شئ**﴾ [النحل : ٨٩] ، ويكفر بقوله سبحانه : ﴿ **مافرطنا فى الكتاب من شئ** ﴾ [الأنعام : ٣٨] .

والمؤلف فوق كفره بهذه الآيات وغيرها مما يوضح أن القرآن قد تضمن القواعد الكلية التى تحتوى الحلول لكل المشكلات على اختلافها ، فإنه يحمل القرآن والمؤمنين به مسئولية تأخر المسلمين وتخلفهم عن غيرهم .. كأن الاستمساك بالإسلام والتزام القرآن والسنة مسئولان عن تخلفنا ، وليس العكس .

ثالثاً : إنكار د. نصر حامد أبو زيد عالمِّية الإسلام ، وعموميته ، وشموله لكل الخلق من إنس وجن ، وادعاؤه الباطل بأن الإسلام دين للعرب وحدهم :

يقول د. نصر حامد أبو زيد فى كتابه : (مفهوم النص) :

« فالإسلام دين عربى ، بل هو أهم مكونات العروبة وأساسها الثقافى والحضارى » .

وهذا إنكار كامل واضح لعمومية الإسلام وعالميته .

والمؤلف د. نصر حامد أبو زيد ، بعد أن يقطع بأن الإسلام دين عربى ، يزيد الأمر وضوحاً فيبين أن الزعم بأن الإسلام دين عالمى إنما هو خيالات وأوهام ذهنية بعيدة عن الواقع تماماً .

يقول المؤلف فى نفس الكتاب السابق :

« إن الفصل بين العروبة والإسلام ينطلق من مجموعة من الافتراضات الذهنية أولها : عالمية الإسلام وشموليته ودعوى أنه دين للناس وليس للعرب وحدهم ، ورغم أن هذه الدعوى مفهوم مستقر فى الثقافة ، فإن إنكار الأصل العربى للإسلام وتجاوزه « للوثب » إلى العالمية والشمولية مفهوم حديث نسبياً » !!!

والمؤلف هنا يبين عدداً من الأمور التى يعتنقها ويدعو إليها :

١- إن الإسلام دين عربى ، وليس عالمياً ولا شاملاً .

٢- إن الادعاء أنه عالمى شامل مجرد افتراض ذهنى لاصلة له بالواقع .

٣- إن دعوى عالمية الإسلام وشموله مفهوم مستقر فى « الثقافة » وليس فى القرآن والسنة والدين كله .

٤- إن الادعاء بعالمية الإسلام « وثب » إلى العالمية ، كأنه انتهازية وسرقة وغصب .

٥- إن دعوى عالمية الإسلام وشموله مفهوم حديث نسبياً .. أى إنه لاصلة له بالقرآن أو بالسنة .

هذا كله رغم أن عالمية الإسلام وشموله لكل الأجناس بل للخلق جميعاً من إنس وجن ، هذه حقيقة من الحقائق الإيمانية المعلومة من الدين بالضرورة ، ومنكرها كافر خارج عن الملة .

ورغم أن إنكارها مؤد بالضرورة إلى تكذيب للقرآن والسنة الصحيحة ، تكذيب للقرآن القطعي من مثل قوله تعالى : ﴿ **تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً** ﴾[الفرقان: ١] ، وقوله سبحانه : ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ...** ﴾ [سبأ: ٢٨] ، وقوله جل وعلا : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ، وقوله سبحانه : ﴿ **إن هو إلا ذكر وقرآن مبين * لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين** ﴾ [يس: ٦٩ - ٧٠] .

وبعد ..

فإن علماء الأمة سلفاً وخلفاً قد اتفقوا على أن من أنكر ماعلم من الدين بالضرورة فقد كفر بعد إسلامه ، وارتد عن دين الله .

والمؤلف المدعو د. نصر حامد أبو زيد من خلال مؤلفاته ، والفكر الذى ضمنها إياه قد أتى أفكاراً واعتنق مبادئ كلها تكفر القائل بها ، ومن باب أولى تكفر الداعى إليها عن طريق النظر أو التدريس .

فهو قد استعلن بالأفعال والآراء الآتية :

أولاً : ادعى أن القرآن ليس وحياً من عند الله - تعالى - وإنما هو مستمد من البيئة العربية ، وناتج عنها ، أو « منتج » ثقافى لهذه البيئة .

ثانياً : أنكر أن يكون القرآن فى علم الله الأزلى ، أو يكون فى اللوح المحفوظ ، مكذباً بذلك صريح القرآن المجيد فى مثل قوله - تعالى - ﴿ **بل هو قرآن مجيد * فى لوح محفوظ** ﴾ [البروج: ٢١-٢٢] .

ثالثاً : دعا - وبإلحاح شديد - إلى التخلص من سلطة النص - القرآن

والسنة - بل دعا إلى التحرر من كل سلطة فوق سلطة النص . . ولامعنى لذلك سوى سلطان الله . . سبحانه .

رابعاً : أنكر أن القرآن صالح لكل زمان ومكان ، وأنكر أن يكون مشتملاً على حلول للقضايا والمشكلات التى تواجه المسلمين فى كل عصر ومصر .

خامساً : أنكر أن الإسلام دين عام للإنسانية كلها ، وزعم أن الإسلام دين للعرب فقط ، وزعم أن دعوى عالمية الإسلام فكرة حديثة وليست حقيقة ثابتة بالكتاب والسنة ، كما زعم أن دعوى عالمية الإسلام مجرد تصور ذهنى لاحقيقة واقعية له .

سادساً : دعا إلى أن يتحرر الإنسان من عبوديته لله ، وأن يقضى على تلك العلاقة التى تقوم بين الله والإنسان على أنها بين سيد وعبد .

هذه بعض الآراء والأفكار والمعتقدات التى تبناها المدعو د. نصر حامد أبو زيد فى كتابيه المذكورين فى فاتحة هذا التقرير ، وهى آراء تخالف القرآن والسنة وإجماع المسلمين سلفاً وخلفاً وإلى قيام الساعة ، وتجحد النصوص القطعية الصريحة من الكتاب والسنة . . وتؤدى بصاحبها إلى الارتداد عن دين الله - عياذاً بالله .

ونحن إذ نقرر هذه الحقيقة قياماً بالشهادة لله ، وأداءً لأمانة البلاغ التى أخذ الله بها الميثاق على حملة كتابه وسنة نبيه ﷺ ، فإننا نُذَكِّر المؤلف أن الرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل ، فإن الحق قديم لايغيره شئ ، وأن رجوعه إلى الحق لايزيده إلا شرفاً وعزاً ، وأن الذين يزينون له العناد والإصرار اليوم ليسوا بخلصاء ولابنصحاء ، وأنهم جميعاً لايغنون عنه من الله شيئاً ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً : **﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾** [الزخرف:٦٧] .

كما نناشده أن يبادر إلى التوبة فإن التوبة تَجُبّ ماقبلها ، وأن يتذكر دائماً أن له رباً يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب

مسىء الليل ، وأنه أشد فرحاً بتوبة عبده ممن ضلت له ناقة فى الفلاة ، وكان عليها زاده وماؤه فجلس ينتظر الموت ، فأخذته سنة من النوم ، ثم انتبه فوجد الناقة قائمة على رأسه وعليها زاده وماؤه ، فقال : يارب .. أنت عبدى وأنا ربك " أخطأ من شدة الفرح .

وإنا لنبتهل إلى الله من أعماق قلوبنا أن يَنصُرَهُ بالحق ، وأن يرده إلى دينه رداً جميلاً ، وأن يقيض له من إخوانه وخلصائه من يعينه على ذلك ... اللهم آمين .

* * *

حذار ..!

بقلم / الأستاذ ثروت أباظة

جريدة الأهرام – الاثنين ١٩/٤/١٩٩٣

لقد نشرت جريدة الأهرام هذا المقال للكاتب الأديب الأستاذ ثروت أباظة تعليقاً على الحملة الضارية التى قام بها الإعلام الموجه فى صحافتنا القومية ضد التقرير العلمى الذى يدين نصر أبو زيد والذى يخرجه عن الملة ويصمه بالكفر كما ورد بالنص فى هذا المقال الذى جاء فيه مايلى :

من أسف أن البقية الباقية من حشرجة الشيوعية ونفايات الشيوعيين انتهزوا الفرصة ويريدون بعد أن خابوا خيبة مبيدة فى مواجهة الديمقراطية أن يهاجموا الدين الذى تدين به الملايين فى مصر وفى العالم أجمع .. ويدحضوا الذكر الحكيم الذى نَزّلَهُ الحق من فوق سبع سماوات ، وتعهد أن يحفظه – وقد فعل – فإذا هم فى صيحة واحدة يعقدون أذرعتهم ويتناولون فى شتى الصحف فى صيحة واحدة : أدركوا الديمقراطية.. ولو انك أمعنت النظر فيما وراء أصواتهم النكيرة – فهم أنكر الأصوات – لوجدت الصيحة تصرخ : أسقطوا الإسلام .

ويلهم .. ويلهم منا نحن المسلمين .

أليسوا يقولون : اتركوا النصوص وحرروا العقول ..أى نص يريدون إلا نص القرآن ، فهم يشقون حناجرهم بهذه الصرخة الكافرة فى مناسبة اعتراض الجامعة على ترقية فتى أحمق ادعى أن عثمان منع تعددية النص .. وكأن للقرآن عدداً من النصوص .. كفرت ورب الكعبة وكفر كل من يساندك ..

وحتى لا أطلق الكلام على عواهنه إليك فانظر ما جاء فى التقرير الذى أدى إلى منع ترقية الصنم الذى يتعابدون حوله فى هذه الأيام ، وقبل أن أنقل ما جاء فى هذا التقرير .. أقدم إليك من وقعوا عليه ، ولن أعلق على أسمائهم فهى من الشهرة والمكانة والتقدير العام بحيث لا تحتاج إلى تعليق .. عبد الصبور شاهين .. محمد مصطفى هدارة .. أحمد هيكل .. محمود ذهنى .. عونى عبد الرؤوف .. نبيلة إبراهيم .. عبد السلام عبد العزيز فهمى .. شوقى ضيف .. رمضان عبد التواب .. محمود فهمى حجازى .. كمال بشر .. محمود مكى .. ويعلو هذه التوقيعات من الأساتذة الدكاترة جملة وقعوا جميعاً عليها « اختارت اللجنة هذا التقرير ليعبر عن رأيها الجماعى » .

ولننتقل إلى بعض من أجزاء هذا التقرير أنقلها إليكم لتروا كم فجر الملحدون عندنا وإلى أى مدى من الإسفاف قد بلغوا حين يدلون برأيهم فى موضوع اتفق عليه كل هؤلاء الأعلام فى الدين واللغة جميعاً .

ينقل التقرير من بحث صاحبه قوله : « لقد كان مسموحاً فى عصر النبوة تعدد قراءات النص الدينى ، وقد تم إلغاء ذلك التعدد لصالح القراءة القرشية ومن الضرورى التأكيد على أن الأساس الذى استند إليه مفهوم القرشية سواء فى بعده السلطوى الدينى (يقول الدينى - الرجل يقول الدينى - أخزاه الله) أو فى بعده الثقافى أساس عصبى عرقى لا أساس ثقافى حضارى » .

ويمضى فى مثل هذا الحديث مما يضطر كاتب التقرير أن يقول : « كأن المسلمين عرفوا فى عهد النبوة قرآنات كثيرة فوحدتها خيانة عثمان فى قرآن واحد » .

ويقول صاحب البحث : « إن أبا بكر كان يحكم باسم القبيلة وكذلك باقى الخلفاء الراشدين من سلسلة التآمر » .

ويقول التقرير :

« إن صاحب البحث ذهب إلى أن عثمان كان يعمل لحساب قريش حين قضى على تعددية النص فألغى كل القراءات لحساب القراءة القرشية » . .

ثم يقول التقرير : « إن الباحث اتهم القرآن بأنه لم ينج من آثار عمليات المحو والإثبات وبنى ذلك على أن أدعياء الشيعة قالوا : إن القرآن محيت منه عمداً النصوص الدالة على إمامة عليّ ثم لا يكلف نفسه عناء البحث عن حقيقة هذا القول الذى لم يقل به إلا الشيعة الغلاة . . ونراه فى موضوع آخر يرمى الاقتصاد الإسلامى بأنه يهدف إلى تمرير نظام اقتصادى استغلالى قاهر » .

وأكتفى من التقرير بهذا وأترك الأمر للقارىء المسلم وغير المسلم من المؤمنين ليتبينوا الأسباب الحقيقية التى استنفرت الشيوعيين فى أقطار مصر ليهاجموا الجامعة والأساتذة الأجلاء الذين حجبوا الترقية عن ذلك الفتى الغر الذى يحاول أن يشتهر كما حاول قبله من حاول وانتهى بهم الأمر جميعاً إلى فقدان الدنيا والآخرة ، فلا هم حافظوا على دينهم ولا هم نالوا من البريق ما تصبو إليه نفوسهم العفنة .

وأنتقل إلى تقرير آخر كتبه عالم جليل حول كتاب هذا الفتى الكافر نفسه والتقرير بقلم دكتور محمد بلتاجى حسن أستاذ الفقه وأصوله وعميد كلية دار العلوم . . ولن أنقل إليك إلا بضع جمل فيها الغناء كل الغناء . . يقول التقرير عن الكتاب :

وإليك نص ما قال هذا الكتاب : يمكن تلخيص محتواه فى أمرين :

الأول : العداوة الشديدة لنصوص القرآن والسنة ، والدعوة إلى رفضها وتجاهل ما أتت به .

الثانى : الجهالات المتراكبة بموضوع الكتاب الفقهى والأصولى .

ثم يقول التقرير فى سياقه : « وليس أدل على هذه الكراهية للنصوص من كلماته الأخيرة التى ختم بها كتابه حيث قال : (وقد آن أوان المراجعة

والانتقال إلى مرحلة التحرر لا من سلطة النصوص وحدها ، بل من كل سلطة تعوق مسيرة الإنسان فى عالمنا ، علينا أن نقوم بهذا الآن وفوراً قبل أن يجرفنا الطوفان) [ص ١١٠ من الكتاب] .

ويقول الأستاذ كاتب التقرير : « وهل هناك معنى للتحرر من سلطة نصوص القرآن والسنة إلا بالكفر بما فيهما من أحكام وتكاليف ؟ ليس هناك معنى آخر لأن المؤلف لا يرتضى أن تكون علاقة الله بالإنسان هى علاقة السيد الآمر بالعبد المطيع » .

ولا أستطيع بطبيعة الحال أن أنقل التقرير بأكمله .. وحسبى منه ما ذكرت .. هل بعد ذلك إلحاد أو غباء .. كيف ارتضيتم أنتم أن تجعلوا ماركس إلهكم .. وتريدون منا نحن أن نخلع عن أنفسنا العبودية للواحد القهار ؟

ألا إنها نفثات باقية من سراج لم يكتب له أن يضىء قط ، وإنما فى ذبالته خفقة ثم يموت .. وإنها سكرات الموت ، أمسكت أصابعها بأعناق الشيوعيين وهم يحاولون فى كفر مارق وفى أصوات متجمعة ولكنها مختنقة أن يصارعوا قدرهم الذى حاق بهم ولو كانوا يعرفون القرآن ويعرفون الآية ٢١ من سورة المجادلة : ﴿ **كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز** ﴾ .. لما فعلوا هذا الذى يلهون به .. ولكنهم أخزاهم الله لا يعرفون .. فليحرقوا أنفسهم فإن النار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله ، والله قاهر عليهم وإن رغمت منهم الأنوف .

* * *

فتوات مُدَّعى العلمانية !

بقلم / الأستاذة سناء فتح الله

جريدة الحقيقة - السبت ١٧/٤/١٩٩٣

وظهر عصر جديد من الفتوات .. فتوات تعمل كمجموعة ضغط إعلامية علمانية .

كما تدعى لتسيطر على كافة المواقع .. حتى الجامعة ؟!

زمان كان هناك عصر الفتوات والقباضايات فى بعض الأحياء .. وكان لهم تقاليد ..

وانتهى هذا الزمن .. ليجىء عصر آخر للفتوات بلا أدنى تقاليد .. فتوات إعلاميين ويدعون لأنفسهم أنهم علمانيون .

والبعض - منهم مزور أو مزيف أو مرتد ولكنهم يتجاوزون لبعضهم البعض كل النقائض .

وفى مجال البحث العلمى .. يحترم الباحث مهما ارتكب من شطط دون الإخلال بالضوابط الشرعية .

وأيضاً من باب أولى .. تحترم تقارير لجنة تقييم هذه البحوث التى يقدمها الباحث .

ومن غير المعقول أو المقبول أن يكون شكل الاعتراض على قرار اللجنة .. هو التشهير بأساتذة أجلاء يعترف الجميع بقدرهم .. ويكون الاعتراض بشكل هجمة شرسة إعلامية وبقدر من العنف نقع به تحت بند الإرهاب .. وما حدث هو إرهاب إعلامى والهدف إرهاب المسئولين بالجامعة من أجل أن يترقى دكتور" وينال الدرجة التى يتقدم إليها بأبحاثه .

وعلى حساب ماذا وللأسف!

على حساب:

أولاً .. كما جاء بالتقرير العداوة الشديدة لنصوص القرآن والسنة ، والدعوة إلى رفضهما وتجاهل ما أتت به .

وثانياً .. كما جاء بالتقرير ، الجهالات المتراكبة بموضوع الكتاب الفقهى والأصولى .

وأشكر الدكتور الفاضل عبد الصبور شاهين الذى انتبهنا من تقريره إلى عديد من المنزلقات الفكرية فى بعض القضايا الدينية وإن كان البعض الآخر لا يخفى على أبسط إنسان كتجرؤ عبثى ممجوج .. ومرفوض .

واعترض السيد الباحث بقوى الضغط الإعلامية التى حدثت .. وأحيلت الأبحاث برمتها إلى لجنة عليا : لعميد كلية دار العلوم أستاذ الفقه وأصوله فماذا قال الدكتور محمد بلتاجى .

وباختصار .. كما ذكرت فى أولاً وثانياً ثم انتهى التقرير عند استخدامه لبعض الألفاظ أن الباحث ظلم نفسه ظلماً بيناً حين اقتحم مجالاً دون علم أو ظن شبيه بعلم وفى تعليقاتنا السابقة ما يغنى ويزيد .

وإلى هنا نتوقف .. فقد نشرت كل التقارير على الرأى العام واشمأزت بعض النفوس وهللت أخرى ويبقى مؤشر مهم . وهو دور الجامعة إزاء هذا الذى حدث إجرائياً .. ثم كمضمون يتسلل إلى قسم اللغة العربية بالذات وقيادتها مستقبلاً .

* * *

من سهير البابلى..إلى أبو زيد الشافعى !

بقلم / الأستاذ محمد جلال كشك

مجلة اكتوبر - الأحد ٢٥ يولية ١٩٩٣

يبدو أننا جميعاً لا ندرك حقيقة المرحلة التى تواجهنا كعرب مسلمين أو مصريين .. وإذا كان بعض البلهاء، وبعض العملاء يتشدقون بالحديث عن انتصار الديمقراطية وحقوق الإنسان وظهور النظام العالمى الجديد، فهم أشبه بالخراف تحتفل بإنشاء مسلخ آلى حديث، باعتباره انتصاراً للتكنولوجيا والتقدم.

إننا نواجه نفس مناخ التاسع عشر، حيث السيادة المطلقة للغرب لا راد لكلمته ولا معقب على قراراته .. الغرب يخامره شعور بالانتصار المطلق الذى يعطيه الحق فى تقرير مصير العالم، والوصاية على جميع الشعوب غير الغربية لفرض مصالحه، وإخماد أى صوت معارض، والقضاء على أى احتمال بالمقاومة، وتهديد لهذه المصالح التى تعنى حصول الدول الغربية على النصيب الأكبر من ثروات هذه الأرض، أما عن العدو أو المجال الحيوى فلا تغيير .. إنهما العدوان الأزليان: الإسلام والصين!.

يقول أكبر أستاذ للعلوم السياسية فى الولايات المتحدة البروفسور صمويل هنتينجتون: «إن الصدام الرئيسى الذى يحكم مصير العالم هو بين الحضارة الغربية من جانب والدول الإسلامية والكونفوشسية من الجانب الآخر».

إنهم يقولون صراحةً: إن الإسلام والصين هما العدوان، ويقولون صراحة: إن الغرب يجب أن يمنع امتلاكنا للمعرفة أو القدرة الاقتصادية على

تحدى الغرب .. ويقولون - ويستحسنون صراحة - استخدام الغرب المنظمات العالمية لفرض مصالحه وكأنها مصالح البشرية جمعاء ، مثلما حدث فى حرب الخليج ، ومثلما يحدث الآن فى العراق والصومال ، ومثلما يحدث فى معاهدات وإجراءات حظر انتشار الأسلحة النووية التى لا تعنى إلا استمرار السيطرة النووية للغرب ، ومنع تحدى هذه السيطرة لكى تستمر قدرة الغرب فى فرض إرادته واستغلاله لبقية الشعوب .. ويستحيل أن يوجد أى منطق فى امتلاك كل الدول العربية ، بل حتى إسرائيل السلاح النووى ، وفى نفس الوقت التهديد بالخطر الذى سيصيب البشرية لو امتلكته إيران أو باكستان ، أو طاجكستان ، أو العراق .. إلا منطق القوة وحق القوىِّ المسيطر فى منع الضعيف من امتلاك وسائل مقاومته .

وكما كانت الدول الغربية تستعمر العالم باسم حرية التجارة التى تمكن الإنجليز من إجبار مصر على زرع القطن ، وعدم تصنيعه ، لكى تبيعه لبريطانيا بالقنطار ، وتصنعه بريطانيا وتبيعه للمصريين بالمتر أو الجرام ..وحرية التجارة التى كانت تعطى المستثمرين البريطان الحق فى زراعة القنب فى الهند وتصنيعه إلى أفيون ، ثم تصديره للصين .. فإذا حاولت حكومة مصر التصنيع ضربها الأسطول البريطانى بحجة الفوضى والتعصب الدينى ، والاعتداء على غير المسلمين ، وتسليح طوابى الإسكندرية ، مما يشكل تهديداً لقيم واسطول بريطانيا وقناة السويس .. إلخ .. والحل هو احتلال مصر ، أو إذا ما حاولت الصين أن تمنع رعاياها من إدمان الأفيون ضربها الأسطول البريطانى دفاعاً عن حق الشعب الصينى فى الاختيار الحر ، ومنعاً لوصاية حكومته المستبدة الرجعية المتخلفة .. إلخ .. واقتطعوا هونج كونج ، ويستمرون إلى اليوم فى التآمر على قطعها ، وبنفس المنطق الفاجر .. مع تغيير فى الألفاظ .. فهم يدافعون عن حقوق وديمقراطية الشعب الهونج كونجى ضد استبداد حكومة الصين ورفضها لحرية التجارة؛ .

لا يوجد مسلم يجد من حقه أن يناقش الولايات المتحدة أو ألمانيا عن تطبيقها للديمقراطية ، ولماذا لا تعطى حق كذا للزنوج أو النساء ، أو لماذا ترفض

قبول الشواذ فى القوات المسلحة .. ولكن أى صعلوك أمريكى أو ألمانى ، أى سكير بريطانى يدرس أو يكتب فى صحيفة له الحق فى مناقشة - ليس فقط أوضاعنا - بل برامجنا وفلسفاتنا وما ننوى فعله إذا وصلنا للسلطة فضلاً عن هتك عرض تاريخنا .. سلمان رشدى لا ينبس بحرف واحد ضد دك الهنود لمسجد المسلمين ، وذبحهم فى كشمير ، ولا يحتج على سحب الهند الترخيص الذى سبق وأعطته لمنظمة العفو الدولية ، للتحقيق فى تواطؤ البوليس الهندى فى الاعتداءات التى وقعت على المسلمين فى بومباى .. ولكنه يحتج ويطلب تدخل الغرب ضد الشارقة لأنها حاكمت فرقة هندية عرضت على مسرح المشيخة رواية تسخر من الإسلام ! ولا يوجد أى سبب إلا أن الغرب أقوى منا وأقدر على إنزال العقوبات بنا .. بلاد المسلمين وحدها هى التى تقسم .. الأمم المتحدة لا تنام الليل من أجل حق تقرير المصير لشعب تيمور الشرقية لفصلها عن إندونيسيا وتنفق مائتى مليون دولار لاستفتاء بدو الصحراء الغربية ، ولا تعترف لشعب البوسنة ولا مسلمى بلغاريا ولا ألبان يوغوسلافيا ولا مسلمى كشمير ولا شعب فلسطين بحق تقرير المصير رغم الدم الذى يجرى هناك .. والأمم المتحدة تقسم البوسنة بينما تصر على تعكير السلام فى قبرص بتوحيدها رغم أنه لا حرب فى قبرص ولا ضرب .

وكل ما يقوله المتحدثون باسم الغرب عن مسئوليات الغرب الإنسانية هو كذب أسود مثل الحديث عن عبء الرجل الأبيض الذى تمثل قبل قرن فى ظاهرة الاستعمار ، وما أنزلته بشعوب آسيا وأفريقيا من دمار واستبداد واسترقاق .. فالغرب يقول صراحة : إنه لا يؤيد الديمقراطية فى العالم الإسلامى لأنها ستأتى بخصوم الغرب للسلطة .. وهو لا يريد لنا أن نمتلك المعرفة ولا التكنولوجيا لكيلا ننتج الأسلحة ونتحدى سيطرته .. وهو لا يريد لنا زيادة العدد .. بينما يفعل كل ما بوسعه لزيادة تعداده هو !! هو يتحدث عن حقوق الإنسان فى عقر دارنا .. بينما يرفض أن يكفل هذه الحقوق لمن يذهب منا إلى بلاد الغرب .. ها هو ذا الإنسان البوسنى يجرد من حق الحياة ولا تحرك أوربا

أصبعاً .. ولكن إعلام الغرب لا يكف عن الصراخ من أجل عشرات قتلوا فى ميدان تنامين بالصين ، أو لأن عدد تجار المخدرات الذين أعدموا فى السعودية ازداد .. بينما تغزو أمريكا بلداً مستقلاً ، وتقبض على رئيسه ، وترحله لسجونها بحجة محاربة المخدرات!.. أليس من أول حقوق الإنسان التى يتشدق بها الغرب حق الهجرة والعيش حيث يختار .. ألم يدمروا الاتحاد السوفييتى دفاعاً عن حق اليهود فى الهجرة .. فلماذا تغلق أوربا بل الغرب أبوابه فى وجه المهاجرين ، ويطرد من وصل واستقر أو يقتلون على يد حالقى الرؤوس ويتركون الصينيين فى البحر أو فى سجون المكسيك لكى يمنعوا من دخول أمريكا ، ولا تسمع محاضرة عن التعصب المسيحى أو التطرف أو الأصولية .. أين حقوق الإنسان ؟!! .

من العبث أن نكرر نفس النواح والعتاب الذى ردده أجدادنا فى القرن السابع عشر ونقول كما قال شاعرهم:

قتل امرىء فى غابة جريمة لا تغتفر

وقتل شعب كامل مسألة فيها نظر ..!

هذا هو ذا قانون الغابة دستور الحضارة الغربية منذ أن وضع اليونانيون أخلاقياتها .. البقاء للأقوى ، والحق مع الأقوى ، والأخلاق هى ممارسات الأقوى .. وقد عرف ماو ذلك عندما قال : « الحق ينطلق من فوهة البندقية » وقال وزير الدفاع الهندى لما سألوه ما هى القيم الأخلاقية التى أكدتها حرب الخليج ؟ فقال: « لا تحارب أمريكا إذا لم تكن تملك أسلحة نووية » .

الغرب قوى ومتفوق على جميع المستويات ، والفارق بينه وبين الطرف الإسلامى أكبر منه فى مطلع القرن التاسع عشر .. ونحن نكاد نعيش فى نفس الظروف إن لم تكن أسوأ .. نظم متخلفة فاسدة معظمها استبدادى يدعمها الغرب ويشهر بها ، ويبتزها فى نفس الوقت لكى يبرر غزوه لبلادنا ، وأقلية مستغربة الروح تعمل لحسابه فى التمهيد لغزوه بالتشهير بأوطانها ، والطعن فى

قيمها .. وغالبية المثقفين يعانون فعلاً من الاستبداد والتخلف ، ويتطلعون لحماية ولو كانت من الأجنبى .. وبشكل عام ضعف الحس الوطنى بعد محنة حكومات الاستقلال حتى أصبح الكثيرون يتحسرون على أيام الاستعمار .. وقلة قليلة تعرف أنها إنما تستغيث من الرمضاء بالنار .. وهذه هى القلة التى تشعر بأننا نواجه خطر الإبادة ، وتحاول أن تقاوم بأى شكل ، وكما قيل : إن الإنجليز اندفعوا فى اعتناق البروتستانية عندما تولت العرش ملكة كاثوليكية موالية لأسبانيا ، وبدأت حملة إبادة للبروتستانت .. هناك إحساس فى العالم الإسلامى كله أن الوجود ذاته مهدد بالزوال .. وتحجب الفنانات هو أحد مظاهر المقاومة بصرف النظر عن فعاليته أو قناعتنا .. ولكن الاضطهاد الذى يصيب أى موقف إسلامى أو منسوب للإسلام عبرت عنه سهير البابلى فى قولها :

« هذه حياتى وأنا حرة فى اتجاهى إلى الله .. هل لو ظهرت صورتى عارية كأخريات هل كانت الدنيا ستقوم كما قامت ، لأننى فقط اخترت طريق الله .. يا ربى أنا المقهورة وأنا هربت للإسكندرية بسبب حالة القرف التى أشعر بها من جراء ما يكتب عن اعتزالى .. لماذا تتجاهلون أن لكل إنسان عقله واختياراته فى الحياة .. وهذا اختيارى بدافع عقلانى بحت لا علاقة له بما يشاع عن جهات تمويل وخلافه » .

سهير البابلى مسكينة تظن أن الأمر قضية اختيار ، وأن حرية العقيدة وحرية التفكير طريق ذو اتجاهين .. غير صحيح .. إنه اتجاه واحد ! ولهذا تنحاز نقابة الصحفيين وتعقد ندوة تحت شعار : « الفن يواصل مسيرته » أهكذا تودع « فنانة » أسعدت الجمهور ثلاثين سنة ثم اتخذت قراراً بالهجرة لإسرائيل أو دخلت الدير أو قررت الالتحاق بمستعمرة العراة أقصد اعتزال التمثيل ؟!! أليس شعار المتنورين والعلمانيين هو : « أخالفك الرأى .. ولكن أدافع عن حقك فى أن تقول » ألم تتح الفرصة للأستاذ جلال الشرقاوى أن يعبر عن سخطه لما سببه له هذا القرار فى خسارة مالية .. مع أن سهير ردت له كل ما دفعه وأثنت عليه وتمنت له النجاح .. ولكنه رد التحية بإعلانه أنه سيصنع نجمة خلال أيام ، وأنها

فرصة ذهبية جعلته ينتبه لموهبة ابنته ، وأنه سيثبت لسهير أن النجمات من السهل صنعهن ، ومن السهل أيضاً إسدال الستار عليهن .. ونحن نتمنى لابنته النجاح ولا ندرى لماذا يهينها بهذه الكلمات التى تشبه قوله : « أنا أستطيع أن أجعل من الفسيخ شربات » .. أما أن الفنانة تصنع فى أيام وخاصة إذا كانت بنت المخرج فهو أمر لا نستغربه بعدما وصل إليه حالنا .. لكن ليس من حقه أن يقول : إنه صنع سهير البابلى .. فلن يبقى من ذكراه الفنية إلا أنه أخرج لسهير البابلى ، وهى وشادية قدما ما يعتبر المسرحية الأم الكلاسيك لفن الكوميديا بأرقى صورة وليس فن الشادر أو القافية الذى يقدمه غيرها .

* * *

ومن قضية سهير البابلى إلى قضية الدكتور نصر أبو زيد التى أصبحت قضية دولية ، وتصارخ لها أهل النجدة عبر البحار .. ففى النيويورك تايمز دعا سلمان رشدى (ومن غيره) الغرب للتنبه لما يجرى فى العالم الإسلامى من إرهاب وعدوان على المفكرين ، واستشهد فى حالة مصر بالعدوان على الدكتور نصر أستاذ « القانون الأشهر » الذى اتهم بالإلحاد لأنه نقد الشريعة المتخلفة ! وقد طلب الأصوليون من المحكمة تطليق زوجته لأنه لا يسمح فى الإسلام للكافر بزواج المسلمة أو ترجم زوجته كزانية .. هذا ما كتب فى النيويورك تايمز حرفياً ١٩٩٣/٧/١١ ، وكانت لجنة حقوق الإنسان المصرية التى أنشأها اللواء عبد الحليم موسى قد أصدرت بياناً حول تطليق زوجة الدكتور نصر أوصلته لمجلة الإيكونومست التى استنكرت أن تنظر المحكمة القضية .. وسارعت شبكة CNN الأمريكية بإذاعة صورة الدكتور يمشى على شاطىء النيل ممسكاً بيد الدكتورة زوجته وحديث عن الخطر الأصولى الذى يريد تفريق زوجين متحابين ! .

الصدق آخر ما يهتم به فى معارك إزالة الحضارات واستعمار الأوطان .. ولا نعرف ما هى حقيقة قضية الطلاق ولا نستبعد أنها من عمل اليد

الثالثة لإعطاء مادة إعلامية جديدة .. ولكن ما وجه الاعتراض على حق مواطن فى أن يرفع قضية أمام المحاكم يطلب ما شاء ، ثم يحكم القضاء ويرجع المتضرر على صاحب الدعوة الكيدية بما شاء هل تشكون فى قضاء مصر .. ؟ وإذا حكمت محكمة فهل هناك من سينفذ ؟ .. لو كانوا ينتوون اضطهاده ألم يكن الأولى التفريق بينه وبين طلبته لكيلا يعلمهم الجهل قبل الكفر ! .

الرجل سب الإمام الشافعى ، واتهمه بالعمالة للدولة الأموية ، والقبض منها ، وكافأته بتعيينه والياً .. والإمام الشافعى لم يكن قد ولد إلى أن زالت الدولة الأموية .. أمن أجل أنه يرفض قدسية النص القرآنى يكون من حقه الجهل أو تزوير تاريخ عالم فى شهرة الشافعى ، ولا يكون من حق عميد جامعة أن يرفع أصبعه ويقول :

« لامؤاخذه يا جماعة الأستاذ غلطان » !!

هو لا يعرف الفرق بين الشافعى والحجاج ! هذا الجهل الفاضح كيف يستمر صاحبه فى التدريس ؟! لو أحسنا الظن لقلنا إنه لم يكتب البحث ولا قرأه بل كلف به أحد تلاميذه الذى درس له هذه الفضيحة غيظاً منه !!

هل لأن الإمام الشافعى فقيه يباح عرضه والكذب عليه وعلى التاريخ والعلم ؟ أى نوعية من العلماء هؤلاء الذين مسحوا بالجامعة البلاط ، وقفزوا فوق الخطأ فلم يعلقوا عليه ؟ إن كان الدكتور نصر قد اكتشف ما جهل التاريخ فعلقوا وأشيدوا وأنبئونا .. ألم تبق كرامة علمية ولا شرف علمى .. إنى أسأل الدكتور سمير حنا الذى شن هجوماً صارخاً على قرار مجلس الجامعة الذى وصفه بأنه : « ظالم وباطل ويثير الرعب لما وصلت إليه هيئات مفروض أن تكون منارة للعلم وملاذاً للفكر الحر » .. واستنكر على مجلس الجامعة « الذى يتكون من عمداء الزراعة والطب البيطرى أنه سمح لنفسه أن يفترض أنه يتفهم الدكتور نصر » ولا ندرى كيف أصبح هو حكماً بينما هو طبيب لا يدرى شيئاً عن الإمام الشافعى ولا القضية برمتها مثل عميد الطب فى زعمه ! ونسأل الدكتور

حنا : هل لو تقدم أستاذ فى كلية الطب ببحث يقول فيه : إن التصاق القلب بالبروستاتا يسبب أمراض الإمساك .. هل تعطيه الدرجة ؟ وإذا اعترضت يثير اعتراضك الرعب .. يابوخال ملكت فاسجع داحنا غلابة ! .

ونسأل الذى أعلن أننا على أبواب قرن جديد ولذلك يلزم تجديد الدين ونصب أبو زيد دور : مجدد هذا الزمان « حينما درس لغة الوعاظ والمشتغلين بالدين دراسة علمية ، وأن الجامعة التى رفضت ترقيته هى فى حالة انهيار تام ! وربط بين القرار وشركات الريان وانفجار مدخل الهرم ، وسقوط العقل وتعثر التنمية » نسأله ما رأيك فى حكاية الإمام الشافعى ؟ وهل التجديد المطلوب يتناول إلغاء التواريخ ، وحق تغيير تاريخ الميلاد ونقل الأشخاص عبر العصور بحكم التقدم التكنولوجى ليشاد بمقالة سيادته لأنها صدرت أيام الحاكم بأمر الله وتحدت استبداده ؟! وأستاذ الطب النفسى الذى أعلن أن أبو زيد زمانه لا يشرفه أن يصبح أستاذاً غير مساعد فى جامعة اتخذت هذا القرار الذى يلحق الخسارة بالإسلام ومصرنا وحضارتنا والفكر الخلاق عامة .. هل يشرف الجامعة أن يستأذن بها جاهل مثله ؟! هل لو تقدم لك طالب بورقة تقول : إن فرويد كان موالياً لحكومة الخومينى ، وقبل منه منصباً فى أصفهان ، تقبله فى الجامعة وتستر عليه ؟! .

ونقف لحظة عند تخبط هؤلاء وتحايلهم .. فرغم أن جوهر قضية [أبو زيد] أنه رفض قدسية النصوص وهو ما استحق عليه نصرة أهل التنوير من سلمان رشدى للتليفزيون الأمريكى .. بل وجائزة بلد عربى .. ومع ذلك فإن الذى سماه مجدد هذا القرن ينافق بقوله : « لا قداسة إلا لله رب العالمين ، ولكتابه ، وما صح عن رسوله الأمين » لا .. أبو زيد لا يقول ذلك .. بل هو يدعو لإسقاط القدسية عن النصوص كلها .. ولإدهاشك نحن نعترض على حقه فى رفض الاعتراف بأى قدسية فليناقش كما شاء ومؤلفات المستشرقين ضد القرآن [على قفا من يشيل] .. لكن ليس من حقكم أن تفرضوا تدريس ذلك فى جامعاتنا

ولطلابنا ، ولا أن تجبروا الجامعة على الاعتراف به والترقية على أساسه ؛ لأن هذا يلغى مبدأ العلمانية التى كما تقولون تتطلب عدم تبنى الدولة للدين .. أليس من العدل ألا تتبنى أيضاً الكفر بالدين .. ؟!

صدقونى العلاج بالأشعة أهون !! .

* * *

من الإمام الشافعى إلى المعلم نصر !
••• فضيحة تاريخية جامعية !

بقلم / الأستاذ محمد جلال كشك

مجلة اكتوبر - الأحد ١٤ نوفمبر ١٩٩٣

أشرنا عدة مرات ، واكتشف قبلنا أهل العلم الخطأ الفاحش الذى وقع فيه الدكتور نصر أبو زيد فى بحثه للإمام الشافعى ، الذى تقدم به لكى يعين أستاذاً بكلية الآداب ، فلما رفضت ترقيته تحول إلى قميص عثمان يتشنج تحته ألف متباك من رؤوس الفتنة ودعاة (الشرق أوسطية) بدلاً من (الوطن العربى) .. وكل من له ثأر ضد المسلمين ! وهكذا تحولت الفضيحة الجامعية إلى نكبة قومية .. ولا أظن أنه خلال السبعة آلاف سنة حضارة وتخلف قد شهدت مصر فضيحة علمية وخلقية بهذا الحجم .. إذ بدلاً من أن يتوارى الدكتور خجلاً ويقدم استقالته من الجامعة أو يجبر عليها .. وبدلاً من أن تشكل لجنة تقصى حقائق ، لبحث أسباب تدهور المستوى العلمى لدكاترة الجامعة إلى الحد الذى جعل دكتوراً يرتكب مثل هذا الخطأ فى مادة تخصصه ، ثم لا يكتشف الخطأ ولا يعلق عليه أحد لأنه لا يقرؤه أحد .. حتى تقدم بطلب الترقية لأعلى السلم الأكاديمى وبناء على هذا الخطأ الفاحش .. والغريب أن الذين بحثوا مؤلفاته داخل كليته لم يكتشفوا الخطأ لا الذين أيدوا ترقيته ولا الذين عارضوها .. يعنى الحال من بعضه !

وبدلاً من مواجهة الخطأ وبحث أسبابه .. إذا بالدكتور الفاحش المخطئ يتوج معلماً ورائداً للفكر الحر والتقدمية والتنوير .. بل زعم أستاذ جامعى - للأسف - أنه المهدى المنتظر الذى يرسله الله على رأس كل قرن لتجديد

الإسلام !! حتى سلمان رشدى دبج مقالاً فى صحيفة أمريكية يناشد الغرب التدخل لحماية أبو زيد الذى حوله من أستاذ لغة عربية إلى « القانونى الشهير » ! وهرول مندوب مجلة المخابرات الأمريكية يدافع عن الأستاذ ويتهم معارضيه بالتعصب والجهل وعدم قراءته .

ويرفض الجميع الرد على قضية الخطأ أو حتى الإشارة إليها .. بل يزعمون أنه حرم الترقية لأنه فضح مخطط الإمام الشافعى ، وكشف نزعته الشوفينية العربية ! أما الدكتور الذى لا نظن أن مصرياً منذ فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل قد تحدث مثله للصحف الأجنبية .. ورغم ذلك لم يعلق بكلمة واحدة على اتهامه بهذا الجهل أو التزوير الفاضح .. بل كلما أثرنا قضية الخطأ رد شاكياً متباكياً : ح يطلقونى ! .

والخطأ هو أن دراسته إن استحقت التسمية فهى تقع فى ١١٠ صفحات من القطع الصغير ، [حجم كتاب الجيب] ، تعتمد اعتماداً يصل إلى درجة الشبهة على دراسة سابقة للشيخ أبو زهرة رحمة الله عليه .. ليس فقط عن الشافعى بل وعن أبى حنيفة - وقد أحصينا فى هذا الكتيب الذى لا يزيد على أربع ملازم من الحجم العادى ثلاثين استشهاداً من الشيخ أبو زهرة ! وأحياناً أكثر من مرة فى الصفحة الواحدة ذات العشرين سطراً .. ومعلوماتنا عن الشروط الأكاديمية أنها ترفض مثل هذا البحث إلا إذا اعتبر تعليقاً على مؤلفات أبو زهرة ! .

فى هذه الدراسة التى يحاول بها الدكتور إثبات رجعية الإمام الشافعى وتعصبه للعروبة وانتهازيته ، اتهمه بأنه الوحيد من بين الفقهاء الذى قبل التعاون مع الدولة الأموية وسعى لكى يعينه بنو أمية والياً فى نجران ! وطبع ذلك وطرح بالأسواق ثم تقدم للترقية ، وفى مجلس الجامعة رفع مثقف يده قائلاً : عفواً يا سادة إنها ليست قضية فكر ولا رأى .. بل قضية جهل ، لأن الإمام الشافعى ولد بعد انتهاء الدولة الأموية بـ ١٨ سنة ، أى عمر فتى يتزوج ويخلف .. ولداً يسميه « نصراً » تيمناً بالدكتور المعلم وليس بسيارات نصر ، وتطبع له وزارة الثقافة كتيباً لتنوير المعذبين فى الأرض !

وهذه ليست غلطة يسكت عليها .. لأنها أساس البحث كله الذى ربط موقف الشافعى من النص القرآنى والسنة واللغة العربية بنزعته - أى الإمام - المتعصبة للعرب ولدولة العرب بنى أمية ! والدكتور نصر نفسه يقرر أن هذه العمالة هى « أهم صور التعبير عن انحياز الشافعى للقرشية ، فإذا ثبت بطلان الزعم انهار البحث كله ، فهو خطأ يخرج البحث تماماً من دائرة العلم والتاريخ بل الجدية ويسقط حقه فى مجرد النشر ، أما كاتبه فهو يخرجه من دائرة المثقفين ، فضلاً عن الجامعيين !

ورغم كل ما كتب إلا أن المتنورين عرفوا بصلابة الصدغ فلم ينبسوا بحرف ، ولا ردوا بدفاع ، ولا اعتذروا .. شأن أبسط مبادىء التنوير والعلمانية .. بل عملوا [ودن من طين والأخرى من أطّين] .. مما جعلنا نشك فى حقيقة الأمر ونحن شكاكون بالطبع والتطبع ! فكلفنا من اشترى لنا نسخة من كتاب الدكتور وعنوانه : « الإمام الشافعى وتأسيس الأيديولوجية الوسطية » والكتاب كعادة الشيوعيين يطرح عنواناً ضخماً ؛ ليثير فرقعة ثم لا يثبته بدليل علمى ولا منطقى ، ولا حتى ينجح فى جمع الوثائق التى تدور حوله ، ولا يكلف خاطره بدراسة الموضوع فى مصادره الأصلية .. وهو يفترض وجود مؤامرة ثلاثية مثل العدوان الثلاثى دبرها الشافعى والأشعرى والغزالى .. مؤامرة رجعية طبقية سلفية أصولية .

ويحاول الدكتور أن يلوى عنق التاريخ والنصوص حتى تعترف وهى معلقة فى المروحة بتدبير المؤامرة التى اكتشفها أبو زيد واستحق عليها درجة « شهيد » بين المتنورين ! فالمدعو إدريس الشافعى منطلقاً من تعصبه لقبيلة قريش ورغبة فى تمكين سيطرتها على المسلمين تعصباً ، وبالتالى للغة العرب ، وأصر على عروبة القرآن ! فى سبيل تنفيذ مخطط التمكين لقريش والطبقات المالكة ، وبنى أمية ودولتهم المتهمة ضد حثالة المستشرقين بأنها كانت تمثل التعصب والسيطرة العربية ضد الشعوب المقهورة والطبقات الكادحة .. إلخ ، ولذلك خطط الشافعى لبرمجة ذاكرة الأمة الإسلامية بمنعها من التفكير أو

العقل وقصرها على النقل بحيث يتحول عقل العربى أتوماتيكياً إلى رفض العقل والانفتاح للنقل على طريقة (بافلوف) فإذا قدم العقل للإنسان العربى صرخ ونفر متألماً بفعل الجهاز الذى دسه فيه بخبث الإمام الشافعى بينما يمرق النقل بسهولة!

والشافعى لم يكن مجرد طبقى عنصرى عروبى قريشى سلفى متمسك بالقرآن .. بل كان مأجوراً عميلاً .. ففى الصفحة ١٦ يقول الدكتور المعلم نصر بالحرف : « ولكن أهم صور التعبير عن انحياز الشافعى للقرشية أنه الفقيه الوحيد من فقهاء عصره الذى تعاون مع الأمويين مختاراً راضياً خاصة بعد وفاة أستاذه مالك بن أنس (١٧٩ هـ) الذى كان له من الأمويين موقف مشهود بسبب فتواه بفساد بيعة المكره وطلاقه .. وموقف الإمام أبى حنيفة (١٥٠ هـ) الرافض لأدنى صور التعاون معهم - رغم سجنه وتعذيبه .. يكشف إلى أى حد بلغ رفض الفقهاء لعصبية ذلك النظام ولممارساته القمعية ضد جماهير المسلمين لا أن يكونوا من مؤيديه وأنصاره بشكل مباشر (انظر أبو زهرة ، أبو حنيفة ، دار الفكر العربى ط ٢ ، ١٩٧٧ ص ٣٤ - ٣٥) سعى الشافعى على عكس سلفه أبى حنيفة وأستاذه مالك إلى العمل مع الأمويين فانتهز فرصة قدوم والى اليمن إلى الحجاز وجعل بعض القرشيين يتوسطون له عنده ليلحقه بعمل ، فأخذه الوالى معه وولاه عملاً بنجران [انظر أبو زهرة: الشافعى ص ٢٠] » .

حرفياً من كتاب المعلم .

وكنت قد كتبت وقتها فى أوراقى هذا التعليق : نحن لم نستطع الحصول على كتابى أبى زهرة بعد ، وحتى لو كان الشيخ قد سقط هذه السقطة فهى لا تعفى المعلم .. ولكننا نقطع بأنه كاذب إذ لا يمكن أن يقع أبو زهرة أو [أبو أى حاجة] فى خطأ من هذا النوع .. إنما هو فعل الهبّاشة الذين يخطفون بضعة سطور من هنا وهناك ولا يعايشون موضوع الدراسة بحيث يقوم لديهم قبل التأليف تصور كامل لوقائع العصر .. أو قل خارطة بكل وقائع العصر ،

وتفاصيل حياة الشخص موضوع الدراسة .. وهو ما لم يتوافر للدكتور قبل أن يتهم الشافعى بمؤامرة العنصرية والعمالة .. ولا أحد يتصدى لنقد الشافعى إلا إذا قرأ كتاب « الرسالة » للإمام الشافعى ، الذى يجمع المحققون على أنه أول كتاب ألف فى أصول الفقه .. بل أول كتاب فى أصول الحديث .. والنسخة الوحيدة المتاحة بالعربية فى حدود معلوماتنا هى التى حققها الشيخ أحمد شاكر ، وهذه مكتوب على غلافها : « الرسالة للإمام المطلبى محمد بن إدريس الشافعى ١٥٠ - ٢٠٤ » بخط نسخ مذهب كبير .. بل إن كتيب (المعلم نصر) يقول السطر الأول فيه : الإمام الشافعى ١٥٠ - ٢٤٠ ولو كان الدكتور هو واضع هذا السطر فمصيبتنا كبيرة .. لأن من يعرف أن الشافعى ولد عام ١٥٠ يرن فى رأسه فوراً أنه ولد بعد الدولة الأموية ، إذن طلبة المدارس الابتدائية يحفظون أن الدولة الأموية انتهت عام ١٣٢ فهذا التاريخ من أوليات المعرفة بتاريخ المسلمين ، فلو كانت للدكتور أى خلفية إسلامية - أقصد التاريخ وليس العقيدة - لرفض عقله على الفور أن يعمل من ولد سنة ١٥٠ لدولة انتهت سنة ١٣٢ بل إن الدكتور خالى الذهن تماماً من موضوع دراسته .. فهو يكتب بكل اطمئنان : أن الشافعى كشف عمالته للدولة الأموية ، وتعاون معها راضياً مختاراً بعد وفاة أستاذه سنة ١٧٩ » مرة أخرى كان لابد أن تدق التواريخ فى رأسه ، فأستاذه مات بعد وفاة أو مصرع الأمويين بـ ٤٧ سنة ، هل يقبل من طالب فى الثانوية العامة أن ينشىء بحثاً عن تعصب محمد عبده للفرنسيين بحكم ثقافته الفرنسية ، ويستدل بذلك على أنه عمل لحساب الحملة الفرنسية وتعاون مع نابليون ، وقبل منه عضوية الديوان وخاصة بعد وفاة أستاذه رفاعة رافع الطهطاوى ، هل تستغربون لو حصل هذا الطالب على الدكتوراة إذا استمر التنوير الحالى ؟

ثم وصلتنا نسخة من كتاب الشيخ أبى زهرة طبعة ١٩٤٨ وهى الطبعة الثانية طبعة دار الفكر العربى كما يقول تقديم الشيخ نفسه وإن كان المعلم قد وصف طبعته أيضاً بالثانية ط٢ ، وحدد تاريخها بـ ١٩٧٧ (١) ، وهرعنا إلى الصفحة التى زعم أن أبا زهرة قال فيها : « سعى الشافعى على عكس سلفه أبى

حنيفة وأستاذه مالك إلى العمل مع الأمويين فانتهز فرصة قدوم والى اليمن إلى الحجاز وجعل بعض القرشيين يتوسطون له عنده ليلحقه بعمل ، فأخذه الوالى معه وولاه عملاً بنجران (انظر أبو زهرة : الشافعى ص ٢٠) فوجدناه كاذباً أشراً .. لا لأن الإشارة إلى عملته هذه وردت فى صفحة ٢١ وليس ٢٠ (!!) بل لأن هذا هو نص ما جاء فى كتاب أبى زهرة : « ١٤ - ولايته : ولما مات مالك رضى الله عنه ، وأحس الشافعى أنه نال من العلم أشطراً ، وكان فى ذلك الوقت فقيراً ، اتجهت نفسه إلى عمل يكتسب منه ما يدفع حاجته ويمنع خصاصته ، وصادف فى ذلك الوقت أن قدم الحجاز والى اليمن ، فكلمه بعض القرشيين فى أن يصحبه الشافعى فأخذه الوالى معه .. وتولى عملاً بنجران » .

كيف زور المعلم كلام الشيخ وقَوَّله ما لم يقله كيف دس فى النص : «العمل مع الأمويين » وبنى عليها نظرية ؟ كيف يكون هذا عالماً أو أستاذاً بالجامعة ؟ إنه مزور وليس مهملاً .. لأن المهمل يفوته خبر ولا يضيف خبراً ، بل لو قلب الصفحة وتابع قراءة « أبو زهرة » لوجده يتحدث عن اتهام العباسين للإمام بالعمل لحساب العلويين ، فأرسل مقبوضاً عليه عام ١٨٤ هـ إلى هارون الرشيد (بتاع مسرور السياف .. تعرفه ؟!) أى لو افترضنا بزعمك أنه تولى نجران فى آخر يوم فى عهد الأمويين يكون قد عمل فيها ٥٢ سنة والشافعى مات عن ٥٤ سنة فلابد أنه عمل لهم وعمره سنتان .. ياشَرّ لتات !

ولو تابع القراءة حتى يصل إلى الفصل الذى خصصه الشيخ أبو زهرة عن عصر الشافعى لوجد أول سطر فيه : « ٣١ - ولد الشافعى فى العصر العباسى ، ص ٥١ » فكيف يعمل من ولد فى العصر العباسى فى خدمة بنى أمية .. هل اخترعت آلة زمن تنافس بها ويلز ؟!

إن سكوت الوسط الجامعى على هذه الفضيحة وعدم اتخاذ إجراء أكاديمى ضد مرتكبها ، نذير خطر بما وصل إليه حالنا من تهاون ، أما الذين انبروا يدافعون عن الدكتور ويسترون هذه الفضيحة فهم نذير أكثر خطورة مما سنصل إليه إذا لم يتصد لهم المثقفون .

والدكتور كما هى عادة أمثاله يرمى الناس بما فيه فهو يتهم الشافعى بالعنصرية وتجلت عنصريته فى تأسيسه لعروبة القرآن " وأنه فعل ذلك من منظور ضمنى فى سياق الصراع الشعوبى الفكرى الثقافى .. من هنا نفهم ما انتهى إليه من تحديد لأنماط الدلالة يعتمد على التلقين لا على رصد آليات إنتاج الدلالة فى بنية النص ذاتها - ٢٧ .

وهو كلام من طراز حبظلم .. أى كلام لا يفهمه سامعه ولا قائله ! وامرأة جحا طالق إن كان « بين » أو « تبين » !

عروبة القرآن لم يؤسسها ولا اخترعها الشافعى .. فالمولى عز وجل هو القائل: ﴿ **إنا أنزلناه قرآناً عربياً ...** ﴾ [يوسف: ٢] ، وقد وردت : (قرآناً عربياً) بعدد ٦ مرات ، و(لسان عربى مبين) بعدد ٣ مرات .

وتواصى كتبة القرآن : إذا استشكل عليكم أمر فردوه إلى لهجة قريش فإنما نزل بلهجة قريش .. وهذا طبيعى فقد نزل على رجل من قريش فكان لابد من أن يكون بلغته حتى يتبينه ويبينه للناس .. هذه ليست عنصرية من الله سبحانه وتعالى .. بل هذا هو ما حدث ، ولو اختار الله لرسالته الصينيين لأنزل عليهم كتاباً بالصينية ، لا يفقهه إلا من أتقن الصينية .. وليس هذا من اكتشافاتنا ، بل الله سبحانه وتعالى هو القائل : ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ...** ﴾ [إبراهيم: ٤] .

يفترى (المعلم نصر) على الإمام فيزعم أنه قال : إنه لا يمكن أن يفهم القرآن إلا من كان عربى الجنسية والأصل والدم ، ويكرر ذلك أكثر من مرة فهو الشافعى - فى زعم وافتراء المعلم - يجعل من تفسير الكتاب وفهمه مهمة شاقة لا يمكن أن ينهض بها إلا عربى بالسليقة والجنس لأن من سوى العربى لا يصل إلى مستوى العربى مهما تعمق فى اكتساب اللغة وتعلمها : (هذا زعم المعلم) ، أما الدليل عليه من كلام الشافعى فهو ما أورده بعد النقطتين : أو هو :

« وإنما بدأت بما وصفت من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره ، لأنه

لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب و كثرة وجوهه ، وجماع معانيه وتفرقها ، ومن علِمه انتفت عنه الشبهة التى دخلت على من جهل لسانها » ص ٢٣ المعلم .

لاحظ أن الإمام - فى ذات النص الذى استشهد به المعلم - يكرر اللسان ثلاث مرات و كان يسعه أن يقول : العرب أو العربية .

وإليك ما قاله الشافعى حرفياً فى موضوع اللسان من نسخة الرسالة - تحقيق المغفور له أحمد محمد شاكر - الطبعة الثانية ١٩٧٩ :

٣٨ أ- ولسان العرب أوسع الألسنة وأكثرها ألفاظاً ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبى .. ولكنه لا يذهب منه شىء على عامتها حتى لا يكون موجوداً فيها من يعرفه .

٣٩ أ - والعلم به عند العرب كالعلم بالسنة عند أهل الفقه .. لا نعلم رجلاً جمع السنن فلم يذهب منها عليه شىء (بالطبع النبى ﷺ وحده يعرف جميع سننه والسنة التى غابت عن جميع المسلمين لا وجود لها وليست سنة) .

٤٣ أ- وهكذا لسان العرب عند خاصتها وعامتها لا يذهب منه شىء عليها، ولا يطلب عند غيرها ، ولا يعلمه إلا من قَبِلَهُ عنها ، ولا يشركها فيه إلا من اتبعها فى تعلمه منها ومن قَبِلَهُ منها فهو من أهل لسانها .

٤٤ أ- وإنما ثار غيرهم من غير أهله بتركه فإذا صار إليه صار من أهله .

يا فضيحة المعلمين فى السلخانة ! لا جنس ولا عنصر .. بل حتى العربى الذى ضعف لسانه يفقد عروبته ولا تعود إليه إلا إذا عاد للسانها ، ومن تعلمه فهو منهم .. حسرة على العلم والفهم والجامعة ، ومحمود أمين العالم الذى يمدح المعلم فيسرف دون أن يقرأ له ! أمثل هذا النص الذى استشهد به يثبت أن الشافعى قال : إنه ما من أحد يستطيع أن يفهم القرآن إلا العربى الجنسية ؟!

كيف يخطر ببال متجول على باب الجامعة أن الشافعى يمكن أن يصدر مثل هذا الحكم وهو كان لفترة من تلاميذ الإمام أبى حنيفة الذى لم يكن عربى الجنسية ولا الأصل ! أليس الإمام هو الذى قال عن سلفه أبى حنيفة : « العلماء عيال على أبى حنيفة فى الفقه » .

كيف يمكن إقناع عالم فى شارع محمد على على أن إماماً أثبت الجميع تفوقه ، بل يتهمه المعلم بأنه سيطر على الفكر الإسلامى إلى يومنا هذا يجعل جنسية الإنسان شرطاً للعلم بالقرآن ؟!

بل هل كان الإمام مثل المعلم يجهل أن جميع فقهاء الأمصار منذ عهد هشام بن عبد الملك لم يكن فيهم من هو خالص العروبة إلا فقيه الكوفة وهذا كله فى مطلع القرن الثانى الهجرى ، وقبل مولد الإمام الشافعى بأربعين سنة على الأقل .. بل إن عمر بن عبد العزيز عين ثلاثة فقهاء على مصر ، اثنان منهم من الموالى !

فكيف يأتى الشافعى تلميذ كل هؤلاء ويزعم أنه لا يفهم القرآن إلا من يحمل الجنسية العربية ؟! النص لا يحتاج إلى تأويل ولا تغليب العقل على النقل إلا إذا أخذنا بفكرة التحرر من النص وإطلاق العقل من عقاله ليهيم على وجهه كالسائمة فيبرطع وينطح الناس كما يشاء غير متقيد لا بنص ولا بفهم .. فإذا اعترضه شرطى مرور يصرخ ويقول : ح يطلقونى ؟

فكيف استخرج المعلم من هذا النص اشتراط الشافعى عروبة الدارس للقرآن بالمولد .. وبنى عليها نظرية عن تعصب الشافعى وأبطل وسطيته .. ثم لم يجد فى جامعاتنا من يجز ناصيته ويركبه مشهوراً .. بل من يهتف له كمعلم أو أسطى تنوير .. بل يتدهور أصحاب الغرض فيصفه أحدهم بأنه مجدد القرن ويعلن الطبيب الدكتور حنا : إن رفض ترقية هذا الجهول « تبعث على الرعب مما وصلت إليه هيئات مفروض أن تكون منارة للعلم وملاذاً للفكر الحر » .

هل الفكر الحر أصبح مثل الرسم الحر والشعر الحر ؟ يعنى تقول اللى على

كيفك بدون سند أو مرجع ولا حقيقة ..هذه مغارة .. وليست منارة .. فالمنارات تهدى ولا تجهل فتضلل يا دكتور حنا »

والشافعى - بعكس افتراء المعلم - لم يعتبر اللسان يكتسب بشهادة الميلاد وإلا لكفاه شرفه ونسبه .. فهو قرشى مطلبى ، بل بالعكس نراه قد التزم بما طالب به الأحباش والروم والنصرانيون فذهب يتعلم لسان العرب من مصادره « فلازمت هذيلاً بالبادية ، أتعلم كلامها وآخذ طباعها وكانت أفصح العرب أرحل برحيلهم وأنزل بنزولهم » .

* * *

فضيحة المعلم .. لا مجال لمزيد!

بقلم / الأستاذ محمد جلال كشك

مجلة اكتوبر - الأحد ٢١ نوفمبر ١٩٩٣

تلقيت سيلاً من الاحتجاجات تطالبنى بوقف أى نقاش لفكر المعلم الدكتور نصر أبو زيد ، وتستنكر أن أهبط لمستوى مناقشة فكر من لا فكر له .. وقال قائلهم : القضية ليست قضية فكر أو رأى .. القضية فضيحة أخلاقية .. فضيحة للجامعة بل لكل مؤسساتنا الفكرية ، وربما أهم من ذلك كله .. إنها بصقة فى وجه الحضارة الغربية وإعلامها الذى يدعى العلمانية والعقل .. إذ يحتضن رجلاً دون أى معرفة بإنتاجه الفكرى .. بل ولا حتى مهنته .. فالنيويورك تايمز تقول : إنه قانونى شهير .. ولا صحيفة ولا إذاعة من التى هرعت إليه اهتمت بسؤاله عن فضيحة عمالة الإمام الشافعى للأمويين ، ولو ارتكبها أصغر طالب فى أشد جامعات الغرب تخلفاً لمنع من الاستمرار فى الدراسة ، أو قلنا لو أن طالباً فى كلية الطب - وليس أستاذاً - قال : إن البروستاتا تقع بين الرئتين لطرد من الجامعة ومنع من دراسة الطب .. ولكن مثل هذا لا يمر إلا وتبكى صحيفة أو إذاعة فى الغرب على حرمان البشرية من أفكاره واضطهاده بواسطة المتعصبين المسلمين دون أن يقرأ المتباكون حرفاً له ؛ هذا هو الغرب ومن يبرزهم الغرب؛

قال القراء : هذه فضيحة لا يجوز أن نغطيها بمناقشة غيرها .. بل لابد أن تكتم الأنفاس فى انتظار موقف الجامعة وموقف الهيئات العلمية وموقف الأمة ليس منه ومن الذين أعطوه الشهادة فقط .. بل ومن الذين هرعوا ينصرونه

دون أن يقرأوه .. أو قرأوا وعرفوا العار وستروه .. فلم يعد هناك مجال لمزيد القول بل انتظار الفعل .. وقد اقتنعت بما قالوا وقررت أن أقصر الحديث هنا على واقعة تزوير أخرى هى اتهام الشافعى بالعنصرية .. إذ نسب المعلم للإمام أنه قال: باستحالة فهم القرآن إلا للعربى الجنسية، وقبل أن نكشف هذا التزوير الثانى أحب أن أسجل استيائى وارتيابى فى حكاية قضية التطليق التى تظهر فى الصحف كلما تحدث الناس عن فضيحة الدكتور مع الإمام الشافعى كأنه أمر مقصود ومدبر لصرف الأنظار، وأرجو أن يهتم صحفى شاطر بتقصيها ليكشف الأصابع التى تحركها .. وأنا لا أعتقد أن الأزهر ولا أحد من علماء الأزهر الجادين خلفها، كما ينشر فى صحف البغى .. فهى مسرحية لا تخدم إلا تغطية الفضيحة العلمية، وتقدم لأعداء الإسلام مادة للنشر فى الخارج بزعم الإرهاب الدينى واضطهاد المفكرين الأحرار .. فى حين أننا أمام قضية جهل .. لا كفر.

الحكاية فيها ملعوب .. وقد طالبت منذ فترة وكررت بضرورة إبلاغ النيابة عن الذين تظاهروا بمصادرة الكتب فى معرض الكتاب بغير صفة قانونية تخولهم هذه المصادرة، واستخدموا سلطة لم تمنح لهم وقاموا بعمل غير قانونى .. لماذا لم يلاحقهم القانون لنعرف السر المكنون؟ خاصة وقد استخدمت تلك الحادثة المريبة فى الدعاية والتشهير بمصر والإسلام والمسلمين ومازلت أصر على كشف النقاب عنهم .. فأنا أجزم أنها أيضاً كانت عملية مطبوخة .. أما من طبخها فنتمنى أن يكشفه التحقيق .. نفس الإحساس يساورنى عن قضية تطليق الدكتور .. ولو كان هناك من يعنيه استصدار حكم فعلاً ضد الدكتور نصر لكان الأجدر رفع قضية ضد جامعة القاهرة بطلب تجريده من شهادة الدكتوراه بعدما ثبت من جهله وإخلاله بالشروط الأكاديمية فى التأليف والأمانة العلمية.

وشكراً للقراء الذين اتصلوا وأبرقوا عقب نشر الحلقة الأولى .. شكراً لا على إعجابهم فهذا تعودنا عليه، وقد خشيت - والله - أن يقال استضعفته فافترسته - والله - لقد كنت أكره مصارعته كراهية الأسد فى المبارزة المشهورة .. ولكن لما رأيت أهل الكفاية لم يتصدوا له اعتبرتها فرض عين ..

وإنما أشكركم على اهتمامكم بالمستوى الخطير الذى تهوى إليه جامعاتنا ، ودكتور بها يتهم الإمام الشافعى بالعمالة للدولة الأموية التى انتهت قبل أن يولد، ويتهمه بالتعصب العنصرى للعرب ، وأنه قصر فهم القرآن وبالتالى تفسيره على العربى الجنسية والأصل .. لأن « من سوى العربى لا يصل إلى مستوى العربى مهما تعمق فى اكتساب اللغة وتعلمها » " وهو نص أو استنتاج لم نعرف له مصدراً فى كل ما كتب الإمام !! جابها منين ؟ ما اعرفش ! لكن من يزور شهادة ميلاد الإمام لا يصعب عليه تزوير نص !

ويستشهد بفقرة من كلام الإمام ليثبت عكس ما تقول كلمات استشهاده .. إن الشافعى قال على حد زعمه « بغموض القرآن التام لغير العربى ولا يكشفه إلا العربى » ص ٢٦ .

وقد فنّدنا ذلك وأثبتنا من كلام الشافعى أنه يتحدث عن اللسان ، أى اللغة ، فمن لا يتقن لغة العرب لا يستطيع أن يفسر القرآن ..فكيف استنتج دكتور فى قسم اللغة العربية هذا الذى استنتجه ؟ كيف لا يفرق بين العِرْق واللسان .. بين الجنسية واللغة ؟! هل لو قال أحدهم : إنه بغير إتقان لسان الإنجليز، أو حتى ضرورة إتقان لسان الإنجليز فى عهد شكسبير لا يمكن فهم مؤلفات شكسبير واستخراج إيماءاته وإيحاءاته يكون عنصرياً يقول باستحالة أن يفهم شكسبير إلا الإنجليزى الجنس ؟! أليس قائل هذا هو العنصرى الوقح الذى يزعم أنه لا سبيل لمن لم يولد إنجليزياً أن يتقن لسان الإنجليز !

هل من شك أنه ما من أحد يستطيع أن يسبر غور التوراة ويفهم ما غمض من معانيها ليتفقه فيها ويشرع منها إلا إذا كان يتقن العبرية ؟ هل يستطيع الدكتور أن يحصل على درجة علمية من جامعة محترمة فى التوراة دون أن يثبت إتقانه للعبرية .. هل يعنى ذلك عنصرية واشتراط أن يكون الإنسان يهودياً لكى يفهم التوراة ؟!

هل يجوز أن يفهم المعلم هذا الذى زعمه :

« ليس الغموض والوضوح إذن فى دلالة العموم على الخصوص مرتبطاً بطبيعة التركيب أو السياق بل هو مرتبط أساساً عند الشافعى بطبيعة المتلقى ، أو بالأحرى بجنسيته وأصوله العرقية . . فإذا كان عربياً عالماً باللسان فالواضح والغامض لديه سيان ، بل يختفى فى حقه الفارق بينهما . . هذا ما يقرره الشافعى بوضوح وهو يناقش النموذج الثالث الدال على الغامض الذى لا يعرفه إلا العربى . . » ص ٢٧ .

المعلم نفسه اضطر للاعتراف أن القضية هى العلم باللسان وليس الدم أو العنصر فهو يقول :

« فإذا كان عربياً عالماً باللسان » . .

وإذا افترضنا أنه لا يكتب ، كالسائمة الذين تحدث عنهم الشافعى ، بل يختار ألفاظه فإن نصه على « العلم باللسان » يؤكد أن هذه هى القضية كما فهمها حتى هو بفهمه الشديد التواضع وتحيزه الشديد الادعاء " أما حكاية « عربياً » فهى من تزويراته مثل العمالة لبنى أمية . . لأن الشافعى قال حرفياً : « فمن تعلم لسانهم أصبح منهم » ويضرب الشافعى المثل على أهمية إتقان اللسان العربى لفهم معانى القرآن فى قوله تعالى : ﴿ **ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس** ﴾ [البقرة: ١٩٩] فغير الملم بلسان العرب سيقول : إن الناس كل الناس لم يكونوا فى عرفة مع النبى ﷺ فى هذه الحجة . . ولكن من يتقن لسان العرب يعرف أنه فى لسانهم يمكن التعبير عن الخاص باللفظ الدال على العام . . وقد يتفاوت الوضوح بتفاوت العلم أو الجهل باللسان العربى ولكن للعالم به أو العرب الذين وجه لهم الخطاب وهم الذين كانوا مع النبى ﷺ عندما نزلت الآية . . وهم الذين نزل القرآن بلغتهم - أى جيل النبوة - فمن المؤكد أنهم فهموه وآمنوا به لأنه بلسانهم فى زمنهم ، وكان تحدياً لهم فى هذا اللسان . . بالنسبة لهم لم يكن هناك أى غموض . . بل فهموا الأمر واتبعوه .

أما قضية الألفاظ العربية فى القرآن التى يدور حولها المعلم كالدبور ، فهذا ما قاله الشافعى ص ١٤٨ :

« ولا ننكر أن يوافق لسان العجم أو بعضها قليلاً من لسان العرب كما يتفق القليل من ألسنة العجم المتباينة فى أكثر كلامها ، مع تنائى ديارها واختلاف لسانها ، وبُعْد الأواصر بينها وبين من وافقت بعض لسانه منها » أى وجود ألفاظ مشتركة بين العربية وغيرها .

ونحن نميل لهذا التفسير إن كان لابد من تفسير .. لا تعصباً .. فاللغات كلها لله .. والله يختار ما شاء من لفظ لمعانيه . ولا يضير عروبة القرآن أن توجد به ثلاث أو أربع كلمات لا يستدل على مصدرها العربى أو ليست فى لغة قريش تأكيداً لسيادة القرآن على قريش ولغتها .. وهذا ما ذهبنا إليه فى تفسير ﴿ **إن هذان لساحران** ﴾ التى التقطها جاهل آخر عن المستشرقين ليثبت أن بالقرآن خطأ فى النحو ، وقلنا : إنما يريد المولى عز وجل أن يثبت خضوع قريش ولهجتها ونحوها لكلمات الله .. وليس العكس فقد أنزله قرآناً عربياً وليس قرشياً .. وإن كانت لهجة قريش هى الغالبة .. ونستغفر الله من الخطأ .. ولسنا - بتأييد رأى الشافعى - ندفع تهمة .. ولكن انطلاقاً من أن الله سبحانه أنزل القرآن للعرب ويفترض أن يعرفوا ما نزل .. ومن ثم تتخفى الحكمة من ورود ألفاظ لا يفهم العرب كل العرب معناها ، وما دام القرآن قد نزل للعرب وفهموا معانيه كلها فلابد أن هذه الألفاظ التى ليس لها جذر عربى هى إما ألفاظ دولية دخلت عدة لغات .. وإما ألفاظ عربت قبل نزول القرآن .. ونحن لا نقول الآن : إن كلمة « شريف » ليست أسبانية ولا أمريكية لمجرد أن عربيتها واضحة .. أو حتى أول كلمتين يتعلمهما الإنسان : (بابا وماما) فهما عربيتان وإنجليزيتان معاً .. ومن قال : إن إسحاق وفرعون وهامان وطالوت وجالوت .. بل إسماعيل أسماء نسمت بها هذيل .. ومن ذا الذى يقول : إنها غير عربية .

وعلى أية حال فهو بحث لغوى تاريخى .. وكل المجادلين فيه على اختلاف اجتهاداتهم من ابن عباس إلى الشافعى عرب أقحاح ومن قريش .. بل لو كان ابن عباس قال : إنها أعجمية فهو أقرب لقريش وأجدر أن يتعصب لها .. ولكن اقرأ واضحك ماذا اكتشف شرلوك هولمز الفقه :

« . . . وفى دفاعه عن القرآن ، وإنكاره التام والمطلق أن تكون به ألفاظ غير عربية ، يذهب الشافعى - خلافاً لما استقر عليه الرأى فى عصره - إلى أن الألفاظ التى يقال إنها غير عربية هى فى الواقع ألفاظ عربية وأن القائلين بغير ذلك جهلوا هذه الألفاظ أساساً ، فتوهموا أنها ليست عربية . . فما ذلك إلا لأنه كان يدافع عن نقاء اللغة العربية وعن العروبة . . وعلاقة المشابهة التى يعقدها الشافعى بين العلم باللغة والعلم بالسنة علاقة لا تخلو من دلالة تكشف عن طبيعة المشكل الذى يحاول الشافعى حله .

وبالطبع يتطور الموضوع فى تحقيق مباحث الفكر إلى مؤامرة :

«ومعلوم أن الحرف أو اللغة التى ثبت القراءة عليها هى لغة قريش ، وذلك بناء على التعليمات التى أصدرها الخليفة الثالث عثمان بن عفان إلى أعضاء اللجنة التى كونها لتثبيت القراءة . . » « وبما أن النص كان قد ثبتت قراءته بلسان قريش ، الأمر الذى يُسوّغ لنا افتراض أن دفاع الشافعى عن نقاء لغة القرآن من الأجنبى الدخيل له لا يكون دفاعاً عن اللسان العربى كله فحسب ، بل كان بالإضافة إلى ذلك دفاعاً عن نقاء لغة قريش ، وتأكيداً لسيادتها وهيمنتها على لغات اللسان العربى . . والحقيقة أن هذا الموقف لا يخلو من انحياز أيديولوجى للقرشية التى أطلت برأسها أول ما أطلت - بعد نزول الوحى - [هذه الجملة بين شرطتين لم نفهمها . . هل يقصد أن نزول الوحى على رجل من قريش كان الانحياز الأول ؟ أستغفر الله . . ولكن كنا نتمنى لو شرح لنا مغزى هذه الجملة الاعتراضية حتى نزداد علماً بمؤامرة قريش وعلم المعلم !] - فى الخلاف حول قيادة الأمة فى السقيفة - والكلام مازال للمعلم نصر - ولا نغالى إذا قلنا : إن تثبيت قراءة النص الذى نزل متعدداً فى قراءة قريش كان جزءا من التوجيه الأيديولوجى للإسلام لتحقيق السيادة القرشية » المعلم ص ١٤/١٥ .

أو قال من أمثال هذا الخبال والكلام البطال الذى لا يخفى على الأطفال !

سيادة قريش سابقة على الإسلام وتعززت بالإسلام وبالدور الذى لعبه شباب ومشيخة قريش فى نصرة رسول الله ﷺ وفى تأليب العرب عليه ؛ وسيادة قريش اعترف بها فى السقيفة وأقر الجميع بذلك قبل زهاء قرن ونصف قرن من مولد الإمام الشافعى المتهم بأنه يحاول تثبيت سيادة قريش فى عهد المأمون عندما لم يبق للعرب جميعاً من السيادة إلا هذا النسب الرمزى .. فعلى زمن الشافعى لم تكن هناك قريش تحكم أو لها سيادة يؤبه بها ، ولم يكن الخليفة يعرف عن قريش إلا ما يحكيه القصاص .. والخليفة نفسه لم يكن فى دمه من قريش ما يكفى لإثبات النسب أمام القضاء .. فأمه فارسية ، وجدّته ربما تركية أو صقلية أو رومية .. ودولته قامت بشعار قتل العربى الذى جاوز الشبرين ! ومن ثم لو كان الشافعى تعصب للعروبة فبمفهوم مضاد .. أى أنه كان ثورياً معارضاً لاتجاه السلطة .. وليس انتهازياً كما يحاول نسبة موقف طبقى لمفكر كتب فكره بعد نصف قرن من زوال الدولة المتهم بالعمالة لها .. ومن المؤكد أنه لا يعلم أن الشافعى قبض عليه فى زمن الرشيد بتهمة مؤامرة علوية ! وأنه انحاز لعلى ضد معاوية إلى حد اعتبار خصومه هم الفئة الباغية .. يقول أبو زهرة : إن الإمام استند إلى سيرة على فى معاملة البغاة .. أى أنه اعتبر فريق معاوية هم البغاة وذلك مدون ثابت فى كتاب « الأم » وغيره من أصول مذهبه .. فكيف يكون أموياً شديد التعصب لبنى أمية ؟!

وقضية وجود ألفاظ غير عربية فى القرآن إن كان عاراً أو فضيحة كما يصورها فهى لا تخص قريشاً أساساً ولا أصلاً بل تخص اللغة العربية كلها والمسلمين فى وهمه .. فزوجة زعيم قريش كان اسمها « هند » .. فما عليه أن اكتست سندساً وإستبرقاً وأكلت فاكهةً وأبّاً فى الجنة ! وإذا كان المعلم يدعى أن الإمام الشافعى لم يكن يدافع من منطلق علمى بل حفاظاً على صحة النص : ﴿ **إنا أنزلناه قرآناً عربياً ...** ﴾ [يوسف : ٢] فإن الحجة أقوى على أنه هو المعلم الذى لا يثير هذه القضية ويلتصق بها كالقراد إلا لأنه يريد بوهمه أن ينال من النص !

وما دمنا قد وضعنا يدنا على مفتاح نظرية المعلم فقد سهل تفسير مواقف الشافعى واجتهاداته فهو عنصرى متعصب للعروبة بدليل أنه الوحيد الذى قبل

التعاون والعمالة مع دولة العرب بنى أمية .. ومن تعصبه أنه حاول أن يؤسس عروبة القرآن وقال: إنه لا يفهمه إلا من أتقن لسان العرب .. ثم يتقدم إلى الوراء خطوة أخرى ليثبت لنا عنصرية الشافعى العربية بتعصبه للسنة ويخرج علينا بفتوى قميئة شريرة:

« إن تأسيس الشافعى للسنة وحى لم يكن يتم بمعزل عن الموقف الأيديولوجى الذى أسهبنا فى شرحه وتحليله .. موقف العصبية العربية القرشية التى كانت حريصة على نزع صفات البشرية عن محمد ﷺ وإلباسه صفات قدسية إلهية تجعل منه مشرعاً .. أما الأحناف [علشان أبو حنيفة مش عربى] .. فقد انطلق أمامهم من موقف مغاير ، الأمر الذى مكنهم من وضع السنة موضعها الصحيح بوصفها شارحاً مبيناً للنص الأصلى .. لذلك وضعوا النسخ فى إطار البيان لا فى إطار التشريع » عن المعلم ص ٥٩ .

هل فهمت التفسير الأبو زيدى للتاريخ أو الفقه ؟ إنها نظرية أبو دراع: « ع الأصل دور » كل واحد يرجع لأصله ويعمل بأصله ! الشافعى عربى من قريش ولذلك انحاز لبلدياته محمد بن عبدالله العربى القرشى وحاول مساواته بالله على أساس أن الله تركى كما تقول النكتة التركية الغبية والسخيفة .. أما أبو حنيفة الذى جده من كابول فهو شعوبى يريد أن يقلل من شأن العرب بالتقليل من شأن اللى كل شوية يقولوا: اللهم صلى على النبى العربى .. لا مافيش سنة .. ومحمد زيه زى أى واحد ! عرب جرب ! ومن معرفتهم بالصحابة بيصلوا على عنتر !

ولأن هذا القطيع من التنويريين عدو لكل ما هو عربى يودون لو استأصلوا العروبة من جذورها لكيلا يكون تحت سمائها إلا العبرى .. لذلك هو ينحاز لأبى حنيفة .. ليس أبو حنيفة الفقيه الإسلامى العظيم حاشا لله .. بل لأبى حنيفة الذى اخترعه من أمانيه ، أبو حنيفة عدو العرب والنبى ﷺ والسنة كما توهم أو ادعى !

والمؤامرة العروبية القرشية قديمة منذ السقيفة « حيث تم فى هذا الاجتماع تدشين السيطرة القرشية على الإسلام والمسلمين . . ولعل الخلاف حول شروط اختيار الخليفة فى لجنة الستة التى عينها عمر بن الخطاب (و) الانتهاء إلى اختيار الشخص الذى تعهد متابعة سيرة الخليفتين السابقين عليه دون أى تغيير أن يكون أحد مظاهر التعبير عن الصراع المذكور . . حتى تم رفع المصاحف على أسنة السيوف طلباً لتحكيم النص الدينى فى صراع اجتماعى سياسى » ٥٨ .

هل كان علىّ ابن أبى طالب « فرنساوياً » أو من غير ولذلك اشترط إضافة رأيه ؟! أو هل كان من الستة غير قرشى ؟ بل حتى لو تعهد باتباع سنة محمد بن عبدالله ﷺ العربى القرشى لقلت أيضاً . . سيطرة قريش !

وما علاقة رفع المصاحف على أسنة السيوف بمؤامرة سيطرة قريش ؟

افهموها بقى . . المصاحف كتبوها بلغة قريش فلمَ ترفع ويقبل المسلمون تحكيم هذا النص القرشى وليس التلمود يعنى تكريس النص القرشى وتأكيد الشوفينية العربية ! وإذا احتج أحد على هذا الجهل والشعوذة . . يصرخ ويقول حيطلقونى . . والنبى حيطلقونى !

وهكذا فقد الدكتور أى أساس علمى لبحثه المزعوم فراح يثرثر بما لا يَفْهم ولا يُفْهم . . فهو قد ورث عن الماركسيين كراهية الموقف الوسط فهو عندهم انتهازى تلفيقى . . ونقل كراهيته للشافعى الذى « أسس الوسطية يرى الكثيرون أنها أهم خصائص التجربة العربية الإسلامية فى التاريخ وهى الخصيصة التى تتجسد فيها « الأصالة » التى يتحتم على المجتمعات العربية والإسلامية الاحتماء بها فى صراعها ضد أعدائها الساعين إلى القضاء عليها » ص٥٠ .

دعنا من سخريته من توهمنا وجود أعداء . . وتغليباً لحسن الظن الذى هو من صفة المؤمن . . سنفترض أنه جاهل . . وليس ماكراً . . سنفترض أنه يجهل أن الذى اختار الوسطية كخاصية مميزة للإسلام والمسلمين ليس الإمام الشافعى ، بل الله سبحانه وتعالى عندما قال : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً . . .** ﴾ [البقرة:١٤٣] والحديث الشريف : « **خير الأمور الوسط** » .

انتدب الدكتور نصر حامد أبو زيد نفسه لفضح مؤامرة الشافعى فى تثبيت النصوص ولتعرية الوسطية من ثياب القداسة التى ألبست لها فى تاريخنا الثقافى والعقلى ، لأن الدكتور الشفوق بأمته أراد أن يجنبنا مزالق التحليل الميكانيكى الانعكاسى إذا كانت الحركة المنهجية من الخارج للداخل ، « فى حين يعدنا بأن يجعلها من الداخل إلى الخارج » ص ٦٠ .

ومهما كانت عداوتنا للدكتور المعلم فالحق أحق يا عبد الحق ، ولا نملك إلا شكره على نقل الحركة من بره لجوه ، وجعلها من جوه لبره ! شوف كان حيجرى لنا إيه .. فضلنا نحركها من بره لجوه .. لأ .. من جوه لبره أحسن كتير .. أمال احنا صرفنا دم قلبنا على تعليمهم ليه ؟ لكيلا نستمر على جهلنا ونقول كله محصل بعضه من جوه لبره زى من بره لجوه .. الحمد لله كنا حنروح فى التحليل الميكانيكى الانعكاسى لكن ربنا ستر !! الله يرحم الجيزاوى : من فوق لتحت من تحت لفوق .. أنا جلت اركب طيارة جالوا تتدحرج من فوج !

باختصار قضية الدكتور نصر حامد أبو زيد هى قضية جهل ، وافتقاد للأمانة العلمية .. والحد الأدنى لشروط البحث الأكاديمى فى أعرق جامعة مصرية هى قضية لا علاقة لها بحرية الفكر أو موقفه من الدين .. فهو لا يمكن أن يكون بجهله هذا صاحب موقف يؤبه به .. وما لم تحدد الجامعة موقفها من هذا الجهل والتزوير فى كتاب معلم بها ، فإن حياتنا الجامعية والعلمية ستفقد مصداقيتها .

ومن أراد المزيد فكتابنا على الطريق بإذن الله .

* * *

باسم القانون وشرف الكلمة ..!

بقلم / الأستاذ محمد جلال كشك

مجلة اكتوبر - الأحد ٥ ديسمبر ١٩٩٣

فضيحة المعلم أبو زيد أكدت لنا أننا نواجه مافيا لا نعرف شرفاً للكلمة و لا تؤمن بقضية إلا حربها المسعورة المأجورة على دين البلد وتاريخه وثقافته ، بل وأمله فى مستقبل أشرف .. فنحن أمام دكتور فى الجامعة يؤلف بحثاً يتهم فيه شخصية تاريخية بأنها تعصبت للسنة وعروبة القرآن من تعصبها للعرب ، والدليل القاطع الذى قدمه على ذلك أن هذه الشخصية كانت الوحيدة التى قبلت التعاون مع دولة بنى أمية .. بل وسعت سعياً ليكون لها شرف خدمة هذه الدولة ، وعملت لحسابها والياً فى اليمن ..

وتبين أن هذه الشخصية لم تكن قد ولدت عندما انتهت الدولة الأموية وهو لإثبات نظريته زيف نصاً لأبى زهرة وزيف نصوص هذه الشخصية التاريخية .. وبدلاً من أن يناقش المجتمع الثقافى والجامعة هذا الخروج من أبسط متطلبات الانتساب لجامعة القاهرة .. إذا بعشرات المقالات والأحاديث تنشر لهذا الدكتور لا يرد فيها - ولو من باب السهو - سؤالٌ واحدٌ عن هذه الفضيحة التى تشكل جوهر القضية ! موقف غريب ، واتفاق مريب يجعلنا نتساءل عن : من المؤسسة أو القوة التى توجه الجميع فى اتجاه واحد وتحرص على تغطية الفضيحة وتمنع الجميع حتى من ذكرها .. ما هى القوة أو المستمسكات التى لدى هذا التنظيم أو الجهة لكى يخرس الجميع ويمنعهم حتى ولو عن الهمس .. كيف استغلوا قضية الطلاق المشبوهة لكى يستروا فضيحة الدكتور ، وتقصير الجامعة ؟!

أنا شخصياً لن أسكت .. لقد دعوت الدكتور والسيدة الفاضلة حرمه

لأخذى للقضاء لأنى أتهم الدكتور نصر حامد أبو زيد بالجهل وتزييف النصوص .. وهى تهمة - إن صحت - تستوجب تحقيره بين أهله وعشيرته وتجريده من شهادته الجامعية (المفروض) مما يتيح له إن ثبت كذبى أن يحصل على ما شاء من حريتى ومالى .. ولكنه بالطبع لن يفعل مفضلاً أن يذهب للمحكمة فى ثوب الشهيد المطارد من الإسلام المتعصب .. إلخ . ولذلك قررت أن آخذه أنا للمحكمة ، سأرفع قضية ضد جامعة القاهرة بوصفى من خريجيها ، ويلحقنى عار ، ويلحق شهادتى نقص معيب باستمرار هذا الدكتور بين هيئة تدريسها ، واعتراف الجامعة بمؤهلاته وسكوتها عن هذا الإخلال البشع بالشروط الأكاديمية ، وسأعطى من مالى كافة النفقات ، فلم أخرج من الدنيا إلا بهذا البكالوريوس من جامعة القاهرة ، ولا أقبل أن أتركه لأولادى مطعوناً فى مصداقيته العلمية .. فإذا لم تَغِرْ الجامعة على سمعتها حميناها نحن بالقضاء .

أما قضية الطلاق فقد قلنا رأينا فيها وأنها الغطاء الذى ألقى على ابن أخت ماعز ليستر عاره العلمى والفكرى ولم ينجحوا فى إثبات وجود أى هيئة أو تنظيم إسلامى خلفها وثبت كذب ما ادعته صحيفة عميلة من أن الأزهر هو المدعى .. فلم يجدوا إلا الكافى والبدرى ؟! أيوه صحيح يعملوها ويخيلوا .. صحافتكم اعترفت بالعلاقات الطيبة جداً للاثنين مع أجهزة الأمن .. عبد الكافى يا ريت يكفينا خيره وشره بعد فضيحة شريطه .. أما البدرى فقد قلنا فيه من سنوات إن شفت البدرى شمر واجرى .. البدرى يمثل الإسلام ؟ خشوا فى عبى خشوا ..

ومع ذلك تعالوا نناقش قنابل الصوت التى يشوشرون بها .. ما الذى يستحق هذه الضجة وهذا التوجع ؟ مواطن رأى أن يرفع قضية على مواطن آخر ما الضرر فى ذلك ما الجريمة ؟ مواطن لجأ للقانون وليس للعصا أو السكين .. هل نفرض حصانة خاصة لبتوع التنوير .. أسلافهم كانوا يأتون بحماية أجنبية من القناصل .. ولكن ما دمنا نتمتع جميعاً بالجنسية المصرية ، فحق التقاضى مبدأ أساسى فى الدستور .. أى دستور .. أليس ذلك أفضل من القمع الذى تمارسونه

أو الإرهاب الذى تدعونه ؟! ألا تشهد المحاكم الأمريكية عشرات القضايا التى تطالب بطرد المخالفين لا من العمارة أو الجامعة بل من المدينة كلها وأحياناً حرمانهم من تبنى الأطفال ؟ وتذهب القضايا للقضاء ويحكم فيها .. ولا أحد يتهم المسيحية ولا أحد يفرش الملاية للدين والكنيسة ولا الدولة ولا يشهر ببلده فى صحافة العالم .. ما دام الإجراء ليس من قبل السلطة، التى لا يجرؤ أحد على اتهامها بالتحيز ضد المدعى عليهما ولا حتى الحياد . ومن الفجور ادعاء أنه تعرض لأى اضطهاد بل لقد أصابه من السعادة ما لم ينله أحمد عدوية قبل الحادث المشئوم .. الدكتور فى الجامعة .. و يحصل الجوائز .. وصورته تملأ عن جدارة الصحف والإذاعات .. وآخرها صورته يقرأ كتاباً مع زوجته لعله عن الإمام الشافعى ودوره فى حلف بغداد ! فماذا حدث ولماذا الضجة الكبرى لماذا ؟ أيغضبكم جداً أن يوجد فى مصر مواطن مخرف أو متعصب أو حتى تيار يمينى متعصب .. يا سلام ! وأى البلاد يخلو من ذلك ؟ أليست إسرائيل هى قدوتكم وأمنيتكم .. تعالوا أقرأ لكم بعض ما نشرته الهيرالدتريبيون ١٩٩٣/١١/١٢ :

● فى إسرائيل يقوم الحاخامات بعملية الختان على جثث اليهود الروس قبل دفنهم لكى يكون الدفن شرعياً ! هل حدث ذلك عندنا أو يمكن أن يحدث ؟!

● فى إسرائيل قتل الفلسطينيون فى الضفة الغربية مجنداً يهودياً ابن يهودى، ولكن الحاخامات رفضوا دفنه فى مقابر اليهود ودفنوه خارجها لأن أمه لم تكن يهودية وبالتالى ليس يهودياً ويدنس مقابر اليهود واحتج رفاقه فى الجيش واستجاب رئيس الوزراء إسحاق رابين وقال : إذا كان المجند ليفى بيساهوف مات من أجل إسرائيل .. فهو يستحق أن يدفن بين اليهود ونقل الجثمان .. رئيس الوزراء لم يقل فهو يهودى كما اختار وكما أعلن بل كان أقصى جهده أن يقول فهو يستحق شرف الدفن بين اليهود ولم يصرخ عميل ليس من حق أحد أن يكفر أحداً .. ليس من حق أى جهة أن تحدد من هو اليهودى أو تحكم بردة اليهودى .. إلخ ما نسمع فى بلادنا !

● فى إسرائيل ألَّف أحد الناجين من الهوليكوست مسرحية تنتقد سيطرة

الحاخامات على تجارة اللحوم ، فوصل الأمر للبرلمان وساقوه للنيابة استناداً إلى مادة فى القانون الإسرائيلى تمنع كل ما يمس الأمور ذات الحساسية الدينية .. وقال الرابى أفراهام رافتر : « القضية هى : هل نريد أن نبقى دولة يهودية ونحتفظ بالرموز التى تميزنا .. أو أننا نريد أن نصبح مجرد دولة من دول الشرق الأوسط .. ولعله قال من حوش الشرق الأوسط !

وهذا بعض من فيض ولم تفرش الملاية لدين اليهود ودولة إسرائيل وحاخامات إسرائيل .. بل لم نسمع عن الحكاية إلا فى هذا المقال ! لم تحتج منظمة عفو .. وليس عند اليهود منظمة حقوق إنسان أنشأتها المباحث للتشهير بإسرائيل ولا كتب سلمان رشدى حرفاً .. ولو فعل لجعلوه كالعهن المنفوش ، ولحرمت المراضع وأولها البيت الأبيض ، ولهرع أوباش الصحافة العالمية يتباكون على التخلف والأصولية اليهودية التى تطهّر الجثث وتحدد أين يدفن من قتلوا تحت راية الدولة اليهودية .. وتشغل البلد بطهارة اللحم ويناقش برلمانها ويحقق فيها النائب العام وبها قانون يمنع المساس بالدين لو تجرأت الصحافة الأمريكية ودبجت تحقيقاً مما تشنه على بلادنا لجعلها اليهود كعصف مأكول .. إذن « لا مباح » إلا المساس بديننا .. ولا مستباح إلا عرْضنا ، وحضارتنا ، وبلادنا بفضل المافيا التى تفتقر للعلم والشرف معاً !

* * *

أتهمه بالجهل .. فيعايرني بالمرض

بقلم / الأستاذ محمد جلال كشك

مجلة أكتوبر - الأحد ١٩ ديسمبر ١٩٩٣

عندما اتصلوا بى تليفونياً من القاهرة صباح الأربعاء وقالوا : إن المعلم صاحب فضيحة الإمام الشافعى قد هاجمك .. استبشرت خيراً .. قلت : الأمر لا يخلو من أحد أمرين : كلاهما حلو ومبشر لمستقبل التنوير فى بلادنا .. إما أن الدكتور سيثبت بالأدلة الدامغة أن التاريخ قد أخطأ وأنه توصل إلى ما يقنع بوجود شخصيتين : واحدة هى الإمام الشافعى الذى نعرفه ، والذى ولد بعد انقضاء الدولة الأموية بـ ١٨ سنة ، وشخصية أخرى أخفاها المؤرخون عاشت زمن الأمويين وتعصبت لعصبيتهم وعملت لهم اللى خلى الإمام الشافعى يأكل على مائدة بنى أمية وهى التى كسرت قبل ميلاده بـ ١٨ سنة وكان اسمه الإمام الشافعى أيضاً بالأدلة الدامغة .. أنا مريض .. وقد أبرقت للحانوتى أن يعد شاهداً يوضع على قبرى مكتوباً عليه جلال كشك مات بالقلب أو السرطان أو بهما معاً .. ونصر حامد أبو زيد جاهل ومزور لا يعرف متى ولد الإمام الشافعى ولا فى أى عصر عاش .. بل سيظهر فى نعيى إن قبلت الصحف التى تفتح صفحاتها لك تقول فيها ما لا تعلم ، ونُعيِّرك بالجهل فتعيرنا بالمرض .. خسئت .. والله أكبر .. أنا لا أذكر أننى قلت إنه اهتبل قضية الطلاق ليشتهر وإن كان ذلك طبعاً من أهدافه .. ولكنى قلت : إنه اهتبلها ليغطى القضية الأساسية وهى أنه جاهل ومزور .. وها هو ذا عندما تعرض لذلك غطى هذه ومسك فى الشهرة ، نعم أصبحت أشهر من مادونا .. ولكن هل يغير ذلك حقيقة أنك جاهل ومزور ولا يليق بك ولا بالجامعة الشعبية أن تكون طالباً بها فضلاً عن أستاذ .. لا لنقص فى دينك فهذا بينك وبين الله ، ولا لأنك ملحد ..

فهذه مرتبة فى جهل العالم لم تصل إليها ولن تصل أبداً .. إنما أنت مجرد جاهل ولو كنت إمام جامع ، وأنت مزور .. ولو كنت تفهم الدين حقاً كما تدعى لنهاك عن تزوير أحاديث الناس .. أتهمه بالجهل فيعيرنى بالمرض؛ أتوجه بالسؤال هذه المرة للسيد الفاضل مدير جامعة القاهرة أتساءل .. كما لابد أن جميع أجهزة الجامعة وخريجيها وطلبتها يتساءلون : ما الذى يمنع من إحالة الدكتور نصر أبو زيد للتحقيق فى موضوع كتابه عن الإمام الشافعى الذى أثبتنا أنه ملىء بالأخطاء ؟ وسكت المؤلف فلم يعلق بحرف .. أثبتنا أنه يجهل تاريخ الإمام الشافعى ومن ثم زور أنه عروبى متعصب بدليل أنه تعصب لدولة بنى أمية إلى حد أنه كان الفقيه الوحيد الذى قبل التعاون مع الدولة الأموية وسعى لكى يعينوه والياً لهم فى نجران ، وأثبتنا ولم ينبس بحرف اعتراضاً أو تفسيراً أنه زور نصاً للشيخ أبى زهرة يؤكد زعمه هذا ، وأنه زور نصوصاً على الإمام الشافعى يدعى فيها أنه قال : إن القرآن لا يفهمه ولا يفسره إلا من كان عربى الجنسية .. وهذا يعنى أنه جاهل ومزور ، وأنه لا يستحق شهادة الليسانس .. وليس الدكتوراه .. فضلاً عن أن يسمح له بالتدريس لأبنائنا .. ما الذى يمنع إدارة الجامعة من التحرك لحماية سمعتها العلمية .. إرهاب هذه العصابة ؟ أم ظن السوء بالدولة وتصور أنها تحمى هذا الجهل ؟ إن التاريخ بالمرصاد ومهما طال إرهاب هذه العصابة التى تتميز بالجهل والفجور فلابد أن يشرق النور ولابد أن يقف التاريخ متسائلاً : كيف سمح لنصر أبو زيد أن يكون أستاذاً بالجامعة وهو جاهل إلى هذا الحد .. غير أمين .. لا فى النقل ولا فى العقل ؟ وقد كتب المعلم مقالاً يرد به على جلال كشك فلم يجد ما يعيرنى به إلا المرض ، وقال : ليس على المريض حرج .. أنا والله مريض الجسد .. وهذا يبرئه أو يمحوه الموت .. أما مريض العقل فيبقى عاره إلى الأبد .. ألا تظن أن ابنك يوماً سيحيط به الصبية يهتفون : الشافعى اتولد إمتى ؟ فإن كان فى عصر يغلب عليه العقل فعلاً لا النقل المزور فسيفضل أن يبرأ منك إن كان قد بقى لك ذِكْرٌ .. مرضى يعالج .. أما الحماقة وفساد الفكر والضمير فقد أعيت من يداويها ..يعيرنى الأستاذ الدكتور المهذب بالمرض ويقول : إنه امتنع دهراً من الرد علىّ إشفاقاً على مرضى وأخيراً قرر أن يرد فلم ينبس بحرف لما اتهمته به وأكرره .

لقد أنشأ بحثاً عن مصادر تفكير ومواقف الإمام الشافعى فنسب إليه التعصب للعروبة وقال: إن أقوى دليل على ذلك هو أن الإمام الشافعى الوحيد من بين الفقهاء، الذى قبل التعاون مع الدولة الأموية وسعى للعمل إليها ونسب أو استدل على ذلك بنص من الشيخ أبى زهرة.

وقد أثبتنا تزييف النص وتزييف التاريخ لأن الإمام الشافعى ولد بعد انتهاء الدولة الأموية بـ١٨ سنة.

هل رد المعلم نصر على هذا؟ ولا حرف.. أنا مريض بالسرطان وأنت مريض بالزوغان.. أنا مريض بتضخم القلب.. وأنت مريض بفساد القلب والضمير.. لماذا لم ترد؟ لماذا لم تتمتع بشجاعة حرية الفكر وتقول: نعم أخطأت خطأ جسيماً لا أسمح به لطالب من طلبتى وقررت أن أتقدم للدكتوراه من جديد مكفراً عما فعلت وما جهلت وما زورت واستغفرت العقل والجامعة والطلبة.

أشفقت علىّ من مرضى.. والله لو كنت أنا على خشبة الغسل ما قدرت على أن تنقض لى حرفاً، وقد أثبت عليك التهمة بالسطر والصفحة.. أنا فى مرضى قرأت وبحثت وحللت.. وأنت والحمد لله بارك الله لك فى صحتك وعافيتك لم تجد عزماً أن تراجع كتاباً نكتب مثله كل أسبوع فى المجلة حتى ارتكبت فيه من الأخطاء ما ينوء بحمله الثور الشديد أو البغل العنيد.. أرجوك لا تشفق.. أرجوك فسر لنا كيف جهلت وألفت واشتهرت.. هذه ليست والله شهرة تحسد عليها.. بل هى الفضيحة التى سترتد عليك وعلى من أيدك قريباً.. هل تراك مهما حاولت أن تتمسح بالكفر والإيمان والردة والإرهاب وقنبلة شبرا والعتبة.. هل ستصبح أشهر من سلمان رشدى.. وهل يوجد أحد من أشد مؤيدى سلمان رشدى يقول: إنه كاتب عبقرى أو إنه جاء بما لم يسبقه إليه أحد، أو حتى هل قرأ ما كتبه واحد فى المائة من الذين يصنعون شهرته.. شهرتك تقوم أساساً على الزعم بأنك تتحدى المسلمين، وأن المسلمين

يطاردونك .. وإلا فلماذا لم تكتب صحيفة واحدة عن بحثك عن الإمام الشافعى وهو أهم ما نشرت أو كنت تزعم ذلك ؟ لماذا لا يستنبط أحد يعرف مما تقول أنك مجرد أداة مثل سلمان رشدى للتشهير بالإسلام والمسلمين ، وأن قضية الطلاق هى أهم حجة فى يدك .. وإلا فإن كتاباتك موجودة من سنوات فمن اهتم بها ؟ وإذا كنت تستطيع أن تجد لى سطراً أتهمك فيه بالكفر أو الردة أو طالبت فيه بإعدام مرتد ، بل أنا الذى أثبت أنه لم يعدم أحد فى تاريخ الإسلام بتهمة الردة الدينية ، بل كل الإعدامات التى صدرت أو نفذت كانت سياسية وتتعلق بأمن الدولة وقلت : إن الدولة الإسلامية وحدها هى التى تملك تحديد ما الذى يهدد أمنها فلا تتمسح بالكفر .. أنت أجهل من أن تكون مرتداً حتى الكفر يحتاج إلى عقل وحد أدنى من شرف النقل وأنت تفتقد الاثنين .. أكرر : أنت جاهل .. ومزور .. وإن كانت زبيبة الصلاة فى وجهك فى حجم الورم الذى فى قفا (كيم ايل سونج) . فليس بيننا قضية دين ولا اعتقاد ولا ردة .. وإنما بيننا قضية جهل وتزوير وأمور مما لا يليق أن تتوافر فى أستاذ بجامعة كان لى شرف التخرج فيها .. وقاك الله من شر مرضى الذى تعيرنى به ، ووقى مصر وكل طالب علم من شر أمراضك التى تقتل العلم .

أى داء أكبر من أن يوجد فى الجامعة أستاذ يجهل تاريخ الشخص موضوع بحثه ؟! أى مصيبة أكبر من أن تعيرنى بمرضى ؟! وما سعيت ولا أردت .. ومثلك يفعل .. فمن أهم أعراض مرض أمثالك سوء الخلق ، ومرضك لا يكون إلا بالإرادة والاختيار .. فالذكاء أو العلم قد يأتى مصادفة .. أما جهل مثلك فيكتسب اكتساباً وبالجهد .. هل هذه شهرة تحسد عليها أن يدافع عنك سلمان رشدى فى كبرى الصحف الأمريكية فيقول : إنك من أكبر أساتذة القانون فى مصر ؟! فقد بلغت من العمر عتياً ولا يعرفك سلمان رشدى ، ولا الصحيفة ، ولا أحد من القراء فيصحح لهم مهنتك ؟ أنت يا ابنى قميص عار رفعوه للنيل من الإسلام ، وتأليب الرأى العام العالمى على المسلمين ، ولا تساوى فى شخصك قلامة ظفر ، وعلمك أهون عليهم من ذلك .. هل تظن أن هناك جامعة فى

مدغشقر على استعداد لترجمة كتابك عن الإمام الشافعى .. كل بضاعتك هى هذه التهمة التى تروجها عن نفسك .. إنك تقاتل المسلمين ؟ وما تقاتل إلا العلم والمعرفة وآداب النقل وقواعد العقل .. أى عقل وأى نقل ما أدراك بذلك ؟! وهل يقوم العقل إلا على النقل .. أتراه يوحى لك ؟ أم تريدنا أن نعود لعقل الغريزة كالحيوانات .. وهل أصبح الإنسان إنساناً إلا بما تناقله من معرفة وخبرات عبر العصور ؟ وهل من أمة فى التاريخ قبل القرن الثامن عشر أخضعت النقل لفحص العقل مثل أمة الإسلام ؟ لو كنت أحسنت النقل عن أبى زهرة والإمام الشافعى أكنت تصبح فضيحة العقل والنقل أبد الدهر ؟ اجر العب بعيداً .. إحنا ناس عيانين ودماغنا مش ناقصاك .

* * *

حرية فكر .. أم حرية تطاول على الدين ؟!

بقلم / د. محمد فايد هيكل

جريدة عقيدتي - الثلاثاء ٦/ ٤/ ١٩٩٣

فى صبيحة يوم واحد هو يوم الأربعاء ٣١ مارس الماضى انطلقت حملة مفاجئة فى مجموعة من الصحف اليومية والحزبية تتهجم على قرار اللجنة العلمية الذى أخذ به مجلس العمداء بجامعة القاهرة .. وهو القرار الذى رفض ترقية أستاذ مساعد بكلية الآداب إلى درجة أستاذ لأن نتاجه العلمى لا يرقى إلى المستوى الجدير بالأستاذية ، وقد دهشت أشد الدهشة من جرأة أصحاب هذه الأقلام الذين سمحوا لأنفسهم أن يتعرضوا لقرارت اللجان العلمية وقرارات مجالس الجامعة بالنقد والتجريح والتهجم الضارى على صفحات الجرائد السيارة .. هذا وأنا أنتمى إلى جامعة إسلامية مختلفة .. ولكننى من وجهة نظر القراء أستنكر هذه الجرأة ، وأعجب لها أشد العجب .

هجوم منظم

وإنها لظاهرة لافتة للنظر أن تنطلق هذه الأقلام فى يوم واحد مما يدل دلالة بدهية من أول وهلة على أنه أمر بيّت بليل ، خاصة أن العبارات تشابهت ، وأن المقالات جميعاً اتجهت فى تيار واحد من اتهام اللجان العلمية ومجلس الجامعة ورئيسها بالإرهاب ، ومحاربة الفكر الحر كما يزعمون .. والباحث الذى تدافع عنه هذه الأقلام هو الدكتور نصر حامد أبو زيد مؤلف كتاب « مفهوم النص دراسة فى علوم القرآن » إلى جانب أبحاثه الأخرى التى تقدم بها طالباً الترقية ، وقد سبق لى أن اطلعت صدفة على كتابه « مفهوم النص » الذى سمعت بعض الشباب ممن لهم انتماءات يسارية يروجون له بين المثقفين ، فقرأت هذا

الكتاب بتأن وصبر ، ووجدته مليئاً بالدعاوى الباطلة التى تنال من القرآن الكريم ، ومن شخص الرسول ﷺ ومن علماء المسلمين القدامى والمحدثين ، بل وتنال من النظام العام وتتهم الدولة بتشجيع الإرهاب .. فكتبت نقداً منهجياً له نشر فى مجلة الأزهر فى عدد ربيع الأول ١٤١٢ سبتمبر ١٩٩١ وكشفت عن خطاياه المنهجية ، فهو فى هذا الكتاب لم يأت بفكر جديد ، وإنما جمع أقوال المستشرقين ، والماديين وحملها فى « خرج » واحد كما قلت فى مقالتى تلك ، كالزعم بأن النبوة ليست ظاهرة فوقية مفارقة ، إنما هى تجربة خاصة من حالات الفاعلية الخلاقة ، وأن الوحى إلى رسول الله ﷺ كان تجربة متخيلة ، وأن النسخ فى القرآن دليل على علاقة جدلية بين النص والواقع .. علاقة تشكل وتشكيل ، وأن شخصية الرسول صلوات الله وسلامه عليه كانت شخصية رجل عادى ، وأن الفكر الإسلامى السائد هو الذى خلع على هذه الشخصية قداسة ليست من طبيعتها ، وأن حركة القرآن الكريم كانت تتجه إلى الواقع الدنيوى فجاء أبو حامد الغزالى بمنهجه فى التأويل فحولها إلى اتجاه غيبى أخروى " وأن الاعتقاد بأن القرآن الكريم مسجل فى اللوح المحفوظ وهم من الأوهام .. هذا إلى طريقته الملتوية فى المناقشة .. وهى طريقة لا تلتزم بالمنهج العلمى الأكاديمى - كما يعلن هو نفسه فى صفحات كتابه - فهو يناقش مسائل ليس من شأن البحث العلمى أن يخوض فيها أو يحاول اكتشاف كيفيتها لأنها لا تقع فى دائرته .. مثل مناقشته لكيفية لغة الخطاب بين ذات الله سبحانه وبين جبريل عليه السلام ، أو لغة الخطاب بين جبريل عليه السلام وبين محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وهذه ليست من الأمور التى تقع تحت طائلة الحس المادى حتى يمكن أن يتناولها البحث العلمى بمنهج استقرائى أو قياسى .. وهو يعترف فى كتابه بأنه يقوم بتدريس هذه الآراء لطلابه فى الجامعة منذ سنوات طويلة ، وأن هذه الآراء حصيلة مناقشات بينه وبين هؤلاء الطلاب .

إن كتابه هذا إذا ذهبت تفتش عن منهجه أو محتواه لن تجد فيه أية سمة علمية موضوعية صحيحة ، إلى جانب مافيه من تعميم وتهويش .. كأن يتعرض

فى صفحة واحدة هى صفحة ٢١ لعشر قضايا يلقى بها فى عمومية يتهجم على الإعلام الرسمى الدينى ، وموقف علماء الدين من الصلح مع إسرائيل ووضع القدس ، ويعرض الإسلام العلمانية .. وحديث الذبابة .. وحديث توفيق الحكيم إلى الله أو معه .. والاشتراكية .. والانفتاح الاقتصادى .. وتأييد علماء الدين للدول العربية الإسلامية فى الخليج التى يصفها بأنها أكثر الأنظمة العربية رجعية وتحالفاً مع أعداء الإسلام والمسلمين .. ولا يفوته أن يتعرض فى هامش الصفحة نفسها لشركات الاستثمار وتوظيف الأموال ، فهو يلقى بالأحكام فى هذه القضايا جزافاً ليربك فكر القارىء ويدفعه إلى الاستسلام لانهامه مما يتنافى مع الأناة العلمية ، وفصل القضايا ، وتحليل كل قضية على حدة .. ويلجأ الدكتور نصر أبو زيد إلى العبارت الملتوية ، والأساليب المستحدثة على النص القرآنى تطبيقاً متكلفاً فاشلاً غير موافق لطبيعة النص حتى خرج بالبحث عن هدفه الأول .. وهو ما يزعم إعادة الربط بين النص القرآنى والدراسات الأدبية والنقدية .. خرج عن هذا الهدف إلى الخوض فى مسائل كلامية اعتقادية لا يهدف من وراء عرضها إلا الإثارة والشكوك ، وبلبلة الفكر .. لأن الكتاب لو كان كتاباً فى الفلسفة لقلنا إن من حقه أن يعرض القضايا عرضاً مجرداً حتى يستوفى جوانب البحث ، ويستقصى الحجج من جميع الأطراف كما هو الشأن فى بحوث الفلاسفة سواء أكانوا مؤمنين أم ملحدين .. ولكنه لم يتجرد تجرد الفلاسفة ، ولم يلتزم بالدقة العلمية التزام العلماء ، ولم يتذوق تذوق النقاد والأدباء .. فأين موقعه بين هؤلاء ؟!

وإننى أتساءل : لماذا يتكتل أصحاب هذه الأقلام وهم معروفون بنزعتهم واتجاههم هذا التكتل ؟ ولماذا ينبرون هم دون غيرهم للدفاع عن هذا الدكتور وإظهاره بمظهر الشهيد العلمى الذى مزقته سيوف الإرهاب ؟

إن اللجنة العلمية مارست حقها الطبيعى ، وأبدت وجهة نظرها فى النتائج .. سواء أكان رأيها موافقاً لرأى لجنة كلية الآداب التى ينتمى إليها الباحث أم مخالفاً له .. ومن حق مجلس الجامعة أن يوازن ويطلع على جميع القرارات ويرجح ما يقتنع به .

فالإرهاب الحقيقى هنا هو الإرهاب الذى تحاول أن تمارسه هذه الأقلام باستعداء الرأى العام ، والنواح على الماضى أيام طه حسين وأحمد لطفى السيد ، وتشبيه نصر أبو زيد بجاليليو الذى أنكر عليه رجال الدين فى عصره قوله بدوران الأرض .

إننى أومن بحرية الرأى ، والتسامح الدينى ، وأنبذ التطرف ، والتزيد فى الدين .. ولكن هناك فرقاً بين حرية الرأى وبين التطاول على المعتقدات الدينية ، واستغلال المنصب الجامعى فى زعزعة عقائد الشباب دون الاعتماد على أدلة مقنعة ، أو اتباع منهج صحيح فى البحث العلمى .

إن إحدى الكاتبات انطلقت تدافع عن الباحث وتتهجم على اللجنة العلمية وتتهمها بالجور والتخلف .. هذه الكاتبة نفسها كتبت ذات يوم تنكر على شعب ألمانيا الشرقية وشعب رومانيا والشعوب السوفيتية ثورتها على الديكتاتورية والشيوعية ، ونهزأ بشعب ألمانيا الشرقية حينما حطم السور الذى أقامه الطغيان الشيوعى ، وتتنبأ بأن هؤلاء الفارين سوف يعودون يوماً ما إلى الندامة منادين بالرجوع إلى الشيوعية التى تمردوا عليها وخرجوا من سجونها .

هذه الكاتبة التى تقول هذا الهراء هى التى تنبرى للدفاع عن الدكتور نصر أبو زيد الذى يدرس القرآن على الطريقة اليسارية ويقول عن الإمام الشافعى والإمام الغزالى إنهما كان ينسجان فكراً دينياً لخدمة طبقة الحكام ، وتخدير الطبقات المقهورة .. وما أشبه هذا القول بقول لينين : « إن الدين أفيون الشعوب » .

كم من باحث قبل ذلك رفض نتاجه .. فلماذا لم تصدر من تلك الأقلام كلمة واحدة تدافع عنه .

أرأيت إلى « التطبيل والتزمير والترويج » ؟!

يستدل أحد الذين تناولوا هذه القضية على « ظلم » اللجنة بدليل من

أعجب الأدلة .. وهو أن قراء أبو زيد يتزايدون يوماً بعد آخر .. وعلى فرض صحة هذا الزعم - وهو غير صحيح - فهل على اللجان العلمية أن تضع فى اعتبارها كثرة عدد قراء الباحث وهى تنظر فى النتائج ؟

إن البحث العلمى له شروط تعلو به على المقالات ، أو الكتب العامة التى تنشر لجميع القراء .. والدكتور نصر أبو زيد يسخر فى كتابه بالمنهج الاكاديمى ويسميه « بالدعاوى الأكاديمية » فهل على اللجان الأكاديمية أن تتنازل عن منهجها من أجل سواد عيونه حتى لا تتهم بالإرهاب فى نظر هؤلاء اليساريين ؟!

أكرر أننى لا أتدخل فى هذا الموضوع إلا بصفتى قارئاً .. وأصحاب هذه الأقلام هم الذين خرجوا بالقضية إلى الرأى العام على صفحات الجرائد .. إننى قارىء وقع بعض نتاج الدكتور أبو زيد فى يده على سبيل الصدفة فرأيت فيه تطرفاً فى الناحية المقابلة لتطرف المتشددين فى الدين ، فكتبت رأيى فيما قرأته من هذا النتاج .

وقد سعدت حينما علمت من خلال قراءتى لمقالات أصحاب الأقلام أن هناك لجنة علمية رأت فى هذا النتاج تلك الخبايا السيئة التى كنت أحسب أن أحداً لا يراها معى ، وأسفت أشد الأسف حينما رأيت تلك الأقلام - التى لا تزال قابعة فى حمأة اليسارية مع أن الناس قد انفضوا عنها - ترمى اللجنة العلمية بالإرهاب .

* * *

أعرضوا عن هذا الرجل ...

بقلم / الأستاذ أحمد أبو زيد

جريدة الحقيقة - السبت ١٩٩٣/٥/٨

سمعت أن دار سعاد الصباح للتراث دعت يوم الخميس الماضى إلى عقد مناظرة بين الدكتور نصر أبو زيد الذى يطعن فى الدين والعقيدة ويرغب فى الترقية على حسابهما .. وبين جمال بدوى رئيس تحرير الوفد .. والحقيقة أننى أرفض كل الرفض مناظرة رجل مثل نصر أبو زيد .. لأنه ليس مفكراً مستقيم العقل حتى نناظره ونصحح فكره .. ولكنه مجرد طاعن فى الدين، ومشكك فى الغيب على غير أساس .. ففيم نناظره إذن .. هل نناظره فى أن الله موجود أو غير موجود .. أم نناظره فى أن الوحى حقيقة وليس خرافة .. أم نناظره فى أن السنّة واجبة وليست اجتهاداً بشرياً من الرسول ﷺ ؟!!

لقد وصل نصر أبو زيد إلى حد الكفر والإلحاد .. لأنه أنكر أموراً معلومة من الدين بالضرورة، وسب الرسول ﷺ والصحابة وأئمة الإسلام.

من يفعل ذلك لا يستحق أن يجلس إليه مسلم ويناظره .. فهو ملعون من الله سبحانه فى قوله تعالى: ﴿ **إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً** ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، وهو من الأذلين فقد قال تعالى: ﴿ **إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين** ﴾ [المجادلة: ٢٠].

فنصر أبو زيد لا يستحق المناظرة .. بل يستحق المحاكمة، والعقاب الرادع على جريمته فى حق الله عز وجل وفى حق رسوله ﷺ وفى حق دينه .. وبعد ذلك لا يجوز أن يبقى هذا الرجل فى الجامعة، ولا يستحق أن يدرس لطلابها حتى لا يصيبهم بإلحاده وزندقته، ولقد وضح لى أن نصر أبو زيد لم يكن يستهدف

الحصول على ترقية علمية بقدر ما كان يستهدف الشهرة ، وأن يرتفع صيته على حساب الإسلام حتى يأتيه المدد من الجهات المعادية للإسلام ، والتى تدفع لمثله بسخاء شديد كما حدث مع سلفه فرج فودة الذى اشتهر على حساب الإسلام .

فأعرضوا عن نصر أبو زيد وضيعوا عليه هذه الفرصة .

* * *

فى قضية نصر حامد ابو زيد :

الاعتماد على غلاة العلمانية رهان المفلسين

بقلم/ الأستاذ بكر بصفر

جريدة المسلمون - الجمعة ٣٠ إبريل ١٩٩٣

لست أدرى إلى متى سيطول انتظارنا ويمتد صبرنا حتى يتدارك العقلاء فى أرض الكنانة عربة الثقافة التى أخذت فلول اليسار والماركسية فى دفعها إلى التنكر لكل أصيل فى التاريخ والواقع المصرى، والإقبال والتعلق بكل فكر أو سلوك غريب شاذ .

لقد تفاقم التمكين لأولئك الشاذين فكراً وسلوكاً حتى غدا المشهد الثقافى أشبه ما يكون « بالكاريكاتير » مجتمع مسلم عربى أصيل تمثله منابر ثقافية غريبة عليه .

أنظر فى : مجلات وزارة الثقافة، والهيئة العامة للكتاب .. أنظر فى : « إبداع » و « فصول » و « أدب ونقد » و « القاهرة » وبقية الملاحق الأدبية فى الصحف القومية فلا أجد على رأس كل واحدة منها إلا أحد أولئك، فأتحسر وأسأل متألماً : أ إلى هؤلاء تنتهى تلك الشجرة الطيبة ؟ أهذه نهاية الثقافة والفكر فى مصر الحبيبة التى أهدت الأمة أفذاذ العلماء والمفكرين والأدباء ؟

أشكو إلى عقلاء أرض الكنانة ما بلغة المتسلطون على منابر الثقافة فى حربهم على الأصالة ورموزه، مما لا يستطيع أن يسكت عليه من ليس فى قلبه أكثر من مثقال حبة من إيمان .. فكيف بأصحاب الغيرة والحمية على بيضة الإسلام التى كاد منحرفو اليسار والعلمانية أن يستبيحوها على رؤوس

لم أقرأ خصومة أو هجوماً مقذعاً من تلك التى يشنها غلاة العلمانية على رمز من رموز الأصالة الإسلامية العربية فى مصر إلا وذكرت حديث الصادق المصدوق ﷺ : « **آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا خاصم فجر ، وإذا اؤتمن خان** » .

وهاكم صوراً من تلك الخصال :

قبل فترة كتب أحد المتأدبين واسمه « علاء صادق » قصة فجة ركيكة يحتج من خلالها على إقامة الحدود فى الإسلام وبيّن « لا إنسانيتها » كما أوحى له خياله وقلبه ، فرد عليه الشيخ محمد الغزالى دون أن يذكر اسمه .

فأقام الماركسيون والناصريون الدنيا ولم يقعدوها على الشيخ الغزالى الذى « دس أنفه فى النقد الأدبى فى محاولة - فى زعمهم - لوأد الحرية الفكرية والإبداع » . حتى بلغ بهم الأمر أن يخصصوا عدداً كاملاً من مجلة « أدب ونقد » « لسان حال الماركسيين المصريين » للرد على الشيخ ولرد الاعتبار لغلامهم .

ثم تابعنا منذ أمد قريب مشهداً آخر من مشاهد الخصومة التى دأب عليها غلاة العلمانية أخيراً .. وذلك عندما احتج الروائى المصرى ثروت أباظة على قصيدة كفرية نشرتها مجلة « إبداع » للشاعر عبد المنعم رمضان وتجرأ فيها على « ذات الله » كما لم يفعل مثله شاعر منحرف من قبل .. وما كاد احتجاج ثروت أباظة يظهر فى الصحافة حتى انبرى له كتاب المافيا الثقافية ذاتها وأخذوا ينادون بالويل والثبور ، فلطموا الخدود وشقوا الجيوب بكاء على « حرية الإبداع » التى انتهكت من قبل « الإرهابى » ثروت أباظة .

وما كادت قضية ثروت أباظة مع « إبداع » تهدأ حتى انطلقت أبواق العلمانيين واليساريين مرة أخرى لتنهش فى لحم الدكتور عبد الصبور شاهين هذه المرة .

فقد حدث وأن تقدم د. نصر حامد أبو زيد الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية فى كلية الآداب بجامعة القاهرة بطلب للترقية إلى أستاذ مشارك .

وقد وزع إنتاجه العلمى الذى أرفقه مع الطلب على أعضاء التقويم فى الجامعة كما هى العادة . . وبعد قراءة تلك الدراسات والكتب التى أصدرها د. أبو زيد رأت اللجنة المكونة من : د. عبد الصبور شاهين ود. محمود مكى ود. عونى عبد الرؤوف أن إنتاج الرجل لا يرقى إلى المستوى العلمى الذى يؤهله للحصول على درجة أستاذ وأن أكثره عبارة عن مقالات منشورة فى مجلات غير محكمة مثل : « إبداع » و « القاهرة » و « أدب ونقد » ودور نشر تملكها العلمانية والماركسية « الطابور الخامس فى عالمنا العربى الكسير » . . وأنها فى مجملها دعوة سافرة إلى إسقاط القداسة عن النص القرآنى والنص النبوى وإباحتهما للقراءة النقدية الحرة والتأويل والاجتهاد المطلق .

وعرض التقرير على مجلس الجامعة فأقره ووقّع عليه وأجازه اثنا عشر عضواً من أعضاء المجلس الثلاثة عشر ، فرفض بذلك طلب الترقية وانتهى الأمر فى الجامعة عند هذا الحد .

إلا أن أنصار الرجل فى مافيا الثقافة لم ترضهم قرارات الجامعة ، فما كان منهم إلا أن عادوا إلى العزف الصاخب مرة أخرى على صفحات مجلاتهم وصحفهم .

فوزعت الأدوار على عجل فاستنفر كتاب روز اليوسف قاطبة بمن فيهم رسامو الكاريكتير للنيل من رئيس اللجنة وكاتب التقرير الدكتور عبد الصبور شاهين . . طبعاً بالإسلوب الزاعق الذى عرفت به روز اليوسف فى معاركها الفكرية والسياسية .

وأخذ أقطاب اليسار على عاتقهم الهجوم على الرجل فى جميع الصحف والمجلات القومية . . بل حتى العربية ، فتكالب عليه غالى شكرى ، ولطفى الخولى ، وأحمد عبد المعطى حجازى ، وفاروق عبد القادر ، وجمال الغيطانى ، ومحمود الوردانى ، وعبلة الروينى وغيرهم ، فى دفاع مستميت عن حرية داعية لإسقاط القداسة عن النص القرآنى والنص النبوى « د. نصر حامد أبو زيد » ،

وفى هجوم مقذع على مجلس جامعة القاهرة فى شخص أحد أعضائها وهو الدكتور عبد الصبور شاهين .

كانت هذه هى آخر الأسطوانات التى أصدرتها « جوقة الخصومة » بحق مؤسسة أكاديمية عريقة وأستاذ من أساتذتها .. لا لشىء إلا لأنها مست أحد رجالها .

وإن كان لى من تعليق على هذه الحادثة خاصة وعلى ظاهرة عامة فهى عدة وقفات أشير إليها على عجل آملاً من ورائها إلى أن ينظر فيها عقلاء مصر - وهم كثيرون - والحمد لله ، فيفتح الله عليهم ويردوا الأمور إلى نصابها ويعودوا بمصر إلى أصالتها وموقعها فى مقدمة قافلة الثقافة الإسلامية العربية .

أولاً : إن قرار منع الترقية أو رفضها فى قضية د. نصر أبو زيد شأن أكاديمى خالص تفصل فيه الجامعة المعنية بأنظمتها ومجالسها ، فما علاقة الصحافة بجانبها الإدارى التنظيمى ؟ .

ثم إننا نعلم يقيناً أن مجلس الجامعة قد رفض عشرات من طلبات الترقية التى قدمت إليه من قبل .. فلماذا لم تثر ثائرة غلاة العلمانية وتتعال أصواتهم بالبكاء على حرية الفكر والاجتهاد إلا مع د. نصر أبو زيد بالذات ؟

ثانياً : يلاحظ المتابعون لحملات البكاء والعويل على انتهاك حرية الفكر والإبداع أنها فى الأصل دفاع عن نصوص تتضمن إشارات أو عبارات كفرية أو فيها سخرية أو تعريض بمعتقدات الأمة ومقدساتها .. فإن كان هؤلاء المدافعون متعاطفين مع مضامين تلك النصوص ، فلماذا هذا التخفى وراء حرية الإبداع ؟ ولماذا النفاق والتستر بالفكر أو المعتقدات التى يحملونها ؟

لماذا لا يعلنون عن أنفسهم وعن معتقداتهم ومذاهبهم الفكرية والسياسية بدلاً من النفاق والتلبيس على الناس ؟

ثالثاً : ماذا لو اطلع القارىء العربى على حقيقة هؤلاء المتسترين وراء التقدمية ، والتنوير ، وحرية الفكر والإبداع من المتسيدين على منابر الثقافة

الذين أخذوا على عاتقهم مهاجمة كل فكرة أو دعوة أصيلة ، وتولوا الدفاع عن كل ضلال وانحراف .

ماذا لو تكشف للقارىء العربى المخفى من حال هؤلاء ؟ والله سيتفرج فزعاً على أصناف من الشاذين فكرياً والمنحرفين عقدياً إلى الحد الذى لا يتصوره عاقل أبداً .. ولكن لا بأس فهذا قدر الله علينا الذى سيظل قائماً إلى أن نغير ما بأنفسنا .

رابعاً : نشتكى جميعاً من ظهور أشكال محدودة من الغلو والعنف بين بعض المنتسبين إلى الصحوة .. وهذا حق ، وهو غلو - على محدودية انتشاره - مرفوض .. والعنف الذى تولد عنه - مهما كانت أسبابه - مرفوض ومدان شرعاً .. ولكننا نشكو فى ذات الوقت من الأسباب التى أدت إلى هذا الغلو .. أوليس فى تكميم أفواه العلماء والمفكرين العقلاء ، وإزاحتهم عن منابر الكلمة ، ومواقع التأثير ، وتعطيل فعالية المؤسسات العلمية الإسلامية ، وتفريغها من محتواها .. وإفساح المجال فى المقابل لغلو اليساريين والعلمانيين ، وتلميعهم ، وإطلاق ألسنتهم وأقلامهم للنيل من أصالتنا وقيمنا ، والسخرية من مقدساتنا ورموزنا .. أليس فى ذلك كله غلو فى دعم العلمانية ، وكسر شوكة الأصالة ؟ وسبب مباشر للعنف الذى نشاهده يومياً ، ونتألم منه ، ومن العنف المضاد الأكثر إيلاماً ؟

خامساً : إن هذه الحملات المتتابعة على الإسلاميين خاصة ، وعلى كل مدافع عن أصول العقيدة و « ألف باء » الإسلام عامة قد تجاوزت الحد حتى غدت هجوماً على الإسلام ذاته .. فسهام القوم لم تعد موجهة إلى رموز الصحوة الحركية فحسب .. بل تعدتها إلى كل من دعا إلى الكلمة الأصيلة أيا كان موقعه حتى غدا الروائى المصرى ثروت أباظة مثلاً « أصولياً إرهابياً » عند هؤلاء .

وما دامت تهمة الإرهاب قد وصلت إلى ثروت أباظة بالذات ، فقد وصلتنا الرسالة واضحة جداً .. وهى أن المقصود بالهجوم والسخرية والتجريح والمصادرة هو الإسلام ذاته وليس أى أحد أو أى شىء آخر .

والمصادرة هو الإسلام ذاته وليس أى أحد أو أى شىء آخر .

سادساً : إن الاعتقاد بأن مواجهة الانبعاث الإسلامى وكبح جماح الصحوة الإسلامية المباركة ممكن من خلال تسييد فلول اليسار والعلمانية اعتقاد واهم .. وإن الرهان على أولئك والاعتماد عليهم فى صد المجتمع عن سماع وقبول رسالة الصحوة رهان المفلسين .. نعم رهان المفلسين .. فلا يراهن على أمثالهم إلا خاسر .

* * *

إلى غالى شكرى

بقلم / الأستاذ محمود النابى*

جريدة الشعب الجمعة ١٦/٤/١٩٩٣

الأستاذ د. غالى شكرى

تحية طيبة وبعد ،،،

طالعت مقالكم بجريدة الأهرام الصادرة يوم الأربعاء ١٩٩٣/٣/٣١ ، بخصوص ما أسميتموه بـ « قضية نصر أبو زيد » ، فأنا - وإن كنت طالب علم صغير بجامعة القاهرة - إلا أننى يهمنى أن أطمئن على مستقبل البحث العلمى بالجامعة وعلى تحرره من أسر الجمود والتخلف من اتهامات لإدارة الجامعة وأساتذتها .. إن فى نفسى شجوناً كثيرة منها :

١- اتهام سيادتكم عموم أساتذة الجامعة ومدرسيها بأنهم « يحشون » أدمغة الطلاب بما لا حاجة للمنهج به ، وأن جل اهتمامهم هو « بيع » المذكرات والكتب ، وأن د. نصر أبو زيد هو واحد من القلة التى خرجت على ذلك الجمع .. وأنا أتساءل : هل لدى سيادتكم إحصائية واقعية تبرهن بها على صحة ذلك الزعم ؟

٢- اتهام سيادتكم الصريح للجنة الترقى - التى تضم نخبة من كبار الأساتذة المتخصصين - بأنها تجاهلت الدقة والموضوعية والأخذ بالأسباب العلمية فى تقريرها ، بل وأكثر من ذلك قيام سيادتكم بانتقاد التقرير - حتى دون أن تعرضه فى الجريدة - بل وأكثر من ذلك اتهام اللجنة بالتحامل على د. نصر أبو زيد وممارسة الإرهاب وقمع حرية الفكر .

(*) مدرس مساعد بقسم الرياضيات - كلية العلوم جامعة القاهرة

وأتساءل : إذا كان التقرير يمثل رأى اللجنة العلمى فى الأبحاث والأعمال المقدمة من الدكتور فأين هو الإرهاب هنا ؟!!

وما هو تعريفه فى مثل تلك الأحوال ؟!!

ثم ماذا تعد قيام أكبر الجرائد « الرسمية » بإفراد مساحات فى صفحاتها لانتقاد تقرير علمى وهى مسألة دقيقة لا يسبر أغوارها إلا المتخصصون ؟

٣- ربط سيادتكم بين تقرير اللجنة وبين محاكم التفتيش هو الإرهاب بعينه .. لأنك تطالبنا أن نجعل هذا الربط قاعدة مسلماً بها ، مما يعنى الإدانة دون نقاش " .

واسمح لى بالتساؤل : هل جاليليو حوكم حينما تحدث فى قضية علمية يمكن إثباتها بالتجربة والمشاهدة ، ود. نصر أبو زيد يعمل بأمور الفكر والعقيدة .. فهل ليس له « سلطة » ولا « ظهر » يحميه ؟ ولذلك خرجت الأهرام والأخبار فى نفس اليوم ١٩٩٣/١٢/٣١ بمقالين يهاجمان بمنتهى العنف لجنة الترقى ويظاهران د. نصر أبو زيد ، بينما لم نسمع لأحد من أعضاء اللجنة صوتاً أو قولاً .. وهذا يثير التساؤل حول من يملك « السلطة » و « الظهر » .

كنت كطالب من طلاب الجامعة أتمنى ألا تتحول القضية إلى قضية إعلامية ، وأن تظل قضية علمية تحل داخل الجامعة .. أما وقد خرجت خارج الجامعة ، وتناولتموها بأقلامكم فنرجو ترك المساحات المناسبة لجميع الأطراف تعرض رأيها ، وفى النهاية يكون من حق القارىء أن يُكَوِّن رأيه كما يشاء .. ولكن يظل القرار قرار جامعة القاهرة .

* * *

حاكموا هذا الرجل ..

بقلم / الأستاذ أحمد أبو زيد

الحقيقة - ١٩٩٣/٤/١٧

يعجب المرء أشد العجب من هؤلاء العلمانيين والشيوعيين الذين لايستحيون من أنفسهم قبل أن يستحيوا من الله سبحانه .. فقد فشلت الماركسية فى بلادها فشلاً ذريعاً ، وسقطت سقوطاً مدوياً ، وتبرأ أهلها منها ، ورغم ذلك مازالوا يتمسكون بها ويسعون لإحياء مجدها .

وأبسط دليل على ذلك هذه الضجة الإعلامية التى صنعوها لرفيقهم هذا الكائن بآداب القاهرة .. رفض مجلس الجامعة ترقيته إلى درجة « أستاذ » لانحراف فكره وعقيدته وطعنه فى الإسلام ..

كان يجب أن يستحيوا من أنفسهم ، ويتوبوا إلى ربهم ، ويدعوا صاحبهم هذا إلى تصحيح فكره وعقيدته .. ولكن قلوبهم مازالت عمياء .. نعم .. ﴿ .. **فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور** ﴾ [الحج : ٤٧] .

فهاجوا وماجوا وصنعوا منه بطلاً وأستاذاً عظيماً ، وكالوا الاتهامات لمجلس جامعة القاهرة ، وأعضاء اللجنة العلمية ، وجعلوه إرهاباً دينياً وتطرفاً من الجامعة تجاه رفيقهم .

والحق أن مجلس الجامعة رفق به حيث اكتفى برفض ترقيته لأنه فى الحقيقة يستحق المحاكمة أمام النائب العام بتهمة إهانة الدين وسبه والطعن فيه .. وهى تهمة يحاكم عليها القانون الوضعى إذا صدرت من شخص لآخر ، فكيف إذا كان المطعون فيه والمهان هو الدين بما له من قدسية عند الناس وعند رب الناس ..

رجل يطعن فى الإسلام ويدعو إلى التحرر من نصوص القرآن والسنة ، ويصف الغيب بأنه خرافة وأسطورة ، ويدافع عن الماركسية ويشيد بسلمان رشدى ، ويشوه تاريخ القرآن ، ويتهمه بالتغيير والتبديل فيه ، ويصف الاقتصاد الإسلامى بأنه نظام استغلالى قاهر يدافع عن الملكية الخاصة .. فما ننتظر وينتظر الشيوعيون من الجامعة أن تفعل معه وهى جامعة إسلامية فى بلد مسلم وليست فى أمريكا أو فرنسا ؟ هل ينتظرون أن تبارك الجامعة خطاه وترقيه لينشر سمومه وأباطيله بين طلابها ؟

إن هذا الرجل لايستحق فقط الفصل والطرد نهائياً من الجامعة كما حدث فى جامعة الأزهر مع دكتور التاريخ الإسلامى الذى أنكر السنة .. إن أبسط حق للدين علينا أن يحاكم الرجل حتى لايصبح الدين مرتعاً للطعن والسب والإهانة والإنكار والتسفيه من كل صاحب فكر منحرف ، وعقل زائغ يرغب فى الشهرة على حساب ديننا وعقيدتنا .

* * *

عندما يأتى القهر .. باسم الحرية !!

•• هناك فرق بين حرية البحث .. والقبول به

•• أبو زيد يدافع عن الملاحدة .. لماذا ؟

بقلم / الأستاذ أحمد حسين الطماوى

جريدة الأخبار - الجمعة ٢٣/٤/١٩٩٣

شدت الصحافة القومية والحزبية انتباه الناس إلى العراك الداوى حول نتاج علمى تقدم به د. نصر حامد أبو زيد للترقية ، وتباين الحكم عليه فلم تتم ترقيته لأسباب منها انحراف آرائه ، وخفة وزن نتاجه العلمى ، وتقليله من قدر النص الدينى على حد ماورد فى أحد التقارير .

والذى لفت النظر أكثر تلك الحملة التى قادها بعض الكتاب انتصاراً للدكتور نصر حامد ، وأهم ماتضمنته هذه الحملة الصاخبة البكاء على حرية الفكر ، وحرية الرأى .. أو بعبارة أحدهم : « اغتيال حرية البحث العلمى والحوار العقلانى » ، و « مصادرة حرية البحث والفكر والاجتهاد » ، وغيرها من الكلمات التى تستثير عاطفة الغيرة على العلم ، والتى تصور د. نصر وكأنه أحد شهداء الفكر فى العصور الوسطى غالته أيدى الجهال والمتعصبين .

بيد أن بعض الكلمات الصحفية المدافعة عن الدكتور نصر لم تناقش التقرير المناهض للترقية نقطة نقطة ، وعلى وجه الخصوص .. مايتصل منه بالدين .. فما قرأناه فى الصحف ليس إلا تهكماً على د. عبد الصبور شاهين من مثل : « كما لو كان سيدنا فى كتّاب القرية » ، و « اللدد المغضوب الغريب » ،

ومثل هذا الكلام ليس فيه علم أو تمحيص ، وإنما فيه قهر لحمل النفس على ما لا تقبل .

وعرض القضية بهذا الشكل من قبل أشياع نصر أبى زيد يخفى الغرض الأصلى من الحملة ، وهو وجوب قبول الآراء والنتائج التى توصل إليها طالب الترقية ، فتداخلت حرية الرأى مع قبوله .

وهناك فارق كبير بين : حرية البحث ونشره .. وبين القبول به وإقراره .

فالدكتور نصر لم يقف أحد فى طريق نشر آرائه ، أو الحجر على أفكاره وكتبه مثل : « مفهوم النص - دراسة فى علوم القرآن » ، و « الخطاب الدينى - رؤية نقدية » ، و « الإمام الشافعى » وغيرها مطبوعة ، ومقالاته مثل : « مفهوم النص فى العلوم الدينية » ، و « المرأة - البعد المفقود فى الخطاب الدينى » ، و « ثقافة التنمية » .. وغيرها منشورة فى دوريات مختلفة ، وبعض نتاجه صادر عن الهيئة العامة للكتاب ، ومنشور فى مجلاتها مثل : « القاهرة » ، و « إبداع » ، وهذا يبين أن د. نصر وجد المنابر التى يخاطب الناس من فوقها ، والمنافذ التى ينشر فيها .. فكيف يتباكى أنصاره على حرية البحث والفكر ؟

لقد بحث الرجل بحرية ، وكتب ما عنّ له ونشره ، وليس له أكثر من هذا .

أما قبول آرائه أو رفضها فهو من حق الناس .. وليس هناك مايوجب عليهم التصديق عليها ، والالتزام بها ، وصحة الاعتقاد فيها .. فكما هو حر فى قول مايريد فالناس أحرار فى الإقبال أو الإعراض عما يلقى إليهم .. ومن هذا المنطلق رفضت الترقية لأسباب موضحة .

ومن بين الآراء التى بثها د. نصر فى دراسة له عنوانها : « إهدار السياق فى تأويلات الخطاب الدينى » ، نشرتها مجلة القاهرة عدد يناير ١٩٩٣ ، وهى من الدراسات التى نظرت فيها لجنة الترقية :

أن القرآن « نص لغوى شأن غيره من النصوص اللغوية » .

والقرآن الكريم نص لغوى توقيفى ، وشأنه ليس شأن سائر النصوص اللغوية .. لأن إقبال النفس على نص إلهى تعتقد فى قداسته ، وتسكن عنده يختلف عن توجه الذهن إلى نص إنسانى لايتنزه عن الخطأ .

وفكرة أن القرآن نص لغوى مثل غيره من النصوص تستمر مع الباحث فى دراساته ، فنراه يجرد القرآن من قداسته ، وهو القائل : إن الكلام الإلهى المقدس لايعنينا إلا منذ اللحظة التى « وضع فيها بشرياً » .

ويعزز هذا الاتجاه بقوله : « إن النص القرآنى يتشابه فى تركيبيته مع النص الشعرى كما هو واضح فى المعلقات الجاهلية مثلاً » .

والفارق بين القرآن والمعلقة من وجهة نظره إنما يكون : « فى المدى الزمنى الذى استغرقه تَكَوُّن النص » .

ولاأدرى كيف يتشابه القرآن مع الشعر .. فلكل منهما خصائصه وتركيبته .

وقد قسم أحد الكتاب التراث العربى إلى شعر ونثر وقرآن .. فالقرآن ليس شعراً ولا نثراً ، وكيف يترفع القرآن عن الشعر ﴿ **وما علمناه الشعر وما ينبغى له ..** ﴾ [يس : ٦٩] ، ثم يتشابه معه فى التركيب ؟

ويمضى فى هذا السياق .

وينتقد الشريعة الإسلامية انتقاداً مباشراً لأنها لا تقبل الملاحدة تحت حمايتها ، ولا تمنحهم أى درجة من درجات المواطنة .. إنه السيف .. أو الإسلام .

وإذا كانت الشريعة الإسلامية تحمى الملحدين القائلين بالتعطيل .. إذن فلماذا كانت الرسالة الإسلامية ؟

إنه يود أن يدخل الشيء فى ضده .. ثم ألم يجد الدكتور نصر غير الملاحدة يدافع عنهم ، ويمكن لهم ، ويعمل على إعلاء صوتهم ؟ !

على أن الدفاع عن الإلحاد له شأن كبير فى كتابات الدكتور .. فعندما قال فرنسوا ابورجا ، فى كتابه « الإسلام السياسى » الذى قدم له الدكتور نصر : إن الإسلام يدعو إلى التعددية .. أى يقبل بين المسلمين طوائف أخرى .. فإن نصر حامد يتساءل : وماذا عن الملاحدة فى مثل هذه التعددية ؟

وقد وقف الأستاذ فهمى هويدى عند هذا القول فى مقال له بالأهرام .

والحاصل أن د. نصر مهتم بشأن الملحدين ويأخذ على عاتقه إفساح المجال لهم لأنهم ربما من وجهة نظره هداة الإنسانية .

وكتابات الدكتور نصر تكشف عن رفضه للدين الإسلامى ، وعدم تقبله له حتى ولو قدم الحلول السديدة للمشكلات المزمنة .

يقول : « إن حل مشكلات الواقع إذا ظل يعتمد على مرجعية النصوص الإسلامية يؤدى إلى تعقيد المشكلات حتى مع التسليم بأن الخطاب يقدم حلولاً ناجعة » .

فسواء وفق الإسلام فى تيسير الأمور أو لم يوفق فهو لا يروق فى عين الدكتور .. بل يرى أن الخطاب الدينى « يحاول إيهامنا » !!

ويتهم الإسلام بأنه يهدر حقوق غير المسلمين يقول : « اعتماد حل المشكلات على مرجعية النصوص الإسلامية من شأنه أن يؤدى إلى إهدار حق المواطنة بالنسبة لغير المسلمين » .

والرد على هذا الكلام يطول .. ولكن أقل ما يقال : إن المسلمين لم يقتلوا النصارى أو يحرقوا اليهود .. وإنما كان منهم الوزراء ورؤساء الوزارات .. فقد كان هذا شأنهم فى مصر الفاطمية وفى مصر الحديثة (موسى قطاوى باشا وزير يهودى فى مصر .. ونوبار رئيس وزراء مسيحى) وليست هناك حقوق مواطنة أكثر من هذا .

وانظر يا دكتور إلى المسلمين وما لاقوه فى أسبانيا .. وإسرائيل .. والفلبين .. وبورما .. والهند .. وبلغاريا .. والبوسنة ..

وقل لنا أين حقوق مواطنة المسلمين فى هذه الدول ؟

ويقول الدكتور أبو زيد : « إن الخطاب الدينى المنبهر ظاهرياً بالعلم يحمل للعلم عداء باطنياً » .

إن الخطاب الدينى الإسلامى دعا إلى العلم ، ولم يتكاسل المسلمون عن البحث العلمى من أمثال الخوارزمى .. والبيرونى .. وابن قرة .. والفارابى .. والكندى .. وابن سينا .. وابن زهرون .. وابن النفيس .

ولهم آثار فى الرياضيات .. والفلك .. والجغرافيا .. والموسيقى .. والطب .. وكانوا علماء أزمانهم .

وإذا كانوا قد تخلفوا فى العصور الأخيرة فهذا مرده إلى الحملات الصليبية والاستعمارية والصهيونية المتوالية .

كما أن الإسلام لم يعطل العقل .. بل دفع إلى البحث والاجتهاد .. وحتى لا أطيل أحيل الدكتور إلى كتاب أستاذنا الأكبر عباس محمود العقاد « التفكير فريضة إسلامية » .

وهناك كلمات كثيرة وآراء عديدة ظاهرها العلم وباطنها الطعن فى صميم الدين أمسكنا عنها لضيق المكان .. وكل ما أوردناه جاء فى مقالة واحدة فكم تكون الآراء الأخرى المماثلة فى الدراسات الأخرى ؟

وبالرغم من كل ذلك فقد أتيح للدكتور أن يبحث بحرية ويقول رأيه فى صراحة .. والذين قادوا حملة القهر باسم الحرية لصالح د. أبو زيد ليس من حقهم أن يحملوا الناس على غير ما يعتقدون .

* * *

فى ندوة جمعية الخلفاء الراشدين :

- ● ● ابو زيد كفر وخرج عن الملة بعد ان استهزا بالله ورسوله ﷺ
- ● ● يفترى على الإسلام ويدرس الكفر لابناء المسلمين
- ● ● على إدارة الجامعة ان توقفه عن التدريس قبل ان توقف ترقيته

تابع الندوة / عادل السيد
جريدة الحقيقة - السبت ١ مايو ١٩٩٣ م

أقامت جمعية الخلفاء الراشدين بالجيزة ندوة الأسبوع الماضى تحت عنوان « مطاعن د. نصر أبو زيد فى القرآن والسنة » حضرها الدكتور إسماعيل عبد المتعال الأستاذ المساعد للفقه المقارن بدار العلوم .. والمستشار محمد حميدة عبد الصمد نائب رئيس مجلس الدولة السابق .

طالبت الندوة جامعة القاهرة بوقف الدكتور نصر أبو زيد عن التدريس للطلاب نظراً لأفكاره المعادية للتعاليم الإسلامية من خلال المناهج التى يقررها على طلاب الفرقتين الثانية والثالثة بكلية الآداب تحت عنوان « مفهوم النص دراسة فى علوم القرآن » وكتاب « الإمام الشافعى تأسيس الأيديولوجية الوسطية » .

وأكد الدكتور إسماعيل عبد المتعال أن ما تحتويه الكتب المقررة على الطلاب أخطر بكثير من البحث الذى تقدم به أبو زيد للحصول على الترقية .

وقد أعلن الدكتور إسماعيل تقريراً وافياً فيه افتراءات مزاعم الدكتور أبو زيد فى القرآن والسنة والصحابة وأئمة المسلمين .

الطعن في القرآن الكريم

ويبدأ التقرير باستعراض الطعون التى طعن بها المؤلف « د. نصر أبو زيد » وهى : أن القرآن فى نظره منتج ثقافى ومستمد من البيئة فيقول « هى نصوص لغوية تشكلت خلال فترة زادت على العشرين عاماً » بغض النظر عن أى وجود سابق للقرآن أو السنة فى العلم الإلهى أو اللوح المحفوظ .

وهو هنا يقلد ما قاله الأقدمون فى القرآن بأنه أساطير الأولين .

ثم نجده يدعو إلى التمرد على الله عز وجل وعلى رسوله ﷺ وعصيان أمره ، والتحرر من سلطان القرآن .. فماذا يكون الكفر إذن إن لم يكن فى التمرد على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ؟

والدكتور نصر أبو زيد لا يكتفى بهذه الطعون فى القرآن الكريم بل يدّعى عدم صلاحيته لحل المشكلات الحاضرة أو المستقبلية ، ويزعم أنه لا يجتمع هو والعقل أبداً .. فإذا وجد العقل ألغى النص وإذا وجد النص .. ألغى العقل .

فأى كفر بالقرآن الذى دعا فى أول آياته إلى التفكير فى الكون والنظر فيه أعظم من هذا الكفر الذى يدرس لأبنائنا وبناتنا ؟

لقد وضع نصر أبو زيد القرآن والخرافة فى كفة واحدة ونجده ينفى وسطية القرآن فى عقيدته وعبادته وتشريعه وأخلاقه ونظامه ، ويزعم فى كتابه عن الإمام الشافعى أن القرآن ليس معجزة ، بل هو أسطورة غيبية ومنتج ثقافى يخضع للمنهج التحليلى اللغوى فما يرفضه المنهج لا يقع فى دائرة النصوص .

الطعن في السنة

وينتقل الدكتور إسماعيل عبد المتعال فى تقريره لاستعراض طعون د. نصر أبو زيد فى السنة المطهرة حيث يدعى أن السنة اجتهاد بشرى من الرسول ﷺ ، وأن الالتزام بالسنة والعمل بها يعد إهداراً لبشرية الرسول ﷺ ورفعه إلى

درجة الألوهية .. وهو يعيب على الشافعى أنه سوى بين إلزام القرآن والسنة .. وهذا جهل فاضح من المؤلف .. لأن الله عز وجل هو الذى ألزمنا بذلك فى آيات كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله ...** ﴾ [النساء : ٨٠] ، وقوله : ﴿ **وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون** ﴾ [آل عمران : ١٣٢] وقوله تعالى : ﴿ **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ..** ﴾ [آل عمران : ٣١] ، فهل بلغ د . نصر أبو زيد هذه النصوص وسمع بها ؟!

ونجده بعد ذلك يشكك فى الأحاديث المتواترة التى نقلها جمع من الرواة .. ونحن نتحداه أن يأتى لنا بحديث متواتر واحد ثبت كذبه أو ثبت اصطناعه على حد قوله .

ويستعرض الدكتور عبد المتعال فى تقريره طعن نصر أبو زيد فى الصحابة وتدنيسهم حيث يتهمهم بتأليه محمد ﷺ وهذا أخطر المطاعن التى وجهت للصحابة من عربى مسلم يدرس علوم القرآن فى قسم اللغة العربية .

ويتهمهم أيضاً بأنهم ليسوا أطهاراً ولا أخياراً ، ويتهمهم بالعصبية القرشية للسيادة والهيمنة على حساب القرآن الكريم .. فالسنة لم تؤسس كوحى تشريعى فى نظر المؤلف إلا للسيطرة العربية القرشية وإضفاء صفات إلهية على محمد ﷺ بعد نزع صفات البشرية .

ولم يأل نصر أبو زيد جهداً فى أن يطعن فى أئمة المسلمين كأبى حنيفة والشافعى وغيرهما .. ومن يطعن فى القرآن والسنة والصحابة لا ينتظر منه أن يثنى على أئمة الفقه والتفسير والحديث .. وهو يتهم أبا حنيفة كذباً بأنه لا يعتبر إجماع الأتباع ، ويطعن فى الإمام الشافعى فى كثير من المواضع ، ويكذب عليه ، ويحط من قدره .

وينتهى الدكتور إسماعيل عبد المتعال إلى أن هذه الطعون السابقة فى القرآن والسنة والصحابة وأئمة المسلمين هى إنكار - لا نقول لأمر معلوم من الدين بالضرورة - بل لأمور أنكرها الكاتب صراحة .. بل دعا إلى التمرد على الله عز وجل وعلى رسوله ﷺ وعدم امتثال أمرهما .

ومن كان كذلك فإنه كافر كفراً يخرج عن الملة .. والله عز وجل كَفَّر من استهزأ به وبآياته ورسوله ولم يقبل اعتذاره فقال سبحانه :﴿.. **قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ...**﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦] ، فكيف بمن طعن فى القرآن والسنة والصحابة وأئمة المسلمين ؟ كيف بمن يدرس الكفر لأبناء المسلمين ويأخذ على تدريسه راتبه من أموالهم وممتلكاتهم ؟

* * *

ماوراءك .. يالطفى ؟!! ...

بقلم / الأستاذ حسن دوح *

الأهرام ١٦/٦/١٩٩٣

السيد لطفى الخولى ..

اسمح لى أن أصارحك القول ، وأفضى لك ما بنفسى .. مع رجائى أن يتسع صدرك ، وتتسع صفحتك لما سأكتبه ..

إن الموضوع الذى تطرحه على الرأى العام لمناقشته أصابنى بفزع شديد ، لالذات الموضوع .. ولكن لأن الداعى إليه هو لطفى الخولى المعروف بانتمائه للحركة الشيوعية ، والذى رصد حياته لخدمتها .. فذهبت بى الظنون مذاهب كثيرة على رأسها أن حملة شيوعية تستعد للهجوم على الإسلام ، وأنها تثير قضية ما لاستطلاع الطريق ، وقد وجدتها فى البحث العلمى المثار .. ثم ذهبت بى الظنون إلى توهم أن الشيوعية بعد أن دفنها أهلها فى روسيا ، بدأت تفكر فى بلد آخر ، فوقع اختيارها على مصر لتخلف الاتحاد السوفيتى المنحل ..

هذا ماأحسست به ، وماأحس به الكثير من أهل الفكر ، لأن الموضوع المثار يمس أعز مايملكه الشعب المصرى وهو دينه ، واللافت للنظر أن هذا الموضوع يثار فى الوقت الذى تشحذ فيه المدى لذبح الإسلام بعد أن تم القضاء على الشيوعية ووأدها فى بيتها ، واللافت للنظر أيضاً أن إثارة هذه القضية ضد كل الجماعات الإسلامية باعتبارها جماعات إرهابية ..

(*) كاتب هذا المقال كاتب وصحفى له العديد من المؤلفات الإسلامية .

وأصدقك القول باأستاذ لطفى أن أذنيَّ بدأتا تسترجعان الصيحات المنكرة، والتى كنا نسمعها فى عهد عبد الناصر:

«قتّل قتّل باجمال .. لارجعية لاإسلام» وقتل قتل ياجمال لارجعية ولاإخوان».

ولم يتوان عبد الناصر فى الاستجابة، فأسرف فى القتل .. فهل تصدقنى ظنونى؟ هذا ما لاأرجوه" وما لاأتمناه.

قد تقول لى ياأستاذ لطفى إنك تتهرب من الحوار .. لأن هذا هو شأن الجماعات الإسلامية والمنتمين إليها"

وأصدقك القول إننى سأكون من الآثمين إذا رفضت الحوار الحر المتجرد، والذى يسعى للوصول للحقيقة .. لأننى أضع هذه الآية أمامى: ﴿.. **وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**﴾ [النحل: ١٢٥]، فكيف أمتنع عن هذا الجدال والحوار؟ .. ولكنى أتوقف كثيراً إذا لاح لى أن المقصود بالحوار هو إزاغة الناس، وتشكيكهم فى دينهم، فأسترجع هذه الآيات: ﴿**ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولاهدى ولاكتاب منير**﴾ [الحج: ٨]، ﴿ **يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون**﴾ [الأنفال: ٦] ..

وقد تعجب يا أستاذ لطفى إن قلت لك إننا نقرأ فى صلواتنا سطوراً من الحوار، ذكرها القرآن الكريم، أذكر على سبيل المثال: سؤال سيدنا إبراهيم ربه ﴿.. **أرنى كيف تحيي الموتى**﴾ .. لم يغضب الله من سؤاله، ولكنه أعطاه درساً فى كيفية إحياء الموتى، فاطمأن قلب إبراهيم، ووجه الله هذا السؤال لسيدنا عيسى عليه السلام: ﴿ .. **أأنت قلت للناس اتخذونى وأمّى إلهين من دون الله** ...﴾ [المائدة: ١١٦]، فأجاب المسيح: ﴿**ماقلت لهم إلا ماأمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم** ..﴾ [المائدة: ١١٧]، ويذكر القرآن

الكريم أن الله صحح موقفاً لسيدنا محمد ﷺ من قضية الأسرى ، ورجح رأى أحد الصحابة : ﴿ **ماكان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض ..** ﴾ [الأنفال: ٦٧] ، ونقل لنا القرآن الكريم تحدى الشيطان لرب العالمين : ﴿ **قال مامنعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ..** ﴾ [الأعراف: ١٢] ، ومع هذا تركه الله وشأنه ..

هذه صور من الحوار ذكرها القرآن ونحن نقرأها فى صلاتنا .. فالحوار مطلوب ، والامتناع عنه مرفوض .. ولكن مع من ؟! ولأجل ماذا ..يكون الحوار ..؟

بقى أن أقول للأستاذ لطفى .. هل ضاقت أمامكم السبل فلم تجدوا ماتطرحوه على الرأى العام إلا هذه الفتنة .. ؟! إن كثيراً من القضايا تستحق .. بل تلح علينا لمناقشتها ، وأضرب بعض الأمثال : بعد أن انتحرت الشيوعية ، هل يوجد بديل لها ، أم أن الشيوعية هى الأمل الوحيد .. ؟!

هل تقبل الشيوعية وجود الأديان أم أنها « الدين الأزلى » ؟!

وهل لايزال الأمل باقياً فى تشييع مصر ؟!

وهل تستطيع الشيوعية التعايش مع الديموقراطية .. أم أنها لاتزال تصر على « ديكتاتورية الطبقة العاملة » ؟

إذا كان ولابد من المفاضلة بين الاثنين : الإسلام أو الشيوعية ، فأيهما تعتنق ؟! ماموقف بقايا الشيوعيين من المأساة الفلسطينية ، والفجيعة البوسنوية ؟ كيف نمكن جورباتشوف وحده من سحق ماركس ولينين وكل الشيوعيين ؟! من للجياع ؟ ومن للمرضى بعد أن ضاع الأمل فى الرأسمالية والشيوعية ؟!

أخى الأستاذ لطفى ، أنصح لك أن تجلس ساعة مع نفسك ، وتطرح هذا السؤال البسيط : لم لا أستمسك بكتاب يضمن لى السعادة فى الدنيا ، ويؤمن مستقبلى فى الآخرة .. ثم أدعو فى تبتل .. « **يا من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ...** » .

* * *

الأيديولوجيات : هل تعد فكراً علمياً ؟

بقلم / الدكتور أحمد محمود صبحى

الأهرام ١٩٩٣/٦/٢٣

كنت أود ألا يخوض « كتّاب الصحف » فى مسألة علمية متعلقة بأعمال لجان الترقيات .. لاصوناً لكرامة صفوة أساتذة الجامعات فحسب .. وإنما لعدة اعتبارات منها :

١- أن هؤلاء الكتاب - مع تقديرى لهم - ليسوا متخصصين فى هذه القضية العلمية .. وإنما الكلمة الفاصلة فيها لعلماء التفسير وأساتذة الفقه وأصوله .

٢- لقد خان هؤلاء التوفيق ، فأخفقوا فى أن يخفوا تحيزهم إلى من يشاركهم الهوى السياسى والمعتقد الأيديولوجى ، فلم يعد الأمر متعلقاً بحرية فكر أو بغيرة على بحث علمى .

يدلل على ذلك أن اللجان العلمية فى عديد من الحالات ، وفى مختلف التخصصات فى كثير من الجامعات العربية - وليس فى مصر وحدها - قد ردت أو رفضت ترقية من يتبنى الرأى المعارض ، وأعنى به « أسلمة العلوم الإنسانية » مع أنه اتجاه ترعاه وتتبناه الدوائر العلمية فى إحدى الدول العربية ، فلم تثر لهم قضية، ولم يقِمْ أحَدٌ الدنيا أو يقعدها على رؤوس هؤلاء المحكمين على صفحات الجرائد .

لقد رفض مجلس الجامعة فى إحدى دول الخليج ترقية أحد أعضاء هيئة التدريس لأن أحد المحكمين الثلاثة - دون الآخرين - قد اعترض لأن منطلق بعض مؤلفاته - وليس كلها دينى - ليس علمياً خالصاً ، مع أن مجلسى القسم والكلية كانا قد وافقا على الترقية استناداً إلى رأى العضوين الآخرين .

وفى حديث عابر مع أحد أقطاب الفلسفة الإسلامية فى عالمنا العربى ، وهو أردنى - أشار إلى أنه رفض ترقية أحد أساتذة الفلسفة فى سوريا ، والمعروف باتجاهه الإيديولوجى ، والذى تفوق شهرته مابلغه الدكتور نصر لأنه بحكم تخصصه أشد جدلاً ، وأعتى فكراً ، وأقدم عهداً .. والمحكم الرافض لترقيته عضو فى الجمعية الفلسفية الفرنسية ، وليس محسوباً على التيار الإسلامى ومتبنياً لاتجاهه .

أريد أن أخلص من ذلك إلى أن هؤلاء المحكمين محقون فى الحالتين ، لأن المعيار الوحيد فى الترقية هو الفكر الأكاديمى الموضوعى الرصين الذى لايطوع فيه المؤلف الفكر أو العلم من أجل دين أو أيديولوجية معينة .

وفى خضم حشد الرأى العام لإدانة الإرهاب .. أخشى أن يكون هدف هؤلاء الكتّاب أن يلحقوا قضية ترقية الدكتور نصر بالإرهاب الفكرى ، باعتبار أن المحكم الرافض لترقيته محسوب على التيار الإسلامى ، فإن كان ذلك كذلك فهو مايعرف فى علم النفس بالإسقاط ، لأن أسلوبهم « المتشنج » غير المعهود فى سائر مايكتبون من موضوعات .. إنما هو إرهاب فكرى على المحكمين ، وعلى لجان الترقية .. بل حتى على مجالس الجامعات من أجل « تمرير » بل إشارة بكل من يتبع نفس السبيل ويعتنق نفس الأيديولوجية .

٣- ومدار كتابات الدكتور نصر ، وبخاصة فى كتابه : « مفهوم النص : دراسة فى علوم القرآن » هو أن اقتران آيات القرآن بأسباب النزول إنما يلزمها ويقيدها قيد زمانى تاريخى مما يسلب أحكامه وتشريعاته صفة الخلود أو الدوام .

ومقولة الدكتور نصر عن النص القرآنى وتفسيراته صورة لمقولة ماركس عن المذاهب والفلسفات .. إنها أيديولوجيات تعكس فكراً زائفاً تبريرياً من

الطبقة البرجوازية فى تعبيرها عن الأوضاع الاجتماعية ، ولو صحت هذه المقولة لكان ينبغي أن تسلب صفة « العالمية » عن كل روائع الفكر العالمى ؛ أدبياً كان أم فلسفياً ، لأنه لايخلو أى منها أن يقترن بظروف الزمان وملابسات المكان .

وبصدد النص والتفسير .. لقد أجمع المفسرون على اختلاف اتجاهاتهم منذ ابن عباس حتى المفتى الحالى - وهو مفسر - أجمعوا على قاعدة معلومة فى التفسير ، ألا وهى « خصوص السبب وعموم الحكم » ، فهل ندع مااستقر فى التفسير كإحدى أولياته من أجل بضاعة مزجاة حملها لنا فى الزمن الأغبر أحد الأيديولوجيين ؟

ولأضرب لذلك مثلاً : إن مناسبة نزول الآية ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم ...** ﴾ [التغابن : ١٤] هو تثبيط زوجات وأولاد بعض الصحابة لهم عن المشاركة فى الجهاد الذى دعا إليه الرسول ﷺ فى إحدى الغزوات .. أليس ذلك حكماً عاماً فى كل جهاد أو حرب تخشى فيه الزوجة والولد على الزوج أو الأب أن يقتل فى الحرب ؟ بل أحسب أنه حكم عام حتى فى السلم ، حين تحرض بعض الزوجات أزواجهن على قطع أرحامهم بالأمهات والأهل .. فهل يخلو من ذلك عصر أو مصر ؟ .. إنه التحذير القرآنى أو التنبيه الربانى فى كل زمان ومكان .

فى بحث لى ألقيته فى مؤتمر فلسفى عقد فى عمان ١٩٨٣ - منشور فى كتابى : « الفلسفة فى الوطن العربى المعاصر » نشر مركز دراسات الوحدة العربية ، و « بحوث فى الفكر العربى المعاصر » تأليف واختيار الدكتور سليم بركات - دار الكتاب بدمشق ، ومعذرة عن الإشارة إلى شخصى .. أشرت إلى أمرين بصدد التيار الأيديولوجى الذى تغلغل إلى المؤلفات العلمية والفلسفية :

١- أن المستشرقين الذين كنا نعيب على كثير منهم تعصبهم ، ماكانوا

يخوضون فى موضوعات الفكر الإسلامى إلا بعد تعمق فى البحث واستيفاء للموضوع - بصدد موضوع التفسير راجع مثلاً لجولد تسهير: المستشرق اليهودى « مذاهب التفسير الإسلامى » .. لأن مؤلفات هؤلاء كانت محصلة عصر كان ممثلو الاستعمار فيه - مثل كرومر وكتشنر - من عتاولة السياسة .

٢- أما مؤلفات الأيديولوجيين فى العصر الأغبر من حكم العسكر - حيث اغتصب فيه قمة السلطة والزعامة من ليس لديه أدنى علم أو خبرة أو حنكة بالحكم وشئونه متحكمين فى مصائر الشعوب - إنما تعكس هذا الوضع حيث الخوض فيما ليس لهم به علم تحدوهم فى ذلك شهوة الشهرة دون اعتبار لقيم أو مقدسات ، أو التفسير أو التأويل .. غير مؤهل للخوض فيه من كان تعليمه مدنياً غير دينى ، باستثناء من وهب حياته وعمره للفكر الإسلامى مثل الدكتورة بنت الشاطئ ، والفرق بين كتاب « جولد تسيهر » ونص فى التفسير هو الفرق بين حكم الحنكة السياسية ، وبين عهد الشعارات .

وبعد ..

فليس النص القرآنى أو التفسيرات هو انعكاساً لأوضاع اجتماعية آنية ، وإنما هذا هو الذى طلع به علينا أحد الأيديولوجيين غير المختصين فى الزمن الأغبر ..

على أنه لايصح إلا الصحيح .. ﴿ ... **فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض** ... ﴾ [الرعد: ١٧] .

وأخيراً ..

أهمس فى أذن أحد الكتاب الثلاثة بالقول : « الفتنة نائمة ، لعن الله من أيقظها » .

* * *

فى قصة العلمانى الصغير :

لماذا يدافع الشيوعيون عن الإلحاد ..؟!

تحقيق / رضا عكاشة

جريدة اللواء الإسلامي- الخميس ١٥ / ٤/ ١٩٩٣

هذه القضية من أغرب القضايا التى نشهدها ساحتنا الفكرية فى الوقت الحالى ..

ومن أعجب الأمور التى يختلط فيها الحق بالباطل و الإيمان بالإلحاد ..

وتحت مسميات غريبة ، ودوافع مريبة ، يشن العلمانيون وفلول الشيوعيين الذين يترنحون بعد سقوط نظريتهم .. حملة شعواء ضد علماء الإسلام ، وقضايانا الشرعية ، وهيبة المؤسسات الجامعية ، ويمارسون أبشع أنواع الإرهاب الفكرى ، ليحصلوا على مناصب لا يستحقونها ، وزعيمهم ، أو كبيرهم ، تهجم على الجامعة ، واتهمها بأنها أصبحت كالكتاتيب .

القصة بدأت برفض ترقية أحد أساتذة الجامعة .. !

والمشكلة فى خلط الأوراق الغريب الذى يتعمده البعض ..؟

« اللواء الإسلامى » .. تنقل القصة الكاملة .. وكيف يدافع بعض الحاقدين فى هذه الحملة عن الذين يشككون فى القرآن ..

الحكاية باختصار شديد أن أستاذاً مساعداً بكلية الآداب جامعة القاهرة اسمه نصر أبو زيد .. تقدم بعدة أبحاث للترقى إلى درجة أستاذ ، وتكونت لجنة من ثلاثة أساتذة لفحص الإنتاج ، وبعد عدة أشهر ، اتفقت اللجنة على تقرير

الدكتور عبد الصبور شاهين أستاذ الدراسات اللغوية والإسلامية المعروف ، وأحد أعضاء لجنة الترقى للأستاذية .. وقد رأى تقرير اللجنة أن الدراسات التى نقدم بها الدكتور أبو زيد لا ترقى إلى درجة البحث العلمى الجاد ، ورفض ترقيته إلى درجة أستاذ لأسباب منهجية وفكرية وبحثية !!

وفى خطوة تالية ذهب الموضوع برمته إلى اللجنة العلمية ، حيث تكونت لجنة لفحص الإنتاج العلمى من أكبر أساتذة الدراسات اللغوية والشرعية فى مصر ، من بينهم الدكتور شوقى ضيف ، والدكتور أحمد هيكل ، والدكتور رمضان عبد التواب ، وكمال بشر ، ومحمود مكى ، ومصطفى هدارة ، وسيد النساج ، وغيرهم ، ورأت اللجنة العامة الأخذ بتقرير الدكتور عبد الصبور شاهين ، ووقع أعضاء لجنة الفحص التابعة للجامعة على ذات التقرير ، بما فيهم الدكتور محمود مكى والدكتور عونى عبد الرؤوف اللذان شاركا الدكتور شاهين فى فحص الإنتاج وأيد مجلس الجامعة هذا القرار بالإجماع .

وإلى هنا والموضوع عادى جداً ..

دكتور من بين مئات الدكاترة الذين يتقدمون شهرياً للترقية ..

وحالة رفض من بين عشرات من حالات الرفض التى تحدث فى جميع جامعات مصر والعالم كله .. !

ولكن الشيوعيين والعلمانيين ومن فى أنفسهم شائبة ضد الدين بدأوا حملة من المغالطة والكذب والتطرف الفكرى ضد العلماء وحقائق الدين وضد الجامعة !! وفى خضم هذه الحملة ، وقعوا فى عشرات المغالطات العلمية والفكرية والدينية ..

لماذا أقحم الشيوعيون أنفسهم .. ؟

المغالطة الأولى : الخلط العجيب للأوراق بين إجراء إدارى طبيعى جداً ، وبين التنفيس عن أحقادهم ضد الإسلام وعلمائه !

المغالطة الثانية : لماذا يقحم الشيوعيون والعلمانيون أنفسهم فى عناد ضد جامعة القاهرة ورئيسها وهيئة التدريس بها .. إن للجامعة أعرافاً علمية ومنهجية فى التعامل مع الإنتاج العلمى .. فلماذا يقحم هؤلاء أنفسهم فيما لا يفهمون فيه .. وهل كل من أمسك قلماً صار حامى حمى الدنيا ينفس من خلاله عن أحقاده ضد عقيدة وتراث الأمة .. ؟!

المغالطة الثالثة : أنهم مارسوا نوعاً من التزوير ضد الحقائق .. والتدليس ضد الدين ذاته .. !

وفى سبيل إثبات الذات ، تناسى هؤلاء القضية الأساسية وهى التهجم على حقائق الدين ولم يسأل أحدهم نفسه : ماذا قال أبو زيد فى كتاباته ، وهل هان علينا ديننا إلى هذه الدرجة .. ؟!

ماذا قال .. ؟

عودة إلى السؤال الأهم : ماذا قال أبو زيد .. ؟!

من خلال المؤلفات والكتابات التى بين أيدينا ومن خلال التقارير العلمية لكبار أساتذة الجامعة هناك مئات الأخطاء الدينية التى وقع فيها المؤلف .. بعضها يضعه فعلاً فى مربع الشك والإلحاد وترديد مقولات خصوم الإسلام .

ومن بين قائمة طويلة من الأخطاء نشير إلى بعض الأمور :

* * واضح أن الرجل بينه وبين « النص الشرعى » : ثأر مبيت ، وعداء غير مفهوم ، فهو باختصار يريد التخلص من قيد النص الشرعى أو بالتحديد « النص القرآنى » ذاته .

* * فقد شكك فى النص ذاته ، وقال : « إن القرآن منذ أن نزل على محمد ﷺ أصبح وجوداً بشرياً منفصلاً عن الوجود الإلهى » !! . وقال : « لم ينج القرآن من عمليات المحو والإثبات » ! .

* * وشكك فى مسألة نزول القرآن من اللوح المحفوظ ، ووصفها بأنها أسطورة فقال : « إن التصورات الأسطورية المرتبطة بوجود أزلى قديم للنص القرآنى فى اللوح المحفوظ باللغة العربية مازالت تصورات حية فى ثقافتنا » .

* * ادعى أن القراءات السبع المعروفة فى أحكام التجويد ، دليل على تعدد وتطور ومسايرة النص القرآنى للتعدد القبلى واللغوى .

الإلحاد ..

* * يسخر من التدين الذى يرد كل شىء فى الكون إلى الله ، ويردد مقولات الفكر الإلحادى الذى يقول : إن الله خلق العالم وأعطى له ظهره .. !!

* * يتوقف طويلاً أمام مسألة تبديل القرآن ، وتوظيف نصوصه لخدمة القبيلة .

* * يصور الخليفة أبو بكر الصديق وعثمان بن عفان على أنهما كانا « ينتصران للعصبية القبلية » .

وهى مغالطات يستحى القلم عن ذكرها ، وقد أجمل الدكتور محمد بلتاجى أستاذ الفقه وأصوله وعميد كلية دار العلوم فى تقرير خاص عن الكتاب ملاحظته عليه فقال : « ويمكن تلخيص محتواه فى أمرين : الأول : العداوة الشديدة لنصوص القرآن والسنة ، والدعوة إلى رفض وتجاهل ماأتت به . والثانى : الجهالات المتراكبة بموضوع الكتاب الفقهى والأصولى » .

* * يسخر من الإيمان بالغيبيات ويقول : إن العقل الغيبى غارق فى الخرافة والأسطورة .

العلمانية .. والعقل

* * ينشىء صراعات وعداءات بين العقل والنص الشرعى ، وينتهى إلى مقولة فى غاية الخطورة وهى قوله : « .. وقد آن أوان المراجعة والانتقال إلى

مرحلة التحرر .. لا من سلطة النصوص الدينية وحدها .. بل من كل سلطة تعوق مسيرة الإنسان، وعلينا أن نقوم الآن بهذا وفوراً .. » .

* * يرفض تحكيم الإسلام فى دنيا الناس ، ويتبنى « العلمانية » التى يجعلها تأويلاً لحقيقة الدين ، ويقول فى بجاحة :

« لم يتقبل أحد أن الإسلام هو سر التخلف والانحطاط .. بل تم إرجاع كل ذلك إلى البعد عن الإسلام » ! .

* * يرفض اعتبار أن فى القرآن حلولاً لكل مشاكل الحياة ، ويعتبر هذا الفهم « على درجة عالية من الخطورة » ، ويقول : « إن هذا هو المبدأ الذى حول العقل العربى إلى عقل تابع يقتصر دوره على التأويل .. » ! .

الحديث النبوى ..

* * يعيب اعتبار النص النبوى مثل النص القرآنى مصدراً من مصادر التشريع ، ويفسر الأخذ بالحديث النبوى على أنه نوع من التعصب لقريش ، ومن ثم أضفى الصحابة على أحاديث الرسول ﷺ – القرشى – نوعاً من القداسة !!

وفى طى هذه الأخطاء القاتلة دافع الرجل عن العلمانية ، ومدح الماركسية ، ورفض « الاقتصاد الإسلامى » ووصفه بأنه أداة من أدوات الرأسمالية المستغلة الغليظة !! وردد بعض مقولات المستشرقين المعروفين بعدائهم الشديد للإسلام وأصوله الشرعية .

والحق أن الاسترسال فى ذكر سوءات الدكتور أبو زيد الفكرية أكبر من أن يحصى .

ونحن نرددها رغم خطورتها الشرعية حتى يعرف الناس ماذا قال ، ومن باب : ناقل الكفر ليس كافراً .

لماذا يخافون الوصف ؟

إن السؤال المنطقى والموضوعى ، وبعيداً عن الخلط المتعمد من الذين يركبون الموجة لتشويه الإسلام ، وادعاء بطولات زائفة على حساب ديننا .. ؟

ماذا يمكن أن يقال فى هذه الأفكار التى طرحها صاحبها ؟

ما هو « التقييم العلمانى » لأفكار من صلب الدين وعقيدته وعبادته وتاريخه .. ؟! .

إن الأمر المؤكد أن هذه الأفكار « إسلامية » ومادامت كذلك فيجب أن يكون الحديث فيها « بميزان » الإسلام ذاته ، وبمفرداته من حيث الإيمان والكفر ، والتوحيد والإلحاد ، والحلال والحرام ! .

نقول هذا لأن بعض الشيوعيين استكثروا أن يصف الدكتور عبد الصبور شاهين ، وغيره فكر هذا الرجل بأن فيه كفراً ، وشبهة إلحاد .

والحق ، إن صاحب الفكر هو الذ بدأ ، وهو الذ تناول القضايا بالمنظور الدينى ، ولا ينبغى أن يضيق أحد من وصفه بـ « الإيمان » طالما أنه مؤمن ، ولا يضيق من وصفه بالكفر طالما أنه كافر !!

التشكيك فى القرآن

مثلاً .. قضية التشكيك فى القرآن هى من علامات الكفر تماماً - على حد قول الدكتور عوض الله حجاز رئيس جامعة الأزهر الأسبق - ويضيف : لا يمكن وصف من يشكك فى الوحى ، أو فى قدسية النص القرآنى ، أو فى أن كل آية ، وكل حرف فى كتاب الله من وحى الله المنزه المقدس المنزل على النبى محمد ﷺ لا يمكن وصفه إلا بالكفر والتشكيك والإلحاد .

ومن الجائز أن يجتهد كل مجتهد فى « فهم » النص القرآنى .. ولكن التشكيك فيه ليس من الإيمان .

وهذا الوصف لا ينبغى أن يغضب أحداً ، على حد قول الدكتور حجاز ، لأنه متى فعل ما يستحق أن ينطبق عليه هذا الوصف فإن الوصف حقيقى وصحيح .

إن وصف الكفر - كما فى القرآن - ينطبق على مئات الأصناف من الذين يرفضون القرآن .

فمن يكذب به فهو كافر .. يقول عنه الحق : ﴿ **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ [البقرة : ٣٩] .

ومن يكذب ببعضه فهو كافر : ﴿ **إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً ◘ أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً** ﴾ [النساء : ١٥٠ ، ١٥١] .

والذين يضيفون إلى القرآن حرفاً كافرون يقول الله فيهم :

﴿ **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون** ﴾ [البقرة : ٧٩] .

والذين يجادلون ويرفعون أصواتهم حتى لا يسمع الناس كلام الله ، أيضاً كافرون :

﴿ **وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ◘ فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون** ﴾ [فصلت : ٢٦ ، ٢٧] .

والذى لا يحكم القرآن فى حياته ، أيضاً من الكافرين ، يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ [النساء: ٦٥] .

ويقول تعالى : ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ﴾ [النور: ٥١] .

وهكذا تتعدد كلمات الكفر بتعدد المواقف من القرآن الكريم !!

الإنكار

أيضاً . . فإن إنكار الغيبيات من الكفر البولح .

يذكر الدكتور السيد رزق الطويل أستاذ العلوم اللغوية والشرعية ورئيس « جمعية دعوة الحق » أن الإيمان بالغيبيات قرين الإيمان بالله ، وهو شطر الإيمان .

والذى ينكر الغيبيات كافر بإجماع الأمة والنصوص الشرعية القاطعة ، والحذر كل الحذر من اعتبار الغيبيات أشبه بالماديات التى توضع فى المعامل للتحليل ، فهذا فوق طاقة العقل ، وفوق القدرة الإنسانية ، وخارج الإيمان .

ويبقى المعنى أيضاً أن من يسخر من الغيبيات والإيمان بها لا حرج من وصفه بالكفر !!

ست حقائق حول « أكذوبة » حرية الفكر

- من أكثر الأكاذيب التى يروجها الحرس الشيوعى القديم ومعسكر العلمانية فى هذه القضية مسألة « حرية التعبير » ، وتحت هذه العبارة صبوا جام غضبهم على الدكتور عبد الصبور شاهين وكل من يقف فى سبيل أفكارهم التى سقطت فى بلائها .

وهناك عدة حقائق شرعية وعلمية وفكرية ينبغى التأكيد عليها فى هذا الصدد .

أولاً : إن حرية التعبير التى يتشدق بها هؤلاء أبعد ما تكون عن فكرهم ومعتقدهم وممارستها السياسية والفكرية .

ثانياً : حرية التعبير لا تعنى على الإطلاق حرية الهدم وتشويه العقيدة ، وسب الصحابة ، والتشكيك فى الإسلام .

ثالثاً : إن منطقهم هو الإرهاب الفكرى فعلاً . . سواء عندما يضيقون بكل ما يكشف فكرهم ، أو باستغلال أية أزمة للتخويف من الإسلام .

رابعاً : ليس هناك أى دين أو فكر يعلى قدر الحرية الدينية والفكرية قدر ما يفعل الإسلام .

خامساً : إن حكاية حرية التعبير هذه تكاد تصبح « صنماً » يريد أصحاب الهوى أن يعبدوه ، ومن خلاله ينفسون عن أغراضهم .

سادساً : إننا نقول لهم بمنطق « حرية الفكر » أيضاً : صاحبكم فكر وعبر وأخطأ ، ومن حق علماء الإسلام أن يفكروا ويعبروا ويصوبوا الخطأ» .

موقف مشرف لجامعة الأزهر

عندما تهجم أحد خريجى جامعة الأزهر على الرسول ﷺ ، وأنكر بعض الأحاديث النبوية قررت جامعة الأزهر فصله وسحب « الدكتوراه » التى حصل عليها من الجامعة العريقة ، وأكد القضاء الإدارى حق الجامعة فى هذا صيانة لمقدسات المسلمين .

والسؤال : متى نرى جامعة القاهرة تتخذ إجراء مماثلاً مع الذى شكك فى القرآن ، وردد أقاويل تدخل صاحبها فى دائرة « الكفر » . . ؟!

* * *

هوامش على « قصة » ابو زيد

بقلم / الدكتور صلاح الغزالى حرب

بريد الأهرام – جريدة الأهرام – ١٩٩٣/٤/٢٨

تابعت بكل الأسى والدهشة طوال الأسابيع القليلة الماضية المناقشة الحادة والخاصة بما اصطلح على تسميته « قضية أبو زيد » ، وهى الخاصة بأحد الأساتذة المساعدين بآداب القاهرة ، والذى رفضت اللجنة العلمية ترقيته إلى درجة أستاذ .. ولست هنا بصدد إبداء الرأى – وليس من حقى – فى موضوع الترقية ، ولكنى أود فقط أن أشير إلى بعض الملاحظات العامة ..

أولاً .. جامعة القاهرة من أعرق الجامعات فى الشرق الأوسط ، ولاتزال – بحمد الله – تحظى بالاحترام والتقدير من جامعات العالم كله ، وليس من اللائق ولا المقبول أن تثار الزوابع ، وتلقى التهم جزافاً على هذا الصرح العلمى العظيم الذى أخرج لنا ولايزال علماء أفذاذاً فى كافة المجـالات ..

ثانياً .. المعروف أن اللجان العلمية الخاصة ببحث أبحاث الترقى لأعضاء هيئة التدريس تضم خيرة الأساتذة من ذوى الكفاءة والخبرة والتاريخ العلمى الطويل ، وقراراتها لها الاحترام الواجب ، ومن ثم فإننى أرى أن الاتجاه إلى نشر التقارير العلمية الخاصة بهذه اللجان على الرأى العام أمر غير مقبول ، وسابقة خطيرة تفتح الباب أمام الكثير من المزايدات وأساليب الضغط النفسى التى تتنافى مع التقاليد الجامعية ، وكذلك مع مبادئ حرية الرأى والتعبير ..

ثالثاً .. هناك من اللوائح والقوانين الجامعية مايتيح لكل من يستشعر ظلماً أو غبناً أن يتظلم من خلال هذه اللوائح، وليس عن طريق أجهزة الإعلام ..

وأخيراً .. تبقى كلمتان ..

الأولى .. أوجهها إلى زملائى من أعضاء هيئة التدريس، وأقول لهم: إن حرية البحث العلمى والإبداع والابتكار لاحدود لها، ولاقيود عليها، ولكن من البديهى ألا تمس هذه الحرية مقدساتنا ومعتقداتنا، وإلا كانت سلاحاً للهدم وليس للبناء.

والثانية .. أوجهها إلى مفكرينا وأدبائنا الذين تصدوا لهذه المشكلة، وأقول لهم: إن مجتمعنا يمر هذه الأيام بمرحلة خطيرة لاتحتمل المزيد من الانقسام ولا اللعب بالنار .. فلنتوقف عن هذه المساجلات، ولنتفرغ لرأب الصدع، وإصلاح النفوس، ولنضع نصب أعيننا قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ...** ﴾ [الأنفال: ٢٥].

* * *

قصة أبو زيد **

حوار أجراه / حاتم هلال

مجلة حريتي - الأحد ٩/٥/١٩٩٣

الحملة الضارية التى تشنها الصحف والمجلات - إياها - ضد قرار جامعة القاهرة بعدم الموافقة على ترقية الدكتور نصر حامد أبو زيد لدرجة أستاذ لأن نتاجه العلمى لا يرقى إلى المستوى الجدير بالأستاذية .. لا تتوقف .. ولا يعلم إلا الله متى تتوقف !!

فى يوم واحد .. وبلغة واحدة انطلقت مظاهرة إعلامية صاخبة ومنظمة فرضت نفسها على الإعلام المصرى .. وأقام « العلمانيون » - كعادتهم دائماً - « مناحة » للبكاء على حرية الفكر وحرية البحث العلمى .. بل وصل بهم الأمر إلى اتهام الأساتذة المتخصصين بالإرهاب ، وبتصديره من أحد قلاع الفكر الحصينة .. جامعة القاهرة .

واضح جداً أن محاولاتهم كان القصد منها استعداء واستنفار الرأى العام حين خرجوا بالقضية إلى الشارع فى محاولة يائسة لتحكيم الجماهير على إنتاج أستاذ جامعى بالصلاحية أو عدم الصلاحية ، دون أن تملك هذه الجماهير الأدوات التى تحكم بها على مؤلفات أكاديمية بالحق أو الباطل !! .. إنها إذن « غاغة » لإثبات الوجود .. بعد الإفلاس والسقوط على المستوى الأيديولوجى والعلمى أيضاً .

وحرصاً منا على الحقيقة - التى هى ضالة المؤمن - والتى هى هدفنا .. ذهبنا إلى الطرف الأساسى فى القضية .. الدكتور عبد الصبور شاهين الأستاذ بكلية دار العلوم ، وأحد أعضاء اللجنة الثلاثية المشرفة على ترقية الباحث ،

وصاحب التقرير الذى رفض نتاج نصر أبو زيد ، وهذا التقرير وافقت عليه اللجنة العلمية ومجلس الجامعة .

فى منزله بشارع الهرم استقبلنا د. شاهين مرحباً بالنقاش ومبدياً استعداده للإجابة عن كل الأسئلة ومواجهة كل الاتهامات التى أثارها أصحاب هذه الحملة .

●● سألت د. عبد الصبور شاهين : نريد أن نبدأ الحكاية من البداية كيف نشأت المشكلة ؟!

● لا أدرى .. لقد فوجئت بها وقد أصبحت قضية شاغلة للرأى العام لا فى مصر وحدها ، بل فى كل مكان تبلغه الصحافة المصرية حتى إننى علمت أن هناك رد فعل عنيفاً جداً ضد القائمين على هذه الحملة .. والكثيرون يعتبرونها عدواناً على الإسلام وعلى أساسياته ومصادره ..

لقد كان ممكناً أن تكون القضية بسيطة جداً لا تعدو أن تكون قضية إنسان حاول فضلّ فأخطأ .. ومن حقه أن يحاول مرة أخرى ليعود إلى الصواب والهداية فيصيب النجاح ، وهذه القضية مثل واضح غير سابق الإعداد .. فما كنا نتصور أن مثل هذه « الغاغة » سوف تحدث ، وأن رد فعلها سوف يكون هذا الضجيج البشع .. إنما كانت المواقف كلها طبيعية جداً .. لجنة شكلت بكل بساطة كما تشكل مئات اللجان .. ويقرأ الأساتذة الفاحصون الإنتاج ثم يحكمون عليه كما يحكم القضاة بكل نزاهة وضمير القاضى دون اعتبار لأى شىء إلا تحقيق العدالة ، وأن يصل الحق إلى مستحقه .

المهم شكلت اللجنة وكان من بين أعضائها الأستاذ الدكتور شوقى ضيف وهو أستاذ الأساتذة وزميل آخر هو الأستاذ الدكتور عونى عبد الرؤوف .. ويبدو أن الذين أثاروا الضجة - وهم لا يعرفون شيئاً فى هذه المادة ولا فى هذا التخصص - كان يعنيهم دائماً أن يقودوا الأمور ويوجهوها فى خط معين .. فلما توقعوا أن الدكتور شوقى ضيف لن يكون معهم اضطروه - وهذا اعتقادى - إلى

الاعتذار ، فاعتذر الرجل واختير بديلاً له الدكتور محمود مكى وكان التقرير الذى قدم فعلاً وهو تقرير الدكتور عونى أول التقارير ثم تأخر تقرير الدكتور محمود مكى بحكم أنه كلف بقراءة الإنتاج فى وقت متأخر .. وكان تقريرى قد أعد فعلاً فقدمته يوم اجتمعت اللجنة وقدم الدكتور مكى تقريره فاكتملت التقارير وقرأت تقريرى كاملاً وقرأ كل من الزميلين تقريره كاملاً وبدأت اللجنة تناقش بكل موضوعية ولم يكن منا أحد يحمل فى نفسه شيئاً إلا مسئولية الأمانة عما نؤدى بحكم كوننا علماء فى هذا الاختصاص ، وحين استقر رأى اللجنة على اعتماد تقريرى الذى قرر عدم الترقية لم يكن هذا غريباً .

تقاليد اللجان العلمية

• • لكن تقرير كل من د. مكى و د. عونى كان إيجابياً ؟!

• نعم كان التقريران إيجابيين .. لكن من تقاليد اللجان العلمية أن كل التقارير تنتهى بمجرد اعتماد التقرير الجماعى ، ووقعت اللجنة على التقرير الجماعى .. ومن بين الموقعين الزميلان الكريمان د. عونى عبد الرؤوف والدكتور مكى وتوقيعهما يعنى أنهما اقتنعا بتقريرى الذى أصبح جماعياً ، وأنهما متنازلان عن تقريريهما .. هذا هو الأصل وهذه هى القاعدة .. عندما نوقع .. فمعنى ذلك أننا نتبنى التقرير .

• • وما الذى حدث بعد ذلك ؟

• الذى حدث أن الأمور سارت فى شكلها الطبيعى حيث أرسل التقرير إلى الكلية ثم أرسل إلى مجلس الجامعة بصورة طبيعية جداً .. ومن حق مجلس الكلية أن يرسل مذكرة بما يراه من ملاحظات .. لكن ليس من حق القسم المختص (قسم اللغة العربية) ولا من حق مجلس الكلية أن يكتب تقريراً علمياً أبداً .. وإنما يمكن أن يكتب ملاحظات .. هذه الملاحظات تكون موضع الاعتبار إذا كانت ملاحظات حق .. أما إذا رأى « مجلس الجامعة » ألا يأخذ بها فمن حقه .

● ● لكن د. جابر عصفور رئيس قسم اللغة العربية كتب تقريراً .. بماذا نفسر ذلك ؟!

● هذا نوع من الحماس القبلى .. هى قبيلة تمثل مجموعة من قيم التعاون والتضامن الجاهلى العصبى الذى لا علاقة له لا بالثقافة ولا بالفكر، ولا علاقة له بحرية الرأى وحرية الكلمة .. وإنما له علاقة فقط بالعصبية القبلية .. ورئيس قسم اللغة العربية الذى كتب هذا التقرير لا يعرف شيئاً إطلاقاً فى هذا التخصص .. وزعم أنه قرأ الإنتاج وهو لا يعرف حرفاً فى هذا الإنتاج، وليس من حقه أن يكتب شيئاً من هذا القبيل .. ثم إن بقية أعضاء القسم ليسوا متخصصين بفحص الإنتاج .. وأعضاء مجلس الكلية منهم المتخصصون فى علم النفس والتاريخ والجغرافيا والفلسفة والإنجليزى والفرنساوى ولا علاقة لهم .. فإذن التقرير المختص هو التقرير المعتمد وحده .. أما بقية ما يحدث فهو شيء غريب وخارج عن الأصول القانونية والأكاديمية .. نعم هو رئيس قسم اللغة العربية ولم يقرأ حرفاً فى حياته فى الثقافة الإسلامية، ولا يستطيع حتى وإن كان قرأ أن يكون حكماً فى الموضوع .. فمن العجيب أن يتصدى رجل متخصص فى النقد الحديث والقصة والمسرحية والشعر لقراءة بحوث العقيدة والتفسير وعلم الكلام .. بالطبع هذا يعتبر نوعاً من الاستهانة بمفهوم التخصص.

فكر معاد

● ● إذن ماذا كانوا يريدون بالضبط ؟

● أن يتم اعتماد هذا النوع من الفكر المعادى للإسلام .. اعتماده فى الجامعة، وترقية إنسان محترف فى هذا الفكر الشمولى، أو الماركسى؛ بمقتضى لجنة علمية .. وعندما لم يتحقق هذا .. تصور الأستاذ ومن معه أنهم يستطيعون أن يخوضوا معركة غوغائية، وأن يشككوا فى التقرير، ويضعوا مجلس الجامعة أمام هذه الغارة الغوغائية التى لا تحمل إلا معنى الفوضى ..

لأنها أولاً تشكك فى قيم التخصص ، وتتجرأ على الحق ، وعلى كل ما يتصل بالعقيدة ، وتستهين به ، وترى أن مسائل العقيدة لا قيمة لها .. وهذا بالطبع أمر خطير جداً .. عندما ينفق دافع الضرائب فى مصر على أساتذة يهينون عقيدته ، أو يستهينون بها ولا يريدون أن يحترموا لها فكراً ولا قيمة .. فالذى حدث أن الجامعة وفيها رجال كبار لم يخضعوا لمثل هذه الأساليب الغوغائية .

ومن المعلوم أن هناك أساتذة فى قسم اللغة العربية رفضوا حضور اجتماع القسم .. وهناك آخرون رفضوا التوقيع على تقرير القسم .. وهناك أساتذة توقيعاتهم خطأ وهم الذين وقعوا فى اللجنة العلمية .

● ● لقد جعلوا القضية .. قضية شخصية وخصومة بينك وبين هذا الباحث .. فما تعليقك على ذلك ؟

● إنهم يتصورون أن الرأى العام سيصدقهم فيما يزعمون ، والواقع أن الرأى العام يعرف كل واحد ودوره فى الحياة المصرية وربما كان الباحث موضع عطفى ، ولذلك فقد اعتمدت له بحثين صغيرين ذكرت أنهما بمثابة عمل واحد يمكن أن يكمل بأعمال أخرى إذا حاول التقدم مرة أخرى ، والباحث هو ابنى وتلميذى وأتمنى أن يكتب بصورة أكثر التزاماً بالحقيقة العلمية ، وهو قادر على أن يفعل الكثير لولا أن حظه هذه المرة لم يكن مواتياً .

● ● وماذا عما جاء فى التقرير مما يخص عقائدية الباحث ؟

● لم يحدث فى التقرير أننى تعرضت لعقائدية الباحث .. ولكنى ذكرت أن مثل هذا الكلام يستقى من مصادر معينة أعرفها ، وأشرت إلى مصدر من مصادر الباحث وهو مصدر استشراقى ، وأشرت إلى أن طابع هذا الكلام يمكن أن يكون زيفاً ، أو أن يكون كذباً ، أو أن يكون باطلاً ، أما الباحث فلا يعنينى .. نحن لا نفحص باحثاً وإنما نفحص بحثاً .. أما أن أتعرض لدين الباحث فهذا أمره إلى الله سبحانه وتعالى ولا شأن لى به .

●● وما تعليقكم على ما قيل من أنكم اتهمتم الباحث بالكفر ؟!

● لا .. أنا قلت الكلام خطأ .. الكلام جهل .. الكلام افتراء .. لكن لم أقل : إن فلاناً هذا كافر أو خارج عن العقيدة .. لأن هذا يعتبر خروجاً على أدب الإسلام ، والرسول ﷺ يقول فى حديث صحيح رواه البخارى : « من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما » .. فأنا لا أورط نفسى فى مثل هذا الذى يمكن أن أحاسب عليه بين يدى الله تبارك وتعالى .

التجارة الثقافية

●● البعض يرى أنك تعرضت بالإساءة لشخصيات بعينها فى التقرير مثل وصفك الدكتور غالى شكرى بأنه « معروف الهوية » فعلى أى أساس جاء هذا الحكم ؟

● أولاً التعرض فى نقد البحوث العلمية إنما يأتى من قبيل اختيار الموضوع ، والحديث حين يخرج عن البحث العلمى والتقاليد العلمية إلى مستوى المداهنة والمجاملة ، ومحاولة التقرب إلى اتجاه معين وإطراء شخصية معينة .. فهذا ليس من قبيل البحث العلمى .. إنما هو من قبيل التجارة الثقافية .. فأنا لم أقل أكثر من أن فلاناً معروف الهوية .. فهل غالى شكرى معروف الهوية أم مجهول الهوية .. هو معروف الهوية قطعاً ، وأنا قد أعرف أن لديه مؤهلاً حصل عليه بطريقة معينة ، وأعرف أنه لم يستطع أن يستمر فى الدراسة ، وأعرف أشياء كثيرة فى هذا الموضوع خصوصاً من صديقى المستشرق « جاك بيرك » أعرف أنه كان تلميذاً له ، وأن اعتبارات معينة زكت غالى عند جاك بيرك .. ثمة أمور كثيرة تجاوزت حدوداً ولوائح كثيرة .. ولسنا فى صدد هذا .. فأنا أقول : إنه معروف الهوية وهذا شىء طبيعى جداً .. وعندما أقول : إن رجلاً مثل السورى أحمد صادق سعد لم أعرفه ، وحين أسأل أى مثقف

فى مصر فيما عدا بعض الماركسيين هل يعرفون أحمد صادق سعد ؟! .. ليست هناك إساءة فى الحقيقة ، ولكنه نوع من التصيد .. ثم ما قيمة هذا فى ترقية إنسان أو عدم ترقيته .

●● لماذا وافقت اللجنة على تقريركم من بين تقارير اللجنة العلمية ؟

● لأنه الحق .. ولأنه الأكثر موضوعية .. ولأنه الأقرب إلى الروح العلمية .

●● وصفت إنتاج الباحث نصر أبو زيد بأنه كذب وجهل فاضح .. البعض يرى أن هذه أوصاف غير علمية وانفعالية فما ردكم ؟

● هذا هو الحق .. نحن نصف الأشياء بأوصافها ونسميها بأسمائها ، وقد قبلت اللجنة العلمية هذه الأوصاف وقبلها مجلس الجامعة ، وهى أوصاف مذكورة بإزاء أقوال ونصوص ينطبق عليها فعلاً ما وصفت به .

وبصراحة هؤلاء لا يعرفون العلم ولا يعرفون شيئاً من قواعد البحث العلمى .

●● لماذا لم يرفع نصر أبو زيد قضية يتظلم فيها باعتبار أن هذه ليست أول حادثة ويترك للقضاء الإدارى كلمته ؟

● كان أمامه أن يتظلم وأمامه كل شىء .. لكن هؤلاء الذين يشيرون عليه أعتقد أنهم استثمروه لصالحهم .. وللأسف صرفوه عن طريق الجادة وعن محاولة أن يتدارك الموضوع من الناحية العلمية .. وأنا أتمنى أن يلتفت إلى مصلحته إن شاء الله ، وأن يكتب الحق والصواب ، وأسأل الله عز وجل أن يوفقه فى مرحلته القادمة إن شاء الله .

●● هذه « الهجمة الشرسة » و « الضجة الصاخبة » التى يثيرها العلمانيون .. ماذا يريدون من ورائها بالتحديد ؟!

● هؤلاء الماركسيون الأمريكيون .. فهم ماركسيون أمريكان حقاً .. لأنهم

لا يستطيعون أن يكونوا أصحاب فكر حر .. هم تبع دائماً لكل من يدفع أو لكل من يكون ذا أسهم أغلى .. هم تبع أثمان الأسهم .. فى بورصة الفكر هم يتابعون دائماً الخط البيانى ويراقبونه ، فهم الآن شيوعيون أمريكان بعد أن كانوا شيوعين روساً .. والله أعلم ماذا سيكونون بعد غد عندما تهزم الرأسمالية أخشى أن يصبحوا شيوعيين إسلاميين ، لأن البديل الوحيد للعالم الرأسمالى الآن هو الإسلام !!!

هم فى الحقيقة عندما وجدوا أن القضية خاسرة تماماً على مستوى القانون ، والعدالة المطلقة ، والنزاهة التى تمثلها الجامعة رأوا أن المسألة بهذا لم تعد تفيدهم من ناحية اعتماد الفكر ، فأرادوا أن يستثمروها من ناحية إثبات الوجود .. لأن الساحة أعدمتهم وسحقتهم وانتهوا تماماً .. من الذى سيقرأ لفلان أو فلان من كتاب الأهرام .. وهناك مجلة يصدرها واحد منهم توزع مائة نسخة ، وبقية الآلاف الثلاثة تظل راكدة لا توزع ، وتعود إلى المخازن .. مجلة اسمها : « القاهرة » ، من الذى يقرأ مثل هذا الفكر الآن أو يتابع أصحابه ؟! إنه لم يعد لديهم ما يقولونه إلا أن يتفرغوا لحرب الإسلام ، والتشنيع على رموز الإسلام ومحاربة رجال الدعوة ، أو حتى ضرب الجامعة فى أهم قيمها ، وهى قيم حراسة الفكر ، وحراسة حرية الفكر ، وإقامة صرح العلم الحقيقى ، والتقدم الحضارى فى البلد .. هم يريدونها كسباً على المستوى الغوغائى طالما خسروها على المستوى العلمى والأكاديمى الصحيح .. وأنا أعتقد أنهم خسروا كثيراً .. فقد أهاجوا رجل الشارع وحرضوه عليهم .

هؤلاء هم الإرهابيون ..

●● الشيوعون يقولون : إن هناك فى موازاة الإرهاب المستتر بالدين .. إرهاباً آخر داخل جدران الجامعة..هو امتداد للإرهاب الأصلى .. فما تعليقكم ؟

● نحن نعلم أن ضغوطاً كثيرة مورست على أعضاء اللجنة من ناحية ..

وعلى كثير من الأساتذة فى قسم اللغة العربية بكلية الآداب وفى مجلس الكلية .. نعلم أن هناك ضغوطاً مارسها من يدينون ومن يحملون رسالة الإرهاب فعلاً وهم هؤلاء الذين يلصقون تهمة الإرهاب بغيرهم ، وأساتذة الجامعة بخير ، والبحث العلمى وحريته بخير ، وجامعة القاهرة هى حارسة حرية الرأى فعلاً . وبموقفها هذا تؤكد أصالتها وأنها لا تتبع غوغائية هؤلاء « الغجر » الذين لا يحترمون قيمه ولا يهتدون سبيلاً .

محاكم التفتيش

• • يقولون : إن الجامعة التى كانت قلعة حصينة للفكر الحر تقع الآن تحت ضغوط تستهدف تحويلها إلى إحدى محاكم التفتيش .. فما ردكم ؟!

• جامعة القاهرة .. هى مفخرة مصر فى العالم ، ومحكمة التفتيش أقامها الشيوعيون لأعدائهم فى كل مكان ، فى كل دولة حكموا فيها .. الشيوعيون هم الذين أقاموا محاكم التفتيش .. هم الذين قتلوا الملايين .. فالنظام الشيوعى فى موسكو لم يقم إلا على جثث أربعين مليوناً .. منهم « ثلاثون مليوناً » من مسلمى شبه جزيرة القرم الذين ذهبوا وماتوا فى طريقهم إلى سيبيريا .. هؤلاء هم الذين علموا العالم الحديث معنى إحراق الإنسان .. معنى إزهاق روحه .. معنى قتل الحرية .. معنى مصادرة حرية الشعوب والاستيلاء على ملكيات الشعوب وتحويلها إلى مليارات فى الخارج .

• • ما هو موقف رئيس الجامعة من هذه القضية ؟

• هو موقف العالم المسئول ، وقد قرر وتثبت من كل حرف قلته بالرجوع إلى علماء آخرين .. كتبوا له من التقارير عما دفع إليهم من إنتاج الباحث .. تقارير أشد وطأة مما كتبت .. وظهر أنى كنت رحيماً جداً بالابن الآبق نصر أبو زيد .

وهذى الضجة الإعلامية الكبرى علام .. ؟!

بقلم / الأستاذ محمد عامر

جريدة الحقيقة - ١٠ /١٩٩٣/٤ م

رباه .. قامت الدنيا ولم تقعد !! هل انهار الهرم الأكبر .. تساقطت أحجاره والعياذ بالله ؟! هل توقف نهر النيل عن الفيضان .. لا قدر الله ؟! لماذا إذن زلزلت الأرض زلزالها فى مصر ؟!

قالوا إن أستاذاً مساعداً بكلية آداب القاهرة رفضت اللجنة العلمية ترقيته إلى أستاذ ، وذيلت تقريرها بهذه العبارة :

« نرى أن الأعمال التى تقدم بها تحتاج إلى إعادة نظر وتنقية ، كما تحتاج إلى إضافة جديدة تتصل اتصالاً كاملاً بمواد الدراسة التى تدرس فى قسم اللغة العربية بكلية الآداب .. فالإنتاج المقدم لا يرقى إلى درجة أستاذ بقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة القاهرة » ..

إذن !! لِمَ كل هذه الضجة ؟! إن عشرات غيره قد رفضت أبحاثهم للترقية فى المرة الأولى وتقدموا فى المرة التالية وتمت ترقيتهم .. ولم يملأوا الدنيا جلبة وصراخاً وعويلاً ، فللجنة قداستها .. فهى أشبه بمحكمة القضاء العالى .. فهل رأينا من يجرؤ أن يعترض على قضاء قضت به المحكمة أو حتى يناقشه ويتناوله بالحديث ؟!

إن هذه اللجنة العلمية المكونة من عشرين عضواً من كبار الأساتذة فى جميع التخصصات التى تهتم بها أقسام اللغة العربية على مستوى دولتنا هى

الموكل إليها وحدها ترقية أعضاء هيئات تدريس الجامعات ولقد رفضت ترقية عشرات غيره .. فلماذا هذا الأستاذ المساعد وحده .. الذى قامت له الدنيا ؟!»

إن بلدنا مصر ينوء كاهله بالمشكلات ، ويعج بالقضايا الحيوية .. فلماذا اختيرت مشكلة هذا الأستاذ المساعد ليثيروها وليملأوا الدنيا ضجيجاً وعجيجاً بسببها ، ويحاولوا أن يشغلوا بها الرأى العام فى مصر ، وكأنها قضية القضايا ؟! .. وكأن مشاكلنا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية قد انتهت ولم يعد مايشغلنا فى مصر إلا هذه الطامة الكبرى .. وهى أن اللجنة العلمية تجرأت ورفضت ترقية هذا الأستاذ المساعد !!

وقد ظن الرفاق بكتاباتهم ضد هذه اللجنة الموقرة أنهم سيرهبونها ، وسيدخلون الرعب إلى قلب الجامعة .. ولقد أحسن الأستاذ الدكتور مأمون سلامة صنعاً عندما تجاهل صراخهم ، وأصدر أوامره بألا يشترك أحد من أساتذة الجامعة فى هذه المهاترات ، فللجامعة تقاليدها ، وللجنة قداستها .. فاستشاط الرفاق ومن سار على دربهم غيظاً .. فكيف لاتثمر هوجتهم بأن يجروا الجامعة إلى أن ترد ثم يرد عليها .. وهكذا يحولونها إلى قضية كبرى .. ولذلك صدرت صحيفتهم يوم الأربعاء الماضى وقد امتلأت هجوماً على اللجنة العلمية ، ونعتوها بأقذع الألفاظ ، وتناولوا شخص الدكتور عبد الصبور شاهين بالتجريح والتشهير، فأحد مقالاتهم جاء بعنوان « جامعة القاهرة والتقارير العلمية الوهمية » ، وبداخل المقال:

« .. لقد قام التقرير الذى كشف عن فضيحة جامعية على أساس من أدوات التعتيم الجماهيرية التى يستخدمها العوام من الناس وليس العلماء .. »

وانتهى :

« ليت جامعة القاهرة تستر هذه الفضيحة ، وتعمل على أن تجرى الأمور فى صدق وإخلاص ، وفى ممارسة الحياة العلمية الجامعية فى إطار من المناهج الفكرية والأساليب العلمية ، وليس فى ردود الأفعال الجماهيرية ، وفى إطار

المسلمات الشعبية والعامية .. ثم ينشرون صفحة كاملة فى نفس الصحيفة يهاجمون فيها الجامعة ، ويزعمون أنها تحولت من منارة للعلم إلى إدارة للموظفين ... » .

على رسلكم أيها الرفاق .. فمهما شحذتم من سيوف ، وشرعتم من رماح ، وسددتم من سهام .. لن ترهبوا الجامعة .. وبم يوصف ماتكتبون ؟! أليس هو الإرهاب بعينه .. مع أنكم تزعمون أنكم تحاربون الإرهاب ؟ فأى دور بعد أن افتقدتم أى دور تلعبون ؟

فيا أيها الرفاق الإرهابيون .. إذا كنتم تنشدون الحق والعدل .. لماذا لم تدافعوا عن ترقية عشرات من طالبى الترقية أمثال دكتوركم المتهم .. ولست فى حل من ذكر أسماء عشرات الدكاترة أمامى .. ولكنى سأذكر دكتوراً واحداً قد يكون ذكره حَجَراً نلقم به أفواهكم الفاغرة .. تقدم إلى هذه اللجنة الأستاذ المساعد عبد الرحمن شاهين بقسم النحو بكلية دار العلوم بإنتاجه ، فلم تجز اللجنة ترقيته وهو أخو العالم الجليل الذى أقمتم عليه الدنيا ، واستنفرتم الصحافة المحلية والعالمية لتشويه سمعته لمجرد أنه لم يمنح رجلاً يهمكم أمره لأنكم مع غيركم تعدونه ليكون خليفة لزعيم العلمانيين .. ولكن الله لم يبلغكم ماتسعون إليه ، ورد كيدكم إلى نحوركم .

ثم متى كانت الصحافة أو الإعلام حكماً أو طرفاً فى التقارير الجامعية ؟!! فالتقارير الجامعية ليست مباراة كرة قدم أيها الرفاق .. حنانيكم .. فلستم أنتم ولا من يشابهونكم الذين تعلمون الجامعة كيف تحكم على أبحاث أعضاء هيئة تدريسها ولستم أنتم الذين تعلّمونها أساليب البحث العلمى .. وإلا لاختلط الحابل بالنابل وطالبنا نحن الصحفيين أن نقعد مقاعدهم ولاقتحموا هم أماكننا فى الصحف ، وأصبحت « زيطة » إن استاذاً جامعياً قال أمامى ساخراً :

« إن أستاذهم المساعد هذا قد أخطأ .. فلو أنه تقدم بهذه الأبحاث الإلحادية إلى جامعة سوفيتية قبل أن تنهار الشيوعية ربما كانوا يجيزون

ترقيته .. وإن كنت أشك فى ذلك ، فقد كانوا سيفكرون ألف مرة ومرة قبل أن يمنحوه الترقية » .

وأضاف أستاذ آخر :

« إن دكتورهم هذا قد ذهب إلى أمريكا واستحضر من هناك ماكتبه المستشرقون عن الإمام الشافعى وما كتبوه عن المعتزلة ، ثم سافر مرة أخرى إلى اليابان وظل هناك أربع سنوات يدرس اللغة العربية فى جامعاتها .. ولقد أعد خلال هذه السنوات إعداداً جيداً للقيام بدور أشبه بالدور الذى قام به الدكتور الشيخ بجامعة الأزهر من تشكيك فى السنة المطهرة تحت دعوى حرية البحث العلمى .. وأسرع الأزهر فطهر الجامعة الأزهرية منه ، فانطلق يكتب فى صحيفة معارضة يغمز ويلمز فى الإسلام فى مقالاته المشبوهة تحت عنوان « **قال الراوى** » .. وهو عنوان خبيث فهو يقصد راوى الحديث الشريف .. وهذا الوجه الجديد الأستاذ المساعد الذى ملأوا رأسه بأفكار غريبة .. يطعن فى كل شئ .. أنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة .. فَكَذَّبَ القرآن ، واتهم عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه بالتحايل والتحيز إلى قبيلته قريش وهو يمشى فى ذلك خلف المستشرق .. « رجيس بلاشير » فى كتابه (مدخل إلى القرآن) وكان عليه أن يناقشه ويبين خطأه بدلاً من الجرى خلفه ، وقد ظهر ذلك جلياً فى بحثه (تنمية الثقافة وثقافة التنمية) .. كما وصف المراحل الأولى من الإسلام بأن التفكير فيها كان تفكيراً دينياً غيبياً تواكلياً تواطئياً .. ويدخل الغيب فى دائرة الخرافة والأسطورة .. ويقرر وهو المسلم أن القرآن الكريم تعرض للمحو والإثبات ، ويبنى هذا على ماتدعيه بعض طوائف الشيعة من أن القرآن محيت منه عمداً النصوص الدالة على إمامة علىّ .. ولايكلف نفسه مشقة التدقيق فى هذا الزعم .. والحقيقة أنه لم يقل بهذا الزعم إلا الشيعة الغلاة .. وأما « الإمامية » وهم الكثرة الكاثرة فإن موقفهم هو موقف أهل السنة من تنزيه القرآن عن المحو والإثبات تصديقاً لقوله تعالى : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ [الحجر : ٩] » .

وأنهى الأستاذ الجامعى حديثه قائلاً :

« أرأيتم لماذا هاج الرفاق وماجوا يناصرون هذا الأستاذ المساعد ويهاجمون اللجنة العلمية الموقرة ؟ أقول إن الرأى العام فى مصر يعجب لماذا انبرى الشيوعيون والعلمانيون يدافعون عن هذا الرجل بالذات ؟ » ولو عرف السبب لبطل العجب .. فلو حصل هذا الأستاذ المساعد على الترقية لكانت فرصتهم أن يشيعوا أن الجامعة العريقة .. جامعة القاهرة .. قد اعترفت بفكرهم الملحد اللاديني ، وختمته بخاتم النسر ، وبات سهلاً لهم ولأمثالهم أن ينادوا بمصر العلمانية .. فلاهى إسلامية ولانصرانية ولايهودية .. وهو مايعارضه شعب مصر الذى يرفض هذا المنحى ، ويرفض مايفعلونه فى صعيد مصر بدعوى إحياء الحضارة الفرعونية حيث يبنون نقط الشرطة والمرور ونقط الإسعاف على الطرق السريعة على هيئة معابد فرعونية، عند أوبرج الفيوم ، وفى دهشور ، وفى كوم أوشيم .. لماذا ؟ يريدون ضرب الحضارة والعمارة الإسلامية ؟!!

فيا أيها العلمانيون .. لن تفلحوا .. فالإسلام فى مصر باق رغم أنوفكم ، ولو هدمتم كل مبانيها الإسلامية وحولتموها إلى فرعونية .. فهل تستطيعون هدم آلاف المآذن!! موتوا بغيظكم ، ولن أقول إلا كما قال شوقى من قبل :

إلام الخلف بينكمو إلاما ... وهذى الضجة الكبرى علاما

وفيم يكيد بعضكمو لبعض ... وتبدون العداوة والخصاما

ولما لم يحصل دكتورهم هذا على الترقية انتهزوا هذه الفرصة ، وأقاموا الدنيا حول هذه الواقعة ، ونقلت عنهم الإذاعات الأجنبية ووكالات الأنباء .. لماذا كل هذا ؟ ليثيروا هوجة إعلامية حول هذا الوجه الجديد الذى يريدون تقديمه للناس ليكون بديلاً عن زعيم العلمانيين الذى فقدته ساحتهم .

وكما انطلق الرفاق والعلمانيون يسددون السهام إلى الجامعة تباكياً منهم على حرية الفكر يريدون إرهاب الجامعة .. انبرى لهم الكاتب جمال بدوى ساخراً من أسلوبهم وأنهى مقاله بقوله : « العبوا غيرها » وكتب بعده

بيوم واحد الدكتور مصطفى محمود فى الأهرام وفند دعاواهم وأنهى مقاله بقوله : « صاحبنا الذى اتهم الصحابة وأنكر إعجاز القرآن وحيا سلمان رشدى وصفق لكارل ماركس .. قرأنا له على العين والرأس ولم ننكر حقه فى التفكير ولا حريته فى أن يختار الرأى الذى يستريح إليه ، لم ننكر عليه إلا النيشان والدرجة .. أصبح مطلوبه أن نذعن وأن نضرب لسيادته سلاماً وإلا أصبحنا إرهابيين .. وحينئذ اختلفنا ، وحق لنا أن نختلف .. فمن منا أذنب ومن منا يرهب الآخر » .

وعرضت جريدة الشعب الثلاثاء الماضى القضية فى تقرير واف أعده الصحفى شعبان عبد الحى ووعد بإكمال النشر فى عدد الجمعة التالى بعرض تقرير أعده د. محمد البلتاجى أستاذ الشريعة الإسلامية بالجامعة وعميد دار العلوم ..

يبدو أن الرفاق أرادوا أن يوسعوا الدائرة ، فخرجوا من دائرة التقرير العلمى للجنة الترقية إلى الطعن فى شخص الدكتور عبد الصبور شاهين ، فكتبوا أنه كان مستشاراً لشركات الريان ورسموا له كاريكاتيراً ليسخروا منه .. فعندما نشرت الصحف اختياره مستشاراً لشركات الريان كذب هذا الخبر فى اليوم التالى للنشر وقال عندئذ : إنه مجرد مودع اختير ليكون عضو مجلس إدارة ، وقد اعتذر عن هذه العضوية ، ولدى مجلس الشورى وثيقة رسمية بهذا الاعتذار .. ولقد ذكر لى عندما قامت المجلة « إياها » بالهجوم على شخصه وليس على تقريره بأنه شاهد مندوب هذه المجلة ، وهو يتسلم من أحمد توفيق الريان عقداً لطباعة كتب التراث بـ ٢ مليون جنيه دفع منها نقداً مليوناً ونصف مليون ..

مليون جنيه .. كانت هذه المجلة تكتب الصفحات تلو الصفحات فى التنويه عن هذه الشركات والإعلان عنها وعن صاحبها ومن له بها صلة .

فيا أيها الرفاق إن ضجتكم مجرد زوبعة فى فنجان وكل تباكيكم على

حرية الفكر والرأى سيذهب أدراج الرياح ، وأنا أناشد زملائى من الكتاب الذين يغارون على الجامعة وتقاليدها أن يتوقفوا عن الرد على هؤلاء العلمانيين حتى نضيع عليهم فرصتهم فى تلميع الوجه الجديد الذى يريدونه خليفة لزعيم العلمانيين .. فما كان للجامعة أن تتأثر بهذه « الهوجة » حتى لو تحولت إلى عاصفة .. فلنكف عن الحديث فى هذه القضية ولنتركهم يتحدثون ، وفى غيهم يعمهون ..

فيا أيها الزملاء إن هذا الرجل مدعوم من الخارج ومن الداخل - هدانا الله وإياه - ورده عن غيه وشرح صدره للبحث العلمى الدقيق بعيداً عن زيغ المستشرقين الضالين المضلين .

ولقد ذكر لى أحد الأساتذة أن بشائر تنصيبه زعيماً للعلمانيين فى مصر قد ظهرت .. فقد كافأته الجامعة الأمريكية بأن خصصت له محاضرة عامة بها تحت عنوان « حرية الفكر » يحضرها الدكاترة والأساتذة بالجامعة .. ألم أقل لكم أيها الزملاء : إن الرجل مدعوم .. مدعوم "

* * *

الحقيقة فى قضية نصر أبو زيد:

الهجوم المنظم على جامعة القاهرة

تحقيق بقلم / الأستاذ مجدى سالم

مجلة عقيدتي - الثلاثاء ٦/ ٤/ ١٩٩٣

هكذا .. والدولة تحاول أن تجمع كل قواها لتقف وقفة رجل واحد، لمواجهة ماتتعرض له مصر من أخطار انتهز التيار العلمانى الفرصة للهجوم على كل ماهو إسلامى .. واستخدموا فى ذلك نفس السلاح الذى يدعون مقاومته .. استخدموا الإرهاب الفكرى فى حملة عنيفة ومنظمة بدأت فى لحظة واحدة .. تذكرنا بما كان يفعله الشيوعيون فى السابق، عندما كانت لجنتهم المركزية تخطط لهم لينطلقوا جميعاً نحو هدف واحد، وبتوزيع مدروس للأدوار.

وبعد أن كان الأزهر الشريف هو الهدف المحبب دائماً لهجماتهم وإرهابهم الفكرى تحول هجومهم هذه المرة إلى جامعة القاهرة..

ولنبدأ القصة من بدايتها..

تقدم الدكتور نصر حامد أبو زيد الأستاذ المساعد بكلية الآداب بجامعة القاهرة لنيل درجة أستاذ بقسم اللغة العربية، وطبقاً للقواعد المعمول بها عرض الإنتاج العلمى للدكتور نصر على اللجنة العلمية المتخصصة (وهى اللجنة الدائمة لفحص الإنتاج العلمى) حيث تولى ثلاثة من أعضاء اللجنة فحص هذا الإنتاج، وقدم كل منهم تقريراً إلى لجنة الترقى، وقد تبنت اللجنة تقرير الدكتور عبد الصبور شاهين الذى خلص إلى أن الأعمال التى تقدم بها الدكتور

نصر حامد أبو زيد تحتاج إلى إعادة نظر وتنقية ، كما تحتاج إلى إضافة جديدة تتصل اتصالاً كاملاً بمواد الدراسة التى تدرس فى قسم اللغة العربية .

وأضاف التقرير أن الإنتاج العلمى المقدم لايرقى إلى درجة أستاذ بقسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة القاهرة .

إلى هنا وكان يمكن أن ينتهى الموضوع . . فكثيراً ماتصدر لجان الترقية مثل هذه القرارات ولايثار مثل هذا الضجيج .

ولكن نظراً لانتماء الدكتور نصر إلى التيار العلمانى ، أبت بعض الأقلام إلا أن تثير حرباً شعواء على أعضاء اللجنة متصورين أن ذلك سيجبر عدداً من الأساتذة على العدول عن رأيهم والتخلى عن قناعتهم .

الضغط والتهديد

بدأت حركتهم من داخل قسم اللغة العربية بكلية الآداب حيث قام بعض الأساتذة بالضغط على الآخرين واستخدم أساليب التهديد ، وتم إعداد تقرير مناهض لقرار لجنة الترقى ، وقدم هذا التقرير إلى مجلس كلية الآداب ، حيث كان هناك خلاف كبير حول القضية انتهى بعد عدة ضغوط برفع التقرير إلى مجلس الجامعة .

ورغم ما فى ذلك من تجاوز للتقاليد والأعراف الجامعية ، فقد عرض هذا التقرير . . لكن مجلس الجامعة برئاسة الدكتور مأمون سلامة وهو أستاذ قانون له احترامه وتاريخه أخذ فى النهاية برأى وتقرير اللجنة الدائمة ، وتم تقديم بعض إنتاج الدكتور نصر إلى أساتذة من خارج اللجنة فكانت تقاريرهم أشد فى نقدها لمؤلفات الدكتور نصر من اللجنة الدائمة .

وهنا لنا وقفة . . فنحن حتى الآن لم نناقش أفكار الدكتور نصر . . ولكن مازلنا مع الوقائع . . ونتساءل ممن تتكون لجنة فحص الإنتاج العلمى ؟!

تتكون لجنة فحص الإنتاج العلمى من أساتذة كبار تتوافر فيهم شروط مشددة ودقيقة تتعلق بكفاءتهم العلمية وخبرتهم وأقدميتهم . .

وكانت لجنتنا مكونة من الأساتذة الذين يحملون لقب أستاذ دكتور منذ سنوات طويلة مضت وهم : شوقى ضيف ، أحمد هيكل ، رمضان عبد التواب ، نبيلة إبراهيم ، محمود حجازى ، كمال بشر ، محمود مكى ، مصطفى هدارة ، عبد السلام عبد العزيز ، عونى عبد الرؤوف ، محمود ذهنى ، عبد الصبور شاهين ، سيد حامد النساج .. وهم قمم علمية وأدبية لها مكانها ومكانتها فى مصر والعالم ، ولايمكن أن يجوز الطعن فى كفاءتهم أو نزاهتهم .

وقد جرت العادة على أن تشكل لجان فرعية لفحص الإنتاج العلمى حيث يقدم كل عضو فى اللجنة تقريره وللجنة الدائمة أن تأخذ بما تراه .

وفى حالتنا تم تشكيل لجنة فرعية من د. عونى عبد الرؤوف ود. محمود مكى ، ود. عبد الصبور شاهين .

إجماع الآراء

وأخذت اللجنة العامة بتقرير الدكتور عبد الصبور شاهين ، ووافقت عليه بالإجماع بينما امتنع د. سيد النساج عن التوقيع .

ولنا هنا ملاحظة مهمة وهى أن عضوى اللجنة الفرعية د. محمود مكى ، ود. عونى عبد الرؤوف أخذا فى النهاية بتقرير الدكتور عبد الصبور .. بما يعنى اقتناعهما بوجهة نظره ، وقاما بالتوقيع مع باقى أعضاء اللجنة .

وهنا لنا وقفة ثانية :

ماذا نقول عندما تجمع الأغلبية على رأى ويخرج عنه أحد أو بعض الأفراد ؟!! هل يحق لهذا البعض أن يمارس الضغط بدعوى الإرهاب الفكرى ؟ ألا يعنى ذلك أنه بهذا الضغط يمارس عين الإرهاب الفكرى ويعدم الديموقراطية ؟

وعندما تتبنى الأغلبية الساحقة من لجنة علمية لها احترامها ولها حصانتها العلمية رؤية علمية لها أسانيدها فهى ليست ملامة إلا بما يمليه عليها ضميرها العلمى .

وتبقى ملاحظة مهمة .. وهى أن التزامن والتوافق الغريب فى النشر فى مجموعة من الصحف القومية والحزبية ، والكتابة بنفس الكلمات والعرض

بنفس الأسلوب يشير إلى أن ثمة بياناً واحداً قد أعد بصياغة واحدة ، ونشر بتصرف بسيط فى كل هذه الصحف والمجلات ، مما يضعنا أمام احتمال أن عملية إرهاب فكرى منظمة تتم لكل المفكرين الإسلاميين فى تنظيم وتناسق .. ثم لماذا لم يلجأ د. نصر للقضاء ؟ وهو الحق الذى يكفله النظام العام لكل مواطن .. مجرد سؤال !!

أما عن فكر الدكتور نصر الذى تتباكى عليه أقلامهم فسوف أكتفى بما كتبه فى مقال نشرته له مجلة القاهرة ، تحت عنوان : « ثقافة التنمية وتنمية الثقافة » ، وفيه يركز حول موضوع العقل العربى وأنه محاصر بين سلطتين : سلطة النص الدينى ، وسلطة السياسة الحاكمة .. ويقول :

« ولاخلاص من تلك الوضعية إلا بتحرير العقل من سلطة النصوص الدينية وإطلاقه حراً يتجادل مع الطبيعة والواقع الاجتماعى والإنسانى فينتج المعرفة التى يصل بها إلى مزيد من التحرر فيصقل أدواته ويطور آلياته » .

وهو هنا يعنى بالنصوص الدينية مايشمل القرآن والسنة ، وهى دعوى يريد بها نفى العلاقة بين النص القرآنى بخاصة والعقل .. مع أن النص القرآنى لايتعارض مع العقل بأى حال من الأحوال .. بل إن عشرات من آيات القرآن الكريم تدعو الإنسان لإعمال عقله فى الكون ، وتفرق بين الذين يعلمون والذين لايعلمون .. بل تدعو لتأمل القرآن ذاته ، والتفكير فيه ، والتدبر فى معانيه . (ملحوظة مهمة : د. نصر كان متقدماً لنيل درجة أستاذ فى علوم القرآن الكريم) !!

وفى النهاية .. إن مانراه حالياً من الإرهاب الفكرى الذى تقوده طائفة من المثقفين !!! بالحديث عن أدوات ومفردات جديدة يستخدمها بعض الباحثين والمؤلفين هو فى الواقع بضاعة بائرة .. فعندما يأتى شاعر نكرة ، ويتهجم على القرآن الكريم ، وينسج على منواله كلمات سخيفة بلا أى معنى ولاقيمة أدبية ، ويصدر هذا الهراء عن دار نشر حكومية يدفع المواطن مرتبات

موظفيها ، وتكاليف إنتاجها من الضرائب والرسوم ، وتقدم له دار النشر بأنه يقدم تجربة طليعية رائدة ، فذلك يعنى أن هناك من يخططون لضرب الإسلام بالطعن فى القرآن الكريم ، والتعريض به ، ويعتبرونه مجرد كتاب من كتب التراث أو التاريخ ، وهم فى ذلك لايختلفون عن الذين يرتدون عباءة الإسلام زوراً ، ويرتكبون جرائمهم ضد الدين وضد الوطن .

* * *

ليست واقعة فريدة

بقلم أ . د . شحاتة مغاورى دياب *

جريدة الأهرام - ١٩٩٣/٦/٣٠

الأستاذ / لطفى الخولى

طالعت بأسى وغم أشد من أساك وغمك .. مقالك على صفحة الحوار القومى بجريدة الأهرام الموقرة بعنوان « كتّاب سيدنا أو جامعة القاهرة » ، وفى هذا المقال وصفت جامعة القاهرة بأنها كانت العمود الفقرى الراسخ للبيئة الجامعية الحديثة فى العالم العربى ، وربما المشرق الأوسط وأفريقيا .. كما ذكرت أن بعض التقارير تكشف ضمن ماتكشف عن بعض أسرار المصيبة وراء الاتهامات التى تشيع فى الأروقة العالمية الأكاديمية ومجتمعاتنا حول المستوى العلمى لجامعة القاهرة عموماً إلى الحد الذى باتت معه كثير من الجامعات ذات الوزن - ليس فقط فى أوروبا وأمريكا .. بل وفى عالمنا العربى والشرق الأوسط والأفريقى - باتت ترفض الاعتراف بالعديد من شهاداتنا الجامعية !!

ولقد وصلتَ فى حكمك الجائر على الجامعات المصرية وعلى رأسها جامعة القاهرة اعتماداً على تقرير منفرد مقدم من أحد الأساتذة الفاحصين عن الإنتاج العلمى المتقدم فى أحد المجالات ، وانتقلت بهذا التقرير السلبى من الخاص إلى العام ، ومن أزمة أستاذ مع جامعته (على نحو توصيفك) إلى أزمة التعليم الجامعى فى مصر بكل أبعادها .. »

ولعل مبعث الأسى والغم أيها الكاتب أنك قد جانبك الصواب ،

(*) المستشار الثقافى ومدير البعثة التعليمية لمصر بوارسو - بولندا - أستاذ جيولوجيا المياه - وعميد كلية العلوم جامعة المنوفية السابق .

وتجاوزت حدود المقبول بأحكامك تلك على جامعة القاهرة .. بل على جامعات مصر - بل التعليم الجامعى .. كما أهنت « الكتاتيب » وكم كنت أتمنى ألا ينزلق كاتب مرموق مثلك إلى هذا المنزلق وأنت تعلم أن الكتاتيب قد أدت خدمات جليلة إلى التعليم فى مصر فى زمانها .. فمابالك بحجم الإهانة التى أوقعتها بجامعة القاهرة والجامعات المصرية جميعها .

ولعل الأمر المحير فى واقعة الترقية التى تحدثت عنها أنها ليست الواقعة الأولى لعدم الترقى بالجامعات المصرية ، وأن صديقك ليس أول شخص لاتوصى اللجان العلمية بترقيته .. فهناك العشرات ممن لم يرقوا .. ولم يك ذلك نهاية العالم .. بل عاود الجميع التقدم واجتازوا العقبة ، وأصبحوا أساتذة ، وبعضهم الآن أعضاء لجان علمية يوصون أحياناً بعدم الترقى لمن يرون أنه لايستحق الترقية ، وبدون أن يتعرضوا لهجوم ساحق على نحو ماورد فى مقالك..

فلماذا هذه الواقعة هى التى تحظى بكل هذا الاهتمام ؟! ومن تيار بالذات أنت تمثله خير تمثيل ؟! وإذا تجاوزنا حدود فهم الدوافع لاستخدام هذه الواقعة بالذات وهى « مربط الفرس » على نحو ما يقولون فإنه قد يكون من الواجب - ربما نعرف وربما لانعرف - توضيح مايلى :

١- أن اللجان العلمية لترقية الأساتذة المساعدين أو الأساتذة (فى أغلبها) مكونة من خمسة وعشرين أستاذاً ممن مضى على أستاذيتهم سبعة أعوام على الأقل بالنسبة للجان ترقية الأساتذة ، وبالطبع فإنها كوكبة من الأساتذة الذين عركتهم الحياة الجامعية والعلمية والبحثية ، وتمرسوا فى عملهم فى إتقان وتفان ، وفى حياد مفترض .

٢- بالقانون يرسل الإنتاج العلمى إلى مقرر اللجنة العلمية الدائمة الذى

يعرضه بدوره على اللجنة العلمية الدائمة الذى يعرضه بدوره على اللجنة العلمية بكامل هيئتها ، والتى تختار من بين أساتذتها ثلاثة من بين الأساتذة المتخصصين فى مجال المتقدم كفاحصين .. وإذا لم يوجد من بين أعضاء اللجنة ثلاثة من الأساتذة المتخصصين ، تقوم اللجنة بندب محكم أو أكثر من خارجها من الأساتذة المتخصصين .

٣- يتقدم الأساتذة الفاحصون كلٌّ بتقرير منفرد إلى اللجنة العلمية الدائمة بكامل هيئتها والتى تتولى - ضماناً للحياد والعدالة - مناقشة تقارير الفاحصين تقريراً تقريراً وبحثاً بحثاً ، ثم تأخذ متوسط تقديرات الفاحصين عن كل بحث ثم متوسط تقديرات الفاحصين عن الإنتاج العلمى للمتقدم إجمالاً .. ثم تصدر حكمها فى ضوء القواعد العامة التى تنتهجها اللجان العلمية مع مراعاة طبيعة التخصص ، وضمان الإبداع والتفرد والابتكار .. إلخ .. من المواصفات التى لايدركها إلا المتخصصون المتمرسون .. وهم بالطبع الأساتذة أعضاء اللجنة .. إذن فالقرار النهائى هو قرار اللجنة بكاملها ، وليس قرار ممتحن أو فاحص واحد .. ومن ثم:

ليس شرطاً أن تجيز اللجنة العامة ترقية متقدم أجمع على ترقيته الفاحصون الثلاثة ، أو أن تجيز اللجنة العامة عدم ترقية متقدم أجمع على عدم ترقيته الفاحصون الثلاثة أو أحدهم أو اثنان منهم .. أو قد ترى اللجنة مجتمعة أن هناك جوانب أخرى كانت خافية على أحد الفاحصين أو اثنين منهم أو ثلاثتهم ، ومن ثم فإن ملاحظة سيادتك لامبرر للتساؤل حولها .. إذ ليس هناك مايمنع من أن تلمح سيادتك توقيع الفاحصِينِ الآخَرَيْن اللذين أجازا ترقية صاحبك على تقرير اللجنة العامة التى لم تجز ترقيته من منطق ديموقراطى حيث يلتزم العضو بعد أن يطمئن ضميره برأى الأغلبية وعن اقتناع .. وإذا لم يك مقتنعاً ، فله أن يسجل رأيه فى التقرير النهائى للجنة .

٤- يأتى بعد ذلك دور المجالس الجامعية (مجلس القسم - مجلس الكلية - ثم مجلس الجامعة) التى يعرض عليها فى تصاعد تقرير اللجنة موصياً بالترقية أو عدم الترقية ، وقد جرى العرف الجامعى و التقاليد الجامعية على الأخذ بتوصية اللجنة العلمية الدائمة ، ثم التصدي لرأى مجلس القسم بإقرار توصية اللجنة ، أو مناقشة ما قد يلاحظه مجلس القسم من ظلم وقع ، أو جور محتمل سلباً أو إيجاباً .

وعلى هذا سيادة الكاتب الكبير .. ألا ترى أن المسألة المطروحة ليست من قبيل مايتم التحاور بشأنه قومياً ، وأن أموراً أولى وأجدر بأن تطرح للحوار القومى بدلاً من قضية علمية بحثية مجالها مجالس الأقسام و الكليات ولجان علمية متخصصة ؟

لقد أخذْتَ على الأستاذ الفاحص استخدام ألفاظ واتهامات وعبارات فى التقرير العلمى المقدم للتداول فى لجنة علمية ، ووجهت إليه لوماً شديداً أراه قد ارتد إليك - وللأسف - لاستخدامك أساليب وألفاظاً وتهديدات وصفات لاتقل فى معناها ومحتواها عما يعرفه الناس من الإهانة و التجريح .. وعلى صفحات الجرائد .. بل إن ماتدفع به ضد الأستاذ الفاحص من أنه واجهة تليفزيونية حزبية .. إلخ .. هو نفسه مايدفع له ضدك .. ألست أنت أيضاً واجهة تليفزيونية إعلامية حزبية .. لكن فى الاتجاه المعاكس ؟

كما أن ما تبشر به من التعرض فى الأسابيع القادمة من نشر تقرير الأستاذ الدكتور الفاحص ، وتقرير مجلس قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة القاهرة (حتى توفر على حد تعبيرك مناخ وعوامل الموضوعية للرأى والرأى الآخر ، وتحصنها ضد الجنوح للذاتية ، والشخصانية ، والتحجر الأيديولوجى ، وغير ذلك مما كنا قد نسيناه منذ الستينيات) .. هو بعينه الجنوح

والتمادى فى استغلال منبر جريدة الأهرام لفرض موقعة لامبرر لها ، وإبراز واقعة ليست فريدة ولاشاذة فى المجتمع الجامعى على نحو ماذكرت فى بداية رسالتى إليك .. كما أنها ليست ضمن أولويات الحوار القومى التى تتبناه الجريدة ، كما أن اتهامك لمجلس جامعة القاهرة الموقر بأنه (ماشى مع الريح) ، وأنه (منتفخ الأوداج) - من الأقوال العالية الصوت بالسب والقذف والابتزاز باسم الدين على حساب حرية الفكر والبحث العلمى .. هو افتراء وإهانة لكيان علمى أخلاقى يحرس أعضاءه تاريخ ممتد الجذور فى القيم والأخلاق ، كيان جامعة يحرص دائماً على إعلاء قيم الحرية ويعلمها مجلس لم يفعل سوى أن مارس عمله .

إن الجامعات المصرية بخير ، ولايقلل من شأنها حرص أساتذتها على المطالبة بتطوير الأداء بها وتحديثها باستمرار من واقع رغبتهم فى ملاحقة الجديد والمستحدث فى العالم علمياً وأدبياً .. تلك الرغبة فى التطوير والتحديث التى اتخذتها سبباً للهجوم عن حالة «عدم ترقى» انفصلت بها من الخاص جداً إلى العام جداً ، ونسيت فى غمرة هجومك أو دفاعك أنك قد أهنت جامعة - بل جامعات مصر - التى لم نصادف حتى الآن حولها سوء سمعة أو إنكار لمستواها العلمى فى أوروبا أو أمريكا أو فى عالمنا العربى والشرق الأوسط أو إفريقيا .. بل هى محل تقدير وثقة من الجميع .

بقى أن تعرف سيادة الكاتب الكبير أننى لاتربطنى أدنى علاقة بالرافض والمرفوض موضوع مقالك .. لكن إحساسى بالإهانة كأستاذ مصرى وغيرتى على سمعة جامعاتنا وخريجيها وأساتذتها هو الذى دفعنى للكتابة إليك .. راجياً لك صحة وسعادة ، ولجامعات مصر وكتاتيبها كل تقدم وازدهار .

* * *

الدكتور عبد الصبور شاهين يعقب :

•• الشيوعيون فى مصر يعتبرون أنفسهم فوق القانون

•• قرار الجامعة سيادى ولن يستسلم للإرهاب الشيوعى

اسانيد البحث تقوم على :

١ - التخلص من القرآن والسنة باعتبارهما « نصوصاً قديمة » !!

٢ - أبو بكر وعثمان تآمرا ضد الحرية !!

٣ - الشافعى كان عصبياً وقبلياً وسلمان رشدى شهيد !!

حوار أجراه / عادل حجازى

جريدة العروبة - الثلاثاء ٢٧ / ٤ / ١٩٩٣

منذ صدور قرار مجلس جامعة القاهرة بعدم ترقية الدكتور نصر حامد أبو زيد الأستاذ المساعد بكلية الآداب إلى درجة الأستاذية والشيوعيون والعلمانيون فى كافة صحفهم ومجلاتهم يشنون هجوماً ضارياً على الجامعة وعلى الدكتور عبد الصبور شاهين ، الذى وكله مجلس الجامعة بمراجعة إنتاج الدكتور أبو زيد العلمى ، وقام الدكتور عبد الصبور شاهين باعتباره الأستاذ المكلف من قبل الجامعة بمراجعة إنتاج الباحث . .

وكان الدكتور عبد الصبور شاهين قد خلص من مراجعة البحث بأنه لا يتعدى كونه كلاماً جدلياً يضرب فى جدلية بدون هدف أو معنى علمى إلا تشويه صورة الصحابة وتاريخ المسلمين . . وبأمانة العالم بموضوع « البحث » جاء تقرير الدكتور عبد الصبور رافضاً لترقية الباحث ، وتم عرض الموضوع برمته على مجلس الجامعة فأصدر قراره مؤيداً لوجهة نظر الدكتور شاهين .

ولأن تقرير مجلس الجامعة جاء متفقاً مع تقرير الدكتور عبد الصبور فى عدم استحقاق الباحث للترقية تكتل الشيوعيون والعلمانيون فى جامعة القاهرة ضد مجلسها الموقر وضد الدكتور شاهين ، وبدلاً من أن يحترموا الجامعة وأساتذتها خرجوا بالموضوع إلى الرأى العام وأعلنوها حملة شعواء ضد كاتب التقرير .. مع العلم أن الباحث ليس أول ولا آخر من تحجب عنه الترقية .. إلا أن المؤيدين للباحث لم يرتضوا لا بتقرير مجلس الجامعة ولا بتقرير مجلس القسم .. فأعدوا تقريراً ثالثاً .. اتهموا فيه الدكتور شاهين بأنه كان غير موضوعى فى حكمه على إنتاج الباحث ، واتهامات أخرى كثيرة .. يرد عليها الدكتور شاهين خلال هذا الحوار .

بداية الأزمة

●● ما هى حقيقة الأزمة التى نشبت فى جامعة القاهرة فى الأيام الأخيرة .. والتى اتهمت بإشعالها ؟

● البداية .. أن عضواً بهيئة التدريس قسم اللغة العربية - بكلية الآداب تقدم كما يتقدم أى باحث آخر يبحث من أجل الحصول على ترقية للدرجة الأعلى .. والطبيعى أن اللجان العلمية فى الجامعة تقوم - كما حدث بالفعل - بفحص إنتاج الباحث ، ويكون قرار اللجان سيادياً فى الحكم على إنتاج أى باحث يستحق الترقية أو لا .

●● ما هى دوافع الاتهام ..إذن .. ؟؟

● القرار لم يأت فى صالح الباحث .. والشيوعيون لم يتحملوا أن يجرى لأحدهم ما يجرى لكل الناس .. فهم يعتبرون أنفسهم فوق القانون .. والسبب الأهم فى حملتهم هذه .. أنهم لم يتصوروا أن هناك من يستطيع أن يقول لا .. وأن هناك من يقرر الحق المطلق ويلتزم بالموضوعية .. تلك الموضوعية هى وحدها التى أدانت رفيقهم الباحث فهاجوا وماجوا وسخطوا .. بعد أن نقرر نهائياً عدم استحقاق الباحث للترقية وإلغاء إنتاجه ..

●● ما هى الأشياء المحرمة التى تعرض لها الباحث والتى كانت سبباً فى هذا الحكم على إنتاجه .. ؟

● إنتاج الباحث لا يتعدى كونه خليطاً من إلحاد وتطرف .. الأدلة على ذلك متعددة أهمها : تعرضه للقرآن الكريم فى قوله الذى يوحى بأن أبا بكر وعمر وعثمان كانوا من المتآمرين على الحرية .. فصنعوا قرآناً خاصاً بقريش .. وقضوا على تعددية النص لأنه يتصور أن كل قبيلة كان لها قرآن .

وقال : إن من حقنا أن ننقد القرآن .. لأنه منذ نزل على الرسول محمد ﷺ قد انفصل عنه صفة الألوهية وأصبح بشرياً .

وقال : إن الإسلام هو سر تأخر المسلمين .. والمسلمون لا يريدون أن يصدقوا هذا ..

وقال : إن الماركسية هى الإيمان .. والعلمانية هى الدين الحقيقى .. وأضاف أنه ليس صحيحاً أن العلمانية والماركسية إلحاد .

وطعن فى الإمام الشافعى بغرور .. وقال : إنه كان عصبياً قبلياً وطالب بضرورة التخلص من القرآن والسنة باعتبارهما نصوصاً قديمة .

وكان من ضمن ما ذهب إليه ، أنه اعتبر سلمان رشدى شهيداً .

إلى أقوال أخرى متناثرة فى ثنايا مقالاته المنشورة فى مجلات الشيوعيين .

وهكذا يرتفع صوت الشيوعيين فى قسم اللغة العربية بجامعة القاهرة .. الذين سيطروا عليه سيطرة كاملة .. ويشنون الإرهاب والرعب .. ويدفعون الشباب لاعتناق التطرف ..

●● بعد هذه « الضجة » التى أثارت الرأى العام خارج أسوار الجامعة .. هل يمكن أن يعاد النظر فى التقارير التى صدرت ؟

● القرار سيادى .. ولن يفلح أسلوب الضغط والإرهاب فى التأثير على

قرار اللجنة العلمية .. ولن يجنى هؤلاء سوى أنهم فضحوا أنفسهم .. وأشيع مكرهم .. وهكذا نراهم .. ليس عيباً أن يوصفوا بكل قبيحة .. هم الذين يصفون أنفسهم بذلك .. غير أن الموقف الذى تفجر فى يوم واحد وفى أماكن متفرقة كما تتفجر قنابل الإرهاب - هذا الموقف فضحهم وكشف أوكارهم .. واتضح أنهم يخربون بيوتهم بأيديهم تماماً كما يفعل أصدقاؤهم اليهود .

* * *

خاتمة

لقد يحق لنا فى نهاية هذا العمل أن نقرر : أننا أوجزنا فى عرض مادة الكتاب على الرغم من ضخامته التى يستشعرها القارئ الكريم .. فما زالت هناك تقارير وكتابات لم نتمكن من الحصول عليها .. بذل فيها أصحابها غاية جهدهم ، واستودعوها سديد رأيهم فى تقييم وقائع هذه القضية التى افتضحت بها العلمانية ، وافتضح بها أمر كثير من الكتاب الماركسيين ، وتعرّى دورهم فى مصر والعالم العربى .

كانت المسألة فى أصلها هيّنة .. لا تعدو أن تكون فشلاً أصاب طالب ترقية ، ومفروض فيه أن يدارى نفسه عن أعين الناس خجلاً ، وأن يحاول تدارك مافاته من التوفيق ، ولكن النموذج الذى نحن بصدده - أشهد أنه نموذج فريد - اتسم بالقحَة ، وخلَع برقع الحياء ، أو سرواله ، فما أبقى حتىٰ على ورقة التوت ، وانطلق عارياً يهذى بكلام متنفخ لا علاقة له بالعلم ، أو بالفكر .. فى سابقة خطيرة لم تشهد الحياة الجامعية لها مثيلاً ، واحتشد معه ذوو الأحقاد من العلمانيين ، والماركسيين ، والمتلقّطين من قطاط الثقافة والصحافة ، وكتبوا ... وكتبوا ... وكتبوا .. فما أغنت كتاباتهم من الحق شيئاً لأنها افتقرت إلى الموضوعية ، وإلى المنهج العلمى ، وغنيت بأنفاس الحقد ، ونفثات البذاءة .. بحثاً عن مِشْجب تعلق عليه أردية الفشل .

وهكذا انتهى الأمر إلى تلاشى الزبد ، ومكوث ما ينفع الناس .. تلاشت السفاهات العلمانية ، ولم يبقَ منها إلا ما يفضح أصحابه ، ويشير إلى حماقتهم ونزقهم ، وها نحن أولاء فى خاتمة المطاف نرى الثوابت التى تم على أساسها تقييم الموقف العلمى تتألق بموضوعيتها ، وتزداد رسوخاً وشموخاً ، ليرى الناس أن فى

مصر علماء لا يخشون فى الله لومة لائم ، وأن جامعات مصر ليست أوكاراً لجماعات الضغط ، وشلل الضلال .

نتيجة كانت جليّة من أول الأمر ، وما كان أغنى الناس عن هذا الهزل الرخيص .. لولا حرص بعضهم على الفوز بالشهرة ما دام قد خسر فى المضمار ..

وليته اختار أن يكون مغموراً بين الناجحين على أن يكون مشهوراً بين الفاشلين .

وما زال بعض الصبية فى المجلات ذات الماضى المُجَرّح ، والحاضر المشوّه ، والولاء المشبوه .. يمجدون الفشل ، ويفرضون على الناس تصورهم المريض .

عبثاً تحاولون - أيها العلمانيون - أن تمسخوا هوية أمتنا .. فأمتنا على قدم راسخة فى الإسلام .

عبثاً تحاولون أن تفرضوا هراءكم وهذرمتكم .. فلا صوت للباطل فى حضور الحق ، وصولة بيانه .

عبثاً تحاولون أن تمتطوا حمار الانتهازية ، وتفرضوا الإرهاب باسم حرية الفكر .. فحرية الفكر لا تعنى هدم العقيدة ، أو تزييف المنهج ، أو خداع العقل .

عبثاً تحاولون بسط هيمنتكم على الرأى العام ، فقد عرفت الجماهير طريقها ، وتبينت دليلها ، واطمأنت إلى مصيرها ..

عبثاً تحاولون أيهؤلاء .. المخادعون .. مادام فى الدنيا قرآن ومسجد ..

﴿ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ﴾

عبد الصبور

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * *

كلمة الناشر — هذا الكتاب ....

فى مصر الإسلامية أصبح الكفر حرية رأى .. وأصبح رفض القرآن فلسفة فكر .. وأصبح رد السنة تصحيح مفاهيم .. وأصبح تشويه التاريخ الإسلامى والتحرش بالأئمة الأعلام عملية تنوير .. بل أصبح كل ذلك موضة مثل موضة الأزياء .. غير أن موضة الأزياء قد رفع لواءها سان لوران .. وبيير كاردان .. أما موضة الكفر والزندقة والإلحاد فقد رفع لواءها من قبل طه حسين فى « الشعر الجاهلى » وعلى عبد الرازق فى « الإسلام وأصول الحكم » .. طه حسين عندما أنكر قصة إبراهيم فى القرآن الكريم .. لم حوكم فى مصر بتهمة الردة وأدين فلقى عقابه الرادع .. وعندما أراد كذلك أن يقنعنا نحن المسلمين فى كتابه « مستقبل الثقافة فى مصر » أن نتقبل الحضارة الغربية بخيرها وشرها .. بحلوها ومرها مخالفاً بذلك العقل والمنطق وسلوك الأسوياء .. فقد نتقبل الحضارة الغربية بخيرها وحلوها .. أما أن نتقبلها بشرها ومرها .. بكفرها وإلحادها .. بانحلالها وسقوطها .. بفسقها وفجورها فهذا هو منطق العجزة الذين طمس الله على قلوبهم ، وأعمى أبصارهم وبصائرهم بعد أن فقدوا كيانهم كأمة مسلمة، وأذابوا شخصيتهم كأصحاب حضارة ومجد وتاريخ .

هذا طه حسين .. أما على عبد الرازق فقد أنكر فى كتابه « الإسلام وأصول الحكم » أنكر أن الإسلام دين ودولة ، وأصر على أن الخلافة لا مفهوم لها بعد انتهاء عصر الراشدين، وأن الدين لا رسالة له فى المجتمعات المتحضرة

ولم يمت كلٌ من طه حسين وعلى عبد الرازق إلا بعد أن خلّفا وراءهما جيلاً من شياطين الإنس سلك نهجهما ، وسار على طريقهما ، وحمل من بعدهما لواء التغريب والسماح بضرب الشخصية الإسلامية وتذويبها ..

وهذا « صبى » من « صبيان » تلاميذ « طه حسين » ارتضى لنفسه أسهل الطرق جرياً وراء الشهرة ، ورجح مبدأ أستاذ أساتذته « طه » الذى يزين للمرء أن يخالف فيُعْرَف .. فأول ما بدأ « نصر أبو زيد » يخالف ليعرف هاجم القرآن والسنة والأئمة ، ووصف كتاب الله عز وجل بأنه نصوص لغوية تشكلت خلال فترة زادت على العشرين عاماً ، ثم حرّض صراحة على التحرر من سلطان القرآن الكريم الذى هو كلام الله وزعم عدم صلاحيته لحل المعضلات ، وفض المشكلات .. الحاضرة والمستقبلة ، وأن القرآن والعقل لا يجتمعان أبداً .. وأن القرآن ليس معجزة .. بل هو أسطورة غيبية ، ومنتج ثقافى يخضع للمنهج التحليلى اللغوى ، وأنه لا وسطية فى القرآن الكريم .. لا فى العبادة أو الأخلاق .. ولا فى التشريع أو النظام .. ثم يؤكد شيطان الإنس أو الكويفر الصغير أن السنة النبوية اجتهاد بشرى من الرسول ﷺ ، وأن الالتزام بالسنة والعمل بها يعد إهداراً لبشرية الرسول ورفعه إلى درجة الألوهية !! .

بقى الإمام الشافعى الذى يتهمه أبو زيد بالعنصرية التى تجلت فى تأسيسه لعروبة القرآن ، وأنه فعل ذلك من منظور ضمنى فى سياق الصراع الشعوبى الفكرى الثقافى .. ويعلم الكاتب الجاهل أو لا يعلم أن عروبة القرآن لم يؤسسها الشافعى ولم يخترعها .. وإنما المولى عز وجل هو الذى قال : ﴿ إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون ﴾ .. والقرآن قد نزل بلهجة قريش .. ومحمد ﷺ قرشى كما هو معروف .. فكان من الحكمة أن ينزل القرآن بلغته حتى يتبينه ثم يبينه للناس .. إلا إذا كان السيد « أبو زيد » يريد أن يصف الله عز وجل بالعنصرية فيضيف كفراً على كفره وزندقة إلى زندقته .. ولو اختار الله عز وجل الصينيين لرسالته لأنزل عليهم كتاباً بالصينية ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ... ﴾ .

هذا هو نصر أبو زيد الذى تقيأ كل هذه الكفريات لم وجد من فلول الشيوعيين القدامى أو المعاصرين .. ومن العَلمانيين المحدثين .. ومن الصليبيين الأقحاح خلفاء « المعلم يعقوب » من يدافع عنه ، ومن أصحاب الزوايا السوداء فى صحفنا القومية من يبرر كفره ، ويقيمون المناحات إشفاقاً على (أحدث مرتد) فى موكب المرتدين بعد سلمان رشدى فى بريطانيا .. وعلاء حامد فى مصر .. وتسليمة نسرين فى بنجلاديش !!

وإذا كان الرئيس الأمريكى كلينتون قد رحب بسلمان رشدى واستقبله فى البيت الأبيض .. وإذا كانت وزيرة خارجية السويد (مارجريتا أجلاس) قد خرجت بنفسها إلى مطار استوكهولم لتستقبل « تسليمة نسرين » وتصحبها إلى مقر وزارة الخارجية لتهنئتها على كفرها ومحاولة تشويهها لمبادئ الإسلام العظيم واتهامه بأنه قد هضم حقوق المرأة وجردها من أهم خصائصها كأنثى .. إذا كان قد حدث هذا فإن زين العابدين بن على رئيس جمهورية تونس لم يستقبل البطل « نصر أبو زيد » فى قصر الرئاسة فى قرطاج ليمنحه وساماً من أكبر الأوسمة التونسية .. لماذا ؟؟ لأنه ردَّ القرآن .. وهدم السنة .. وهاجم الأئمة .. ثم بعد أن قلد البطل الوسام الرفيع توجه زين العابدين إلى مكة المكرمة لأداء العمرة .. وحتى لا نتشعب بك أيها القارئ .. فإلى صفحات الكتاب !!

حسين عاشور